الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم

د. أشرف عبد البديع عبد الكريم
كلية دار العلوم ـ جامعة المنيا



42 Opera square - Cairo - Egypt

الناشر
مكتبة الآداب
٤٢ ميدان الأوبرا - القاهرة ت: ٢٣٩٠٠٨٦٨
البريد الإلكتروني e.mail: adabook@hotmail.com





الناشر

مكتبة الآداب

بطاقة فهرسة

فهرسة أثناء النشر إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية

إدارة الشئون الفنية

عبدالكريم ، أشرف عبدالبيع . الدرس النحوي النصي في كتب إعجاز القرآن الكريم / أشرف عبدالبديع عبدالكريم . — القاهرة: مكتبة الآداب ، ٢٠٠٨ .

١٧٢ ص ؛ .... سم

تدمك ٧ ٩٦٣ ٢٤١ ٩٧٧

١ - القرآن — إعجاز

٢ - القرآن — ألفاظ

أ - العنوان

٢٢٩,٧

عنوان الكتــاب: الدرس النحوي النصي من كتب إعجاز القرآن الكريم

تــأليــف : د. أشرف عبدالبديع عبدالكريم

رقــم الإيداع : ٧٥٣٧ لسنة ٢٠٠٨م

الترقيم الدولي: I.S.B.N. 977 - 241 - 963 - 7

مكتبة الآداب

٤٢ ميدان الأوبرا — القاهرة

هاتف ٢٣٩٠٠٨٩٨ (٢٠٢) —

e-mail: adabook@hotmail.com

تقديم

مما لا شــك فيــه أن الــدرس النصي عملية معقدة؛ لأنها تتطلب أدوات مختلفة ومتشــعبة، ليس من السهل توفرها إلا لدى الباحثين الذين يتمتعون بروية وصبر على جمع تلــك الأدوات من مظان عسيرة، تتطلب جهداً كبيراً ؛ لأن أغلبها ما تزال مكتوبة باللغات الأوروبية وبخاصة الألمانية، وبرغم الجهد الذي يبذله عدد قليل من الباحثين لنقل هذه الأفكار والتصورات والمفاهيم والأدوات النصية إلى اللغة العربية، فما يزال أمامهم الكثير لإنجازه هذا مــن جهة ... ومن جهة أخرى ما تزال البحوث التطبيقية التي تحاول الإفادة من علم النص بوجــه عــام وعلم لغة النص بوجه خاص قليلة مشتتة تتأرجح بين السطحية والعمق . وقد سـجل في عــدد مــن الجامعات بعض موضوعات في البحث النصي سواء للماجستير أم الدكتوراه .

وقد فرغ بعض الباحثين من رسائلهم ووفقوا إلى نشرها، ويلاحظ عليها بوجه عام عــدم المواءمة بين التصورات الأصلية والتصورات التي تشكلت لديهم من خلال قراءاتهم؛ ومن ثم جاءت في دراساتهم مغالطات وأشكال مختلفة من سوء الفهم، ولكن يهون الأمر أن هناك بعض الباحثين الذين يقوّمون ويصوّبون ويحاولون أن يصلوا بالبحث في هذا المجال إلى درجة عالية من الإتقان، وفي رأيي أنه من أكثر الدراسات توفيقاً في هذا المجال تلك الدراسة الــتي قدمها د. سعد مصلوح على نص شاعر قديم (نحو أجرومية للنص الشعري دراسة في قصــيدة جاهلــية)، فهي نموذج يحتذى، وكذلك دراسة الخطابي في لسانيات النص، وبعض محــاولاتي المتواضــعة في تطبــيق بعض مفاهيم البحث وبخاصة الإحالة والتكرير والقصد والتماســك أو الربط النحوي والتماسك أو الترابط الدلالي (أو كما يحلو لبعض الباحثين استخدام مصطلحات القدماء ما يطلق عليهما السبك والحبك) .

وقد ظهرت عدة كتيبات صغيرة تحمل "نحو النص" ، وهي مفيدة وإن دارت جميعها في فلــك واحد مكرر، وغلب عليها النقل دون الإبداع والإضافة، ذلك لأنها لم تحاول البناء على ما سبق تقديمه بإضافة جديد إليه، بل أرادت أن تكون أعلى منه وأعلم ، فتناولته بالنقد الحق في القليل وغير الحق؛ لعدم تفهم الأصول التي اعتمدت عليها في الدرس اللغوي النصي

الأوربي في الكثير، وليس عندي أدنى شك في أن هذا المجال يحتاج إلى معرفة وثيقة بالتراث الأوربي فيه، وما تضيفه الدراسات الحديثة التي لا تكف عن تقديم ما لا يستطيع الباحثون أفراداً أن يستوعبوه .

على أية حال أسعدني أن يتاح لي الاطلاع على بحث أحد الشباب، وهو الدكتور أشرف عبد البديع الذي يمتلك كثيراً من أدوات البحث النصي، ذلك البحث الذي تناول فيه قضية صعبة، وهي وجوه الإعجاز القرآني ، قضية تناولها القدماء والمحدثون على حد سواء، وأفرز هذا الاهتمام عدداً من الدراسات المحورية التي تشغل مساحة لا بأس بها في مكتبتنا العربية . ولكنه أراد أن يخوض التجربة بمنظور مختلف ــ ولكنه واضح ــ وهو محاولة قراءة هؤلاء الباحثين في ضوء مقولات علماء النص، وتحدد ذلك في رؤية مبدئية، وهي أن نصوص المؤلفات التي تناولت قضية الإعجاز القرآني تحتاج إلى قراءات جديدة وواعية بغية الوصول إلى تصورات وأفكار واضحة ومحددة حول رؤيتهم لتحليل النص القرآني وكيفية تسخير تلك المكونات التي مزجت بين عناصر لغوية وعناصر نقدية وأدبية، ومزية كل وجه من تلك الأوجه .

حاول الباحث التقاط بعض جوانب من أحد فروع البحث النصي، وهو "نحو النص" من كتب إعجاز القرآن الكريم ، وذلك من خلال فصول بحثه الأربعة، فكان الأول حول اتجاهات البحث النصي في التراث، والثاني حول معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني، والثالث حول المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ "نحو النص"، والأخير ملاحظات حول بعض المعايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني .

وقد وفق الباحث في مزج الدرس اللغوي والبلاغي في التراث العربي بالدرس اللغوي النصي المعاصر، دون أن يلجأ إلى ليّ أعناق النصوص واستخراج ما لم تقله ، فكانت المقابلة بين التصورات المختلفة قديمها وحديثها وسيلة معقولة للوصول إلى استنتاجات سليمة حول مفاهيم في جوهر الدرس النصي، مثل الائتلاف والتلاؤم والربط والارتباط والبنى الظاهرة، والبنى العميقة وغيرها .

وقد استند في تكوين رؤية واضحة على كتب التراث الأساسية في إعجاز القرآن وبخاصة أعمال الباقلاني والرماني والخطابي وعبد القاهر الجرجاني، وعلى الدراسات البلاغية

واللغوية الحديثة في الإعجاز وكتب الدراسات النصية المترجمة والبحوث المؤلفة في الدرس النصي وبخاصة "نحو النص" وأهم الدراسات الأوربية في علم النص وبخاصة الألمانية، فاكتملت بذلك أدواته، وأعانته الرؤية الواضحة وعدم التسرع في إصدار الأحكام والروية في المعالجة والحكمة في المقابلة، كل ذلك أدى به إلى أن يقدم بحثاً طيباً، سوف يحتل مكانه اللائق به في مكتبتنا اللغوية النصية الحديثة بإذن الله تعالى .... .

والله الموفق وعليه قصد السبيل

أ . د . سعيد حسن بحيري

أستاذ علوم اللغة

بكلية الألسن ــ جامعة عين شمس

مقدمة

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاة والسلام على خير خلق الله سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن اهتدى بهديه إلى يوم الدين .. أما بعد

فقد بدأ البحث في قضية الإعجاز القرآني منذ وقت مبكر جداً، وتشير الروايات إلى قصة الوليد بن المغيرة وقولته المشهورة، حينما سمع القرآن من النبي (صلى الله عليه وسلم) ، ثم ما فتئت هذه الإشارات التي انطلقت من منظور لغوي صرف إلى البحث في مجالات عدة ومختلفة للبحث في الإعجاز القرآني، وبالتالي أسهم عدد كبير من الباحثين على مر العصور ومنذ نزول القرآن الكريم بدراسات لغوية ونقدية وكلامية . وقد اختلفت أهدافها ومناهجها تبعاً لاختلاف نهج كل منهم في الدرس والمعالجة .

وعلى الرغم من أهمية هذه الدراسات ودورها البارز في الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني وتذليل كثير من صعوباته، وعلى الرغم – أيضاً – من كثرتها إلا أني لم أسع من خلال التطبيق إلا للتركيز على عدد من الدراسات الأساسية في الإعجاز القرآني والمتعلقة بالجانب اللغوي والبلاغي التي أتيح لي الإطلاع عليها، وعلى أية حال فإنني أراها دراسات أساسية في هذا الباب .

وعلى الرغم مما كتب حول قضية الإعجاز القرآني، إلا أني أرى نصوص هذه المؤلفات تحتاج إلى قراءات جديدة وواعية ؛ بغية الوصول إلى تصورات وأفكار واضحة ومحددة حول رؤيتهم لتحليل النص القرآني وكيفية تسخير تلك المكونات التي مزجت بين عناصر لغوية وعناصر نقدية وأدبية ومزية كل وجه دون الوجه الآخر .

لقد سعيت في هذا البحث إلى عقد صلة بين مقولات وآراء الباحثين في الإعجاز، وما يمكن أن تمثل عناصر/مفاهيم أساسية مكونة للإعجاز، وما جاء عند علماء النص، كلما كان ذلك مفيداً وموضحاً لجوانب تلك الجزئية من البحث .

ويضم هذا البحث عدداً من الأفكار الأساسية، وزعت على عدد من الفصول وإطار عام . يضم الإطار العام الموضوع وأسباب اختيار الموضوع وهدف هذا البحث والدراسات السابقة ومادة البحث الخ .

وجاء الفصل الأول : اتجاهات البحث النصي في التراث، محللاً – بإيجاز – هذه الاتجاهات على ما بها من قضايا نصية لها ما عليها في مجال اللسانيات النصية المعاصرة ، وموضحاً المعايير الحاكمة والحابكة لكل تيار من التيارات التراثية، كل ذلك من خلال إحصاء دقيق ونسب واضحة .

أما الفصل الثاني : معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني، فقد تتبعت فيها العناصر الفاعلة في النص لدى الباحثين في الإعجاز القرآني ممن حددت مؤلفاتهم في مادة الدراسة، وقد جاء في موضعين، الأول : معايير النص عند أصحاب الرسائل : الرماني، الخطابي وعبد القاهر الجرجاني، مبيناً مسائل المطابقة والمخالفة ومدى إفادة كل منهم من الآخرين . بينما ركز الموضع الثاني على معايير النص عند أصحاب المؤلفات، مردفاً ذلك ببيان وجوه المطابقة والمخالفة، خالصين بعد ذلك إلى مدى الإسهام الفعلي لكل منهم على حدة . ولم يفتني في هذا الفصل أن أقدم تقويماً لسانياً للبحث في الإعجاز، كما تم عقد مقارنة بين أصحاب البحث في الإعجاز وبين علماء النص .

في حين جاء الفصل الثالث : المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ"نحو النص"، إذ ناقشت فيه عدداً من العناصر الأساسية التي تمثل سمة جوهرية عند كل منهم، وتمثل هذه العناصر قاسماً مشتركاً فيما بينهم، وحاولت تفكيك الشفرة اللغوية لتلك النصوص الواردة لديهم جميعاً، متبعاً هذه الأفكار لديهم منذ البداية ومبيناً التطور/التغير الذي حدث فيها، وعلاقة كل ذلك في تحليل النصوص لديهم، بما هو وارد في "نحو النص" .

وناقش الفصل الرابع : ملاحظات حول بعض المعايير النصية عند الباحثين في الإعجاز. فقد جاء في عدد من المحاور كالائتلاف والتلازم أو ما اصطلح عليه بالحبك والارتباط والربط أو ما سمي بالسبك والاقتناص أو ما يطلق عليه بالتناصية والقصدية .... الخ . هذه العناصر الحاكمة والجامعة لقضايا النص، بناء على تصور بوجراند/درسلر . وقد أبنا عن رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني من خلال مناقشة قضايا الائتلاف والتلازم والربط والارتباط من خلال عدد من قضايا : البديع والمناسبة وقضايا أخرى لغوية بحتة ودورها في البنى الظاهرة والبنى الباطنة للنص . كما تمت قبل ذلك بفضل بيان مناقشة العلاقة بين "نحو النص" وعلم البلاغة والقضايا الجامعة بينهما،

وفي عقب مناقشة المعيارين الأولين، تمت مناقشة قضايا نحو الجملة ونحو النص وما يشتركان فيه وما يتماز به كل منهما عن الآخر .

أرجو أن تكون فصول البحث موفقة في مناقشة قضاياه التي ارتكز عليها .

والله من وراء القصد ؛

أشرف عبد البديع عبد الكريم

الإطـــار العـــام

١/٠ : الإطار العام :

١/١ : مهاد :

لا ريب أن مجئ عنوان البحث على هذا النحو، إنما يراد به أن يستجلي أموراً، ينبغي أن تؤخذ بعين الاعتبار في صدر هذا البحث، نذكر منها :

أولاً : إن إقامة تصور بين الدرس النصي عند الباحثين في الإعجاز القرآني، لما يمكن أن يسمى بـــ "نحو النص" عندهم، وبين ما يقدمه علماء النص، أمر لا يسلم في سهولة ويسر، ذلك أن البحـــث في الإعجـــاز القـــرآني، إنما جاء لحاجة ملحة، وهدف محدد في تاريخ الثقافة العربية الإســـلامية، وهو اتجاه ذو أرومة عريقة في الثقافة العربية، وهو توجه أصيل في الزود عنها، ضد أولئك القوم الذين وجهوا أقلامهم وكتاباتهم ضد هذا الدين .

أمـــا "نحـــو الـــنص" فعلم نشأ حديثاً مستقياً إجراءاته من عدد من العلوم المختلفة، ومستفيداً من كل ذلك في تقديم تفسير أرحب للنص من خلال تلك المناهج، ومازالت اتجاهاته وتصوراته النهائية لم تستقر بعد فيما بين الباحثين في هذا الاتجاه، إذ نراهم – المختصين– مختلفين في المبادئ والأسس والأهداف والإجراءات للوصول إلى الغاية المنشودة، وربما تمثل رؤية بعض الباحـــثين صدق تلك الرؤية من : أن علم اللغة النصي لم يتضح بعد في تلك البيئات التي نبت فـــيها[1] . ومازال أهله والمقتنعون بجدواه يبحثون له عن الدور في إعادة صياغة النظرة العربية المعاصرة في دراسة النص، وهنا مكمن الصعوبة بين علم قديم رسا ورسخ، وآخر حديث ما يزال يتلمس طريقه إلى ثقافتنا .

ثانياً : إن إيثارنا استعمال مصطلح " نحو النص" **Textgrammatik** بدلاً من مصطلح آخر شائع على اختلاف بينهم في الدرجة،علم اللغة النصي/علم لغة النص **Textlinguistik**؛ لأن المصـــطلح الأول أقصـــر وأسهل في النطق.... كما أن فيه ما يشي بالتركيز بشكل مباشر على

---

(1) فولفجـــانج هاينه من وديتر فيهفيجر: مدخل إلى علم اللغة النصي ص ١٢، وقد صدر هذا الكتاب باللغة الألمانية،١٩٩١، توبنجن، وينظر : د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٢، وسوف تعكس الدراسة هذه الرؤية في ثناياها .

القواعد المختصة بالنص، ويتسق بهذا المبنى مع السنة العربية في صك المصطلحات مثل : نحو العربية، نحو اللغة العربية، قواعد العربية، النحو الأساسي، النحو الوظيفي وهلم جرا .

ثالثاً : إن استخدامنا لمصطلح "نحو النص" يعكس ضمناً ذلك القدر المشترك في معالجة قضايا النص عند التراثيين والمعاصرين على السواء، ومن هنا يقف هذا البحث بقدم في التراث، وبأخرى في المعاصرة في محاولة للربط بينهما.

رابعاً : إن اتخاذ العنوان على تلك الصيغة، يراد منه أن البحث في الإعجاز القرآني، إنما يقع على محورين، الأول : أفقي، والمقصود به بيان مذهبهم النحوي ومنطلقاتهم الفكرية فيما يتعلق بالكشف عن أوجه الإعجاز. الثاني :رأسي، ونقصد به تلك التتابعات الواردة لهذه المعايير البلاغية والنقدية، ومن خلال هذين المحورين تتبدى قسمات معايير النص لديهم، ومن ثم فإن عملهم واقع — لا ريب — بين هذين التيارين، وعلى الرغم من أن المحورين قد يبدوان متناقضين، إلا أن كليهما يكمل الآخر، وهذا ما دعانا إلى أن نجعل العنوان على تلك الهيئة الواردة سلفاً .

٢/١ : موضوع البحث :

تتمثل مادة هذا البحث في كتب الإعجاز القرآني، حيث نستطيع من خلالها الكشف عن جوانب "نحو النص"، مع الأخذ في الاعتبار الظرف التاريخي الذي أدى إلى نشأة البحث في الإعجاز القرآني، و"نحو النص" مما ساعد على ظهور معايير نصية مختلفة عما هي عليه الآن، وربما تخلص الدراسة في أحد مطالبها (ينظر: ١/١ :٣) إلى أن يعاد توزيع المنظومة التحليلية لهذه المعايير بما يناسب الإطار العام عند أصحاب هذا الاتجاه .

إذ تمثل هذه العناصر في عملهم إجمالاً لمعايير عامة أو نحوية أو نقدية، غير أن توزيع هذه المنظومة في إطار جديد، ربما يشكل منها مادة جديدة (ينظر: ٣/١: ١) يعاد على أساسها النظر إلى التراث برؤية مغايرة، يمكن أن تقدم إسهاماً خالصاً للدرس اللساني بعامة، والدرس النصي بخاصة ؛ للوصول إلى تصور لـ"نحو النص" العربي .

وثمة عدد من الدراسات التي أقيمت حول بعض الاتجاهات التراثية، بيد أن تناولها للقضية، وإن جاء مركزاً بشكل عام، فإنه — عندي — ربما كان يحتاج إلى تعميق النظر في كثير من جوانبه، وقد دفع هذا الأساس د. العبد أن يعاود النظر فيما قدم (ينظر: ٦/١)، ويأتي هذا

البحث كخطوة مع الدراسات السابقة (ينظر: ٦/١) فيما يمكن أن يمثل إطاراً عاماً لـ "نحو النص" العربي من خلال التراث .

ولن أتناول في هذا البحث قضايا الإعجاز الخالص(*)، فإن لذلك دراساته واختصاصاته ، وما بنا أن نتتبع ذلك، فمن شاء فليرجع ثمة، وإنما نركز فقط على ما يمكن اعتباره عناصر فاعلة في سبك النص وحبكه من منظورهم .

٣/١ : أسباب اختيار الموضوع :

١— على الرغم من الدراسات التي قامت حول بعض الاتجاهات التراثية (ينظر: ٦/١) لبيان سبك النص وحبكه، إلا أن هذا الاتجاه — البحث في الإعجاز القرآني — لم يتناوله أحد من الباحثين .

٢— تزايد الاهتمام في الآونة الأخيرة بـ "نحو النص" لفت نظري إلى أن أتناول هذه المادة تناولاً مختلفاً، يحاول تبيان مدى إسهام التراث العربي في هذا الجانب ممثلين في كتب "البحث في الإعجاز القرآني" مع الأخذ في الاعتبار الظروف التاريخية التي لها أثر في نشأة كل منهما .

٣— محاولة الربط بين ما قُدّم من خلال التراث — البحث في الإعجاز القرآني — وما يقدم في "نحو النص"؛ لتوضيح مدى إسهام الثقافة العربية في إقامة منهجية تتفق مع ذلك المسعى الملح لديهم في بيان أوجه الإعجاز القرآني .

٤— المشاركة مع ما قدم (ينظر: ٦/١ من البحث) في إقامة تصورات واضحة وقوية لـ"نحو النص" العربي من خلال ما ورد هنا وهناك من مادة تراثية .

٤/١ : أهداف البحث

١— محاولة تقديم رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني فيما يمكن أن يسمى "نحو النص" العربي .

٢— تحديد العناصر النصية الدقيقة لأوجه الإعجاز القرآني فيما يتعلق بسبك وحبك النص من منظور عربي .

(*) — نذكر منها على سبيل المثال لا الحصر : أثر القرآن في تطور النقدي الأدبي د. محمد زغلول سلام، الإعجاز في دراسات السابقين عبد الكريم الخطيب. الإعجاز البلاغي د. محمد محمد أبو موسى. فكرة إعجاز القرآن نعيم الحمصي، بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار د. عبد الفتاح لاشين ، الخ .

٣ـ بيان رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني ومقارنتها بما قدمته التيارات التراثية الأخرى ـ من خلال ما يقدم من أبحاث ـ وبالتالي توضح مدى التداخل المعرفي بين التيارات التراثية العربية ومعرفة الإسهام الحقيقي لكل تيار على حدة .

٤ـ بيان الفروق الدقيقة حول تصور/رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني لـ"نحو الجملة" و "نحو النص" وأن الأمر تطور/تغير شيئاً فشيئاً ، وبلغ مبلغه، وأن البداية ليست كما كانت النهاية .

٥ـ الإسهام الفعلي مع مما يقدم (ينظر: ٦/١ من البحث) في تكوين نظرية لـ"نحو النص" العربي .

٥/١ : مادة البحث(*):

١- أبو الحسن علي بن عيسى الرماني (٢٩٦هـ ـ ٣٨٦هـ) :

النكت في إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف، (د.ت)، تحقيق : محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام .

٢ـ أبو سليمان حمد بن محمد إبراهيم الخطابي (٣١٩هـ ـ ٣٨٨هـ):

ـ بيان إعجاز القرآن، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن، دار المعارف (د.ت) تحقيق :محمد خلف الله أحمد، محمد زغلول سلام .

٣ـ أبو بكر محمد بن الطيب الباقلاني (المتوفي ٤٠٣هـ) :

إعجاز القرآن، شرح وتعليق د.محمد عبد المنعم خفاجي، دار الجيل، بيروت، ط١، ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م .

٤ـ القاضي أبو الحسن عبد الجبار الأسد أبادي (المتوفى ٤١٥هـ) :

المغني في أبواب التوحيد والعدل،الجزء السادس عشر:إعجاز القرآن، قوّم نصه أمين الخولي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ط، ١٩٦٠م .

(*) رتبت هذه الدراسات تبعاً لتاريخ وفاة المؤلفين .

٥ـ أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني (......٤٧١هـ) :

ـ الرسالة الشافية، ضمن ثلاث رسائل في إعجاز القرآن ، دار المعارف، (د.ت) ، تحقيق: محمد خلف الله أحمد ، محمد زغلول سلام .

ـ دلائل الإعجاز في علم المعاني، صححه وعلق على حواشيه الشيخ محمد رشيد رضا، دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان ، ط ١، ١٤٠٩هـ ـ ١٩٨٨م .

ـ أسرار البلاغة في علم البيان، صححه وعلق على حواشيه السيد محمد رشيد رضا ، مكتبة ومطبعة محمد علي صبيح وأولاده ، ط ٦ ، ١٣٧٩هـ ـ ١٩٥٩م .

٦ـ فخر الدين الرازي محمد بن عمر (المتوفي ٦٠٦هـ) :

نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز ، تحقيق أحمد حجازي السقا، المكتب الثقافي ، مصر، ط١، ١٩٨٩م .

٧ـ كمال الديـن عبد الواحد بن عبد الكريم خلف الأنصاري الزملكاني(المتوفى ٦٥١هـ):

المجيد في إعجاز القرآن المجيد ، دراسة وتحقيق د.شعبان صلاح، دار الثقافة العربية ، القاهرة ، الطبعة الأولى ، ١٤١٠هـ ، ١٩٨٩م .

٨ ـ جلال الدين عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي (المتوفى ٩١١هـ) :

* تناسق الدرر في تناسب السور، دراسة وتحقيق عبد القادر أحمد عطا ، دار الكتب العملية ، بيروت الطبعة الأولى، ١٩٨٦ .

* معترك الأقران في إعجاز القرآن، تحقيق : علي محمد البجاوي، القسم الأول، دار الفكر العربي ، (د.ت) .

وفي هذا السياق لابد من التنويه بعدد من الملاحظات التي يمكن أن تذكر منها :

الأولى : أن كتاب "الإتقان في علوم القرآن" على الرغم من أن السيوطي خصص جانباً كبيراً منه لدراسة جوانب الإعجاز، بيد أن المطالعة الأولية تشير إلى أنه استعرض آراء السابقين على اختلافها ، وبناء عليه ، فإن كل المعايير الواردة عنده ليس فيها جديد إفادة، وبالتالي فهي موجودة في المعترك ، ومن ثم تم استبعاده، بناء على هذا الأساس .

الثالثة : ثمة بعض المؤلفات التي تناولت فكرة "الإعجاز القرآني" أو مسته مساً حثيثاً، مثل : الوساطة بين المتنبي وخصومه ، للقاضي عبد العزيز الجرجاني (ت ٣٦٦هـ) . الصناعتين لأبي هلال العسكري (ت ٣٩٥هـ)، والموازنة للآمدي (ت ٣٧٠هـ)، والبيان والتبيين للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، الفصل في الملل والأهواء والنحل لابن حزم (ت ٤٥٦ هـ)، غير أن هذا لا يعفينا من الاستعانة ببعضها في ثنايا البحث .

الثالثة : لابد من التنويه أن ثمة دراسات ظهرت حول "الإعجاز القرآني" في العصر الحديث، غير أنها جميعاً بداية من مصطفى صادق الرافعي " إعجاز القرآن والبلاغة النبوية" وانتهاء بالشيخ الشعراوي (معجزة القرآن) والدكتور زغلول النجار "الإعجاز العلمي للقرآن الكريم" الخ ، مما يتناول جوانب مهمة تتعلق بالأمور الحياتية وكشف دلائلها وتأثيرها في نفوس الناس، ومن ثم ركزت هذه الدراسات جهودها حول هذا الجانب، وبالتالي اختفت هذه العناصر التي يمكن أن تمثل تواصلاً بين السابقين واللاحقين في هذا المجال، غير أنه أخذ قالباً جديداً متمايزاً عما قبله، وبناء على هذا تم استبعاد مثل هذا الصنف من المؤلفات .

الرابعة : يلاحظ أن مؤلفات الرماني والخطابي والباقلاني وعبد الجبار وعبد القاهر، قد نالت عناية خاصة من قبل الباحثين في الإعجاز والبلاغة بصفة خاصة، وتداعت على مؤلفاتهم أقلام الباحثين ، بيد أن الرازي في "إيجازه"، والزملكاني في "مجيده"، والسيوطي في "معتركه" كان الأمر فيما يتعلق بهم معكوساً، على الرغم من تلك الإضافات التي أسهموا بها في هذا المجال (ينظر : ٨:٢/٣ من البحث)، وإذا كان السيوطي يعد حصيلة الجهود السابقة عليه ، فيما أرى، وكما تبين التحليلات في طوايا البحث ، غير أن المختصين في هذا المجال لم يسكنوه مسكنه اللائق به.

وتبدو هذه رؤية أولية (مسبقة) في أنه ما هو إلا حصيلة أفكار وتصورات سابقة عليه، غير أن ثنايا التحليل والعرض تكشف عن تصورات أخرى متمايزة عن أقرانه في هذا المجال . الأمر الذي تبدى في النهاية إلى خلق/ استنباط عناصر أكثر، مما عليه عند الإمام عبد القاهر (عناصر البديع نموذجاً) .

من هذا المنطلق خطا بالبحث في الإعجاز خطى حثيثة، وأقر عناصر وتصورات وأفكار أكثر رحابة، يمكن من خلالها كشف جوانب(مناطق) بكر في القرآن الكريم . ومن خلال عرض نصوصه يتضح جهده الذي لا ريب فيه .

وإذا كان "نحو النص" لا يزال تُضاف إليه عناصر جديدة، تطوّر من أفكاره وتصوراته الأخيرة التي لم تستقر بعد، فإن إضافة روافد جديدة في البحث في الإعجاز أمر مطلوب، بل ملح خاصة إذا كانت لتبيان جوانب بكر في الإعجاز القرآني وكشف لأسراره اللغوية بشكل عام .

٦/١ : الدراسات السابقة :(*)

١ــ محمد خطابي:لسانيات النص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، ط١، ١٩٩١م .

جاءت هذه الدراسة مشتملة على جانبين، الأول:الاقتراحات العربية، الثاني : المساهمات العربية، وما يعنينا في هذا السياق الجانب الثاني، وقد جاء عمله على ثلاثة مستويات تراثية:المستوى البلاغي، ومستوى النقد الأدبي، والمستوى التفسيري والباحثون في علوم القرآن.

وتؤذن هذه المستويات أنه اختار عناصر تراثية متباينة، حاول أن يقدم معاييرها النصية. وإذا كانت التيارات بلغت (٦) ستة تيارات (ينظر: ١:٥/٣) تتضمن معايير نصية، فإن ما عرض له الأستاذ خطابي (٤) أربعة تمثل ٦٦,٧%، وبالتالي بقى تياران : الباحثون في الإعجاز القرآني، اللغويون، يمثلان ٣٣,٣% .

غير أن ثمة ملاحظة[1] على تناول الأستاذ خطابي أنها جاءت تمثل رؤية عامة، يمكن أن تطوّر وتعمق بشكل أكثر فاعلية، وصولاً إلى نتائج أكثر دقة من تلك الملاحظات العامة، والتي لا يمكن تجاهلها أو الغض منها .

(*) رتبت هذه الدراسات تبعاً لتاريخ نشرها.

(1) تتسق هذه الرؤية مع النتائج التي انتهى إليها د. العبد من أن رؤية محمد خطابي تحتاج إلى توسيع وتعميق فيما قدمه ــ مثلاً ــ جلال السيوطي، ينظر د. محمد العبد : حبك النص. .ص ٢٠٥.

وربمـــا تكون هذه الرؤية هي التي دفعت الدكتور محمد العبد من إجراء بحثه : حبك النص : منظورات من التراث العربي، خاصة وأن مادة د.العبد : النقد الأدبي، وهي مادة محددة المعالم واضحة الأركان عند الأستاذ خطابي، وتكاد النصوص المعتمدة عند كليهما تعطي تصوراً عاماً .

وربما يكون هذا التصور العام عند الأستاذ خطابي هو الذي أعطى انطباعاً بأن هذه المدونات النقدية، يمكن أن تحلل بشكل أكثر عمقاً ، يؤدي إلى نتائج أكثر دقة، وإذا كانت هذه الرؤية صـــائبة، وما أخالها إلا كذلك، فإن هذه التيارات التي أوردها الأستاذ خطابي، تحتاج إلى إعادة الـــنظر بحيث يفضي إلى نتائج مختلفة يفيد منها الدرس اللساني النصي المعاصر ويثبت أقدامه في التراث .

٢ــ د. جمـــيل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، دكتوراه منشورة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٩٨م .

عــــرض لعدد من القضايا في إطار الخطة الموضوعة لدراسته، فتناول "البديع" كمصطلح وموقعه بـــين المصطلحات، ودراسة البلاغيين لهذا الجانب . أما الباب الثاني، فينطلق من معالجة عدد من القضايا المعاصرة، وتنحصر بشكل أساسي في كيفية التعامل مع "البديع" من منظور لساني/نصي، وفي هـــذا الإطـــار وجـــه الباحـــث عنايـــته إلى التركيز على معيارين من المعايير النصية عند بوجـــراند/درســـلر، وهما المعياران المرتبطان بالنص ، أقصد النظر إلى "البديع" من جهة السبك والحبك .

٣ــ د.صـــبحي إبراهيم الفقي:علم اللغة النصي بين لنظرية والتطبيق، جزءان، دار قباء للطباعة والنشر والتوزيع، القاهرة ، ٢٠٠٠م .

جـــاء التناول لعدد من عناصر"التماسك النصي كالضمائر والتوابع والتكرار والمناسبة والحذف، مشيراً إلى أنها ــ العناصر ــ موجودة في التراث، مازجاً في مناقشته بين ما هو تراثي، ومـــا هو لساني معاصر، ومن هنا فإنها تقف بقدم في التراث وبأخرى في الدرس اللساني النصي، ومن ثم يصل إلى أن المعالجة عند كليهما متداخلة، ويبقى التمايز في عدد المعايير وفي الكيفية التي تـــتمركز حول معالجة هذه العناصر، فإذا كانوا يتناولون التكرار ــ مثلاً ــ بتعريفه وأغراضه

وبيان شواهده، ومن هنا لم يدرس في ضوء "نحو النص"، ومرد ذلك أن دراساتهم، إنما اقتصرت على الجانب الجمالي والبلاغي(١) حسْب تصوره ، وحاول أن يختبر فاعلية هذه المعايير على تلك العناصر التي تعرض لها، مطبقاً إياها على النص القرآني/السور المكية .

٤ــ د. محمد العبد : حبك النص من منظورات التراث العربي :

وقد نشر هذا البحث مرتين :

الأولى : بعنوان : مبادئ تحليل النص نماذج من الأدب العباسي، دار الكتاب الجامعي، ١٤٢١ هـ ــ ٢٠٠٠م . وقد اشتمل على هذا البحث، يضاف إليه نماذج تطبيقية من الشعر العباسي، كما يشير إلى ذلك الجزء الآخر من العنوان .

الثانـــية : نشر بعنوان : حبك النص منظورات من التراث العربي : مجلة الدراسات اللغوية(*)، المجلد ٣، ٣٤، الرياض ١٤٢٢هـــ ــ ٢٠٠١م .

وحـــاول أن يقـــدم رؤية أوسع وأشمل مما قدمها خطابي مستدركاً عدداً من العناصر الأساسية (٢) حول الحبك ومعاييره الأساسية، ثم عرض للحبك من منظور التراث العربي، أخذاً في الاعتبار الفروق السياقية وعدداً من الاعتبارات الماثزة .

ومن ثم استخلص المبادئ الأساسية للحبك (في النقد الأدبي) مسجلاً الميزات من ناحية، والهـــنات مـــن ناحية أخرى، وقد أدى به التحليل والمناقشة إلى أن عناصر الحبك موجودة في التراث، وأنهم كانوا مدركين لذلك إدراكاً تاماً وعلى وعي لا مناص من الاعتراف به .

---

(1) د. صبحي إبراهيم الفقي : علم اللغة النصي بين النظرية والتطبيق ١٧/٢.

(*) ننوّه إلى أننا سوف نعتمد على هذه الطبعة في هذا البحث ، تاركين الأخرى.

(2) يقـــول د. العبد بعد مناقشة مظاهر التناسب بين النصوص من خلال "تناسق الدرر في تناسب السور": من أجل ذلك لا نرى وجهاً لاقتصار محمد خطابي على ثلاثة من العلاقات الدلالية في عمل السيوطي. نرى في ذلك إجحافـــاً بجهـــد السيوطي الجهيد في تحليل النص القرآني من منظور التناسب من ناحية. ومن ناحية أخرى، أقل كثيراً من أن يصور حقيقة ثراء العلاقات بين طائفة من النصوص يجمعها نص أكبر واحد. ص ٢٠٥، ولنا حول هذه الرؤية في قابل من البحث وقفة متأنية .

الفصل الأول

اتجاهات البحث النصي في التراث

بدايات :

بدأ الانشغال بالإعجاز اللغوي للقرآن الكريم منذ وقت مبكر، وبشكل لافت للنظر، وتجسد تلك القصة التي أوردها لنا كتب السيرة حول موقف الوليد بن المغيرة، حينما سمع القرآن لأول مرة، وعاد ليصف لقريش رأيه فيما ذكره الرسول (صلى الله عليه وسلم)، وتذكر لنا الروايات وصفاً دقيقاً لصنيع الكفار حول تصنت كل من : أبي جهل وأبي سفيان، والأخنس بن شريف منفرداً، لسماع القرآن، وعودة كل منهم إلى بيته على ألا يعود أحدهم مرة أخرى[1]، ويبقى الأمر مقصوراً على الملاحظات الفردية التي لم ترق إلى حد البحث، وهكذا إلى أن بدأ النزاع بين علي (كرّم الله وجهه) وبين معاوية (رضي الله عنه) يأخذ شكلاً مغايراً، ثم بدأت مرحلة ثالثة مع الفترة الأخيرة منذ أواخر الدولة الأموية، وبالتحديد في أيام الخليفة "مروان بن محمد" آخر خلفاء بني أمية، ويشير الأستاذ نعيم الحمصي إشارة صريحة إلى أن "مروان بن محمد" كان يرى رأي مؤدبه الجعد بن درهم، وكان يصرح بخلق القرآن، وأنه ليس معجزاً، في دمشق عاصمة الأمويين، وكان الخليفة فيما يظهر يرى رأيه، أو يسكت عليه، حتى نسبه بعضهم بمروان الجعدي[2] .

وجاءت الدولة العباسية، واتسعت رقعة الدولة الإسلامية، ودخلت أمم من غير العرب في دين الله، لها ثقافتها وعاداتها وأنماطها المائزة عن نمط الحياة التي اعتاد عليها العرب في مناقشاتهم وطريقة إدارة الحوار، ومن ثم واجه العرب نوعاً جديداً من أنماط التفكير، كان له الأثر الأكبر في ذلك الصراع الذي دارت رحاه في الدولة الإسلامية، وكان ثمة نوع من الناس متخفين، يظهرون الإسلام ويعملون بغيره، وهذا هو المحك الحقيقي الذي فجر الطاقات، وشحذ الهمم لعلماء المسلمين أن يتباروا للدفاع عن القرآن ضد من أراد له سوءاً، حتى أولئك الذين ألفوا في قضية الإعجاز القرآني لم يسلم بعضهم من النقد، وذلك أنهم نسبوا الإعجاز إلى "الصرفة"؛ بمعنى أن الله صرفهم على أن يأتوا بمثله، وأن مرد ذلك ليس إلى ما فيه من التلاف

(1) ينظر حول تفصيل القول في ذلك د.محمود السيد شيخون : الإعجاز في نظم القرآن ص ٩، ١٠.

(2) نعيم الحمصي : فكرة إعجاز القرآن ص ٣٧ .

علوم القرآن ، وهي تتمركز بشكل مباشر حول قضايا يمكن أن تمثل بداية فعلية لـــ"نحو النص" العـــربي، وقضــــايا مثل:التكرار والتضام والربط بأشكاله المختلفة، تمثل صلب البحث في هذه المؤلفـــات، باعتبارها ظواهر أساسية لتضافر عناصرها في تماسك بنية النص، وهي قضايا أساسية بالنسبة لـــ"نحو النص" .

٢/٠/٤: اتجاه البحث في التفسير/التفسيري :

تشكلت الملامح الأساسية لهذا الاتجاه بالنسبة لتحليل النص القرآني في وقت مبكر " وقـــد أتاحـــت لهم طبيعة عملهم أن يقدموا تفسيرات ملحوظة إلى جانب المقولات النظرية في مواضـــع من تفسيراتهم للنص القرآني، وبروز دورها في تحقيق الترابط بين أجزاء النص القرآني، وإمكـــان دراســـتها في سياقات متباينة، وفي أبنية مختلفة في إطار القرآن وحده، دون توسع في معالجة الربط في نصوص أخرى" [1] .

وقد تضمن الاتجاه التفسيري العام عدداً من الاتجاهات التي تقع داخل دائرته بما شكّل مـــنها اتجاهات تفسيرية متباينة، فثمة تفسير بالمأثور وثان بالرأي المحمود وثالث بالرأي المفهوم، وواضـــح أن هـــذه التفاسير- على الرغم من التباين فيما بينها ــ قريب من قريب، وأن هذه التفريعات، إنما هي في عاقبة الأمر وخاتمته، تصب في رؤى مختلفة، تعمل جميعها على إثراء النص القرآني من جهات عدة، وحاصل القول إنها تعتمد زوايا متباينة منها : الاتجاه الذي يركز جاهداً عـــلى القصـــص القرآني، كتفسير ابن كثير، ومنها ما يعتمد الجانب البلاغي والنحوي كتفسير "الكشـــاف" للزمخشـــري، أما تفسير القرطبي والطبري، إنما يوضحان جوانب لغوية وقراءات قرآنـــية، إضافة إلى عدد من القضايا الأخرى، وإذا كانت هذه التنوعات التفسيرية لا تخرج عن كونهـــا جملة واحدة، فذلك لقاء اتجاه إيدولوجي آخر، أعني به تفسير الإسماعيلية، إذ يقوم على دعامات أخرى مغايرة لمنطلقات الاتجاه الأول .

ونشـــير إلى أن ثمة اتجاهاً آخر، يمكن أن يضاف من خلال تصورين/موقعين ، الأول : يقـــع ضمـــن حوزة الاتجاه التفسيري ، من خلال الاتجاه العـــام في هذه المؤلفات . الثاني : أنه يمثل بداية فعـــلية للبحث في الإعجـــاز القـــرآني، ويمثـــل هـــذا الاتجاه كـــل من الفـــراء

(1) د. سعيد حسن بحيري : من أشكال الربط في القرآن الكريم ص ٨٠ .

(ت ٢٠٧هـــ) : معاني القرآن . أبي عبيدة (ت٢١٠هـــ) : مجاز القرآن . الزجاج (ت ٣١٠ هـــ) : إعراب القرآن المنسوب للزجاج، ومعاني القرآن وإعرابه . النحاس (ت ٣٣٨هـــ) : إعراب القرآن، على سبيل المثال لا الحصر .

وتشكّل هذه المؤلفات جوهر البحث في هذا الاتجاه، واعتماداً على هذا النهج تحددت السـمات والمبادئ الأساسية له في إطارها العام، إلا أن استظهار هذه الدراسات يبين بوضوح الموائز الخاصة لكل دراسة على حدة، وفي تصوري أن هذا الاتجاه يمثل نموذجاً مهماً للبحث في الإعجـــاز اللغوي للقرآن، بشكل ضمني، إذ لم تشر هذه المؤلفات إلى أنها أقيمت في الأصل لهذا الهـدف . ومن ثم تحتاج إلى دراسة موسعة في ظل الاتجاه النصي؛ لمقارنة النصوص واستخلاص النـــتائج الـــتي يمكـــن أن يفيد منها علم اللغة الحديث، فيما يشبه التواصل البحثي بين القديم والحديث .

٢/٠/٥: اتجاه البحث اللغوي :

جاء عمل هذا الاتجاه في صورة تقديم تفسير/شرح لعدد من القصائد لعيون الشعر العربي القـــديم، كتلك التي قدمها الزمخشري(ت٥٣٨هـــ) وابن كيسان(ت٢٩٩هـــ) للامية العرب للشـــنفرى، وشرح معلقة طرفة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل بن الجراح لابن الأنباري، وشرح قصيدة "بانت سعاد" لابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـــ)، وشرح معلقة امرئ القيس لابـــن كيسان، وشرح معلقة عنترة برواية أبي بكر أحمد بن محمد الفضل الجراح لابن الأنباري، وشرح ديوان زهير بن أبي سُلمى للإمام أبي العباس ثعلب (ت ٢٩١هـــ) .

وتعـــتمد هذه الشروح جميعها على تقديم تحليل، إما بالاعتماد على تقديم تفسير لمعاني الكلمات المعجمية، أو التركيز على الناحية الإعرابية، ومما لا شك فيه أن هذا الصنف من تفسير الخطاب، يعطي مبادئ أولية، ويتبين هذا بشكل أكثر بروزاً في تقديم مفاتيح الكلمات، وما يقوم بـــه الإعـــراب من إيضاح لجانب من جوانب العلاقات التركيبية، وإن كان هذا لا يرقى إلى ما نطمح إليه في هذا البحث .

٢/٠/٦: اتجاه البحث في الإعجاز القرآني :

انشغل الباحثون في إعجاز القرآن الكريم بقضايا مختلفة شكلت جميعها أساساً للبحث فيه، وإن نال الإعجاز اللغوي والبلاغي حظاً موفوراً من الباحثين باعتباره مناط الإعجاز الحقيقي، حسْب رأي جمهور الباحثين فيه، وبالتالي جاءت المؤلفات في هذا الجانب كاشفة عما يمكن أن يمثل سبكاً وحبكاً للنص القرآني من جهة، وتضافر عناصره من جهة أخرى .

جاء كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني يمثل نقطة تحول فاصلة في تاريخ البحث في هذا الاتجاه، كما أن كتاب "معترك الأقران"، يحتاج إلى من يكشف عنه اللثام، وأن يسكن مسكنه من الدراسات العربية التراثية التي يمكن أن يفيد منها الدرس النصي، فيما يعرف بالتواصل البحثي الذي ربما يعكسه هذا البحث، أو يعكس جوانب منه، وسوف يركّز هذا البحث على المعايير الأساسية التي ركز عليها أصحاب هذا الاتجاه، وإن كنّا لا نغفل العناصر العامة الأساسية لدى أصحاب الاتجاهات النصية من خلال التراث .

وإذا كانت تلك الاتجاهات متفاوتة في كيفية التركيز على تلك العناصر بما يشكّل منها سمة فارقة، فإننا نعرض موجزاً للعناصر الأساسية عند أصحاب كل اتجاه في المطلب التالي :

٢/١ : معايير النص في الاتجاهات التراثية :

٢/١/١: معايير النص في الاتجاه النقدي(*) :

١ ـ تماسك المفاصل:

أ ـ أن يكون متماسك النسج

ب ـ أن يكون نمط النظم مناسباً للغرض .

ج ـ تقديم المهم فالأهم .

د ـ أن تكون بين أبياته علاقة اقتضاء:كالسببية والمحاكاة والتفسير..الخ .

(*) استخلصنا معايير النصية لكل من الاتجاه النقدي والبلاغي وأصحاب علوم القرآن والمفسرين من خلال ما توصل إليه الأستاذ محمد خطابي في : لسانيات النص ص ٢٠٥.

٢ـ تماسك الفصول :

أ ـ استمرار عرض الفصل السابق في اللاحق .

ب ـ أن تكون الفصول متصلة العبارة والغرض .

ج ـ أن تكون الفصول متصلة العبارة دون الغرض .

د ـ أن تكون الفصول متصلة الغرض دون العبارة .

٣ـ العلاقات بين الفصول :

أ ـ الانتقال من الجزء إلى الكل أو العكس .

ب ـ أن يكون رأس الفصل دالاً على بقية الفصل (بحيث تكون الأبيات التي تليه تتمة له...) .

جـ أن يكون آخر الفصل (القصيدة) استدلالاً على ما تقدم منه (منها) .

٢/١/٢: معايير النص في الاتجاه البلاغي :

١ـ المستوى المعجمي :

أ ـ المطابقة ب ـ التكرير:رد العجز على الصدر ـ البناء ـ المناسبة .

٢ـ المستوى الدلالي :

ـ مبدأ الإشراك : * معنى الجمع ، الشريك والنظير * التضام العقلي * الجامع العقلي * الجامع الوهمي * التمثيل * التأكيد، الإيضاح، نقصان المعنى * صيغة الخطاب .

٣ـ المستوى التداولي :

ـ تقدير السؤال ـ التضام النفسي ـ الجامع الخيالي ـ اختلاف الأفعال الكلامية وتدخل المقام لرفع الاختلاف .

٢/١/٣ : معايير النص في اتجاهي الباحثين في علوم القرآن والمفسرين :

١ ـ المستوى النحوي : أ ـ العطف ب ـ الإحالة ج ـ الإشارة .

٢ــ المستوى الدلالي :

أ ــ موضوع الخطاب　　ب ــ تنظيم الخطاب

ج ــ ترتيب الخطاب　　د ــ العلاقات : البيان والتفسير الإجمالي والتفصيل : العموم/الخصوص .

٤/١/٢ : معايير النص في الاتجاه اللغوي :

١ــ المستوى المعجمي : تفسير الكلمات ــ التكرار، الإعراب .

٢ــ المستوى النحوي : العطف، الإشارة .

غير أن اللافت للنظر في هذه الاتجاهات المختلفة، أنها ليست واحدة، ومن ثم نرى تداخلاً من جهة، ومفارقات من جهة ثانية مع اتجاهات أخرى .

٥/١/٢ : معايير النص عند الباحثين في إعجاز القرآن :

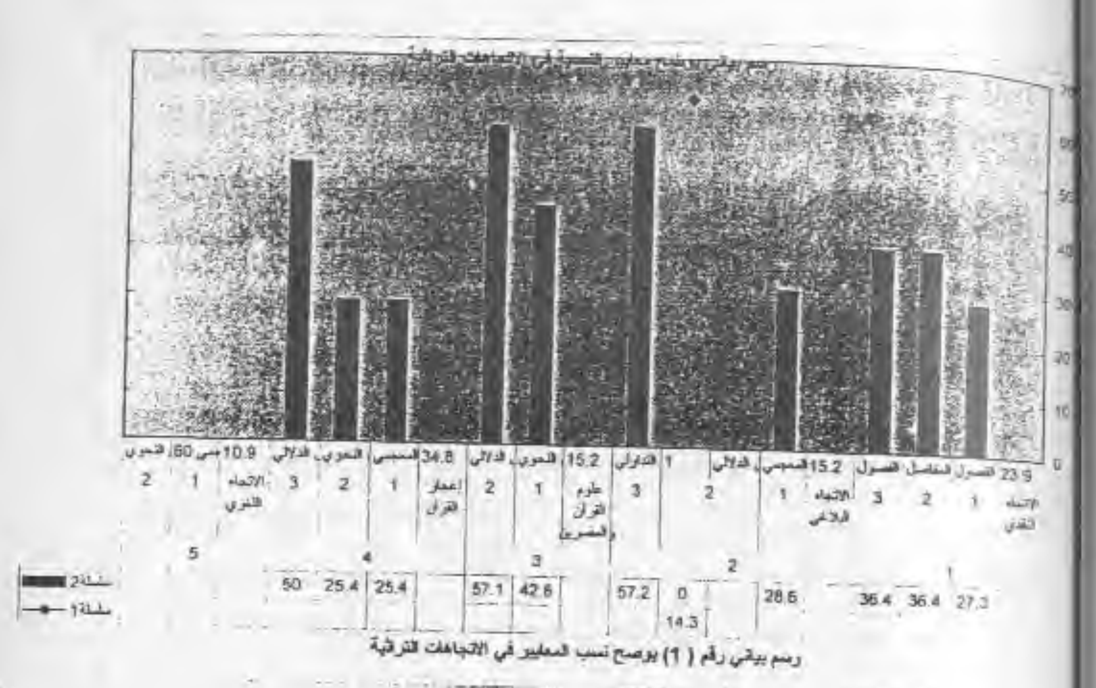
يمكن تلخيص العناصر الأساسية هنا، بناء على ما ورد عند السيوطي في "المعترك" الجزء الأول، تمثلها في الأشكال العامة التالية :

١ــ المستوى المعجمي: العموم/الخصوص – التكرار، الإجمال الإيجاز/الإطناب .

٢ــ المستوى النحوي : الخبر والإنشاء – التأليف والائتلاف – الإبهام .

٣ــ المستوى الدلالي : العدل، الرجاء، التخويف، الحصر والاختصاص، افتتاح السور، المناسبة، تقديم الألفاظ، الناسخ والمنسوخ .

ولاشك أن مثل هذه المعايير معايير عامة لدى أصحاب هذا الاتجاه، وستكشف المناقشة عن تقديم معايير أخرى لدى أصحاب هذا الاتجاه كل على حدة ؛ لاستخلاص المعايير الدقيقة، ولما كان هذا الاتجاه لم يتعرض له أحد من الباحثين، ومن هنا فإننا سنقصر هذا البحث عليه، ويبين المخطط التالي توضيحاً لتلك المعايير الواردة عالياً :



رسم بياني رقم (1) يوضح نسب المعايير في الاتجاهات التراثية

ملحوظات : (١) :

١ــ تتفق هذه الاتجاهات في معايير النصية عند أربعة منهم، خلافاً لأصحاب الاتجاه اللغوي.

٢ــ تبين من المخطط أن هذه المعايير على الرغم من المطابقة العامة في العدد، إلا أنهم مختلفون في التفاصيل وتناول أنواعها.

٣ــ تبين أن المعايير العامة عند أصحاب الإعجاز القرآني واحدة، إلا أن البحث في تفاصيله، ربما يكشف عن معايير أساسية ودقيقة .

٤ــ يتفق اتجاه البحث في إعجاز القرآن وعلومه والمفسرين فيما بينهم في المعايير العامة إلى حد ما، ويبقى التمايز في التفاصيل والتناول .

٥- يتسق الاتجاه اللغوي مع الاتجاه الوارد في رقم(٤) في المعيار المعجمي والنحوي بشكل عام، ويبقى الاختلاف قائماً من حيث عدم ورود المعيار الدلالي .

٦- يفارق الاتجاه البلاغي الاتجاهات الأخرى، من حيث إن معاييره مغايرة في المسمى، وإن كان يتفق مع بعضها في ثنايا التفاصيل للعناصر الأساسية .

٧- يشير المخطط إلى أن المعايير الجوهرية، تنبثق منها معايير في تقسيمات ثانوية على قدر من الأهمية في التحليل النصي .

٨- يوضح الرسم البياني التساوي في القيمة بين المعيار الأول والثاني عند أصحاب الاتجاه النقدي، ويأتي المعيار الثالث أقل منهما بقليل، في إشارة عامة إلى التقارب النسبي بينها.

٩- نتبين من الرسم، أن المعيار الدلالي يمثل أعلى قيمة عند أصحاب الاتجاهات التراثية قاطبة، يليه المعيار المعجمي، وبالتالي فإنهما أعلى معيارين عند أصحاب الاتجاهات في التراث، ويقودنا هذا الملحظ إلى أنهما نالا عناية خاصة، ومن ثم فإنه اتجاه جدير بأن نفرد له هذا البحث، موضحين قضايا الإعجاز اللغوي والعوالق بينها وبين "نحو النص" المعاصر، في محاولة تأصيل له في التراث .

١٠- نستظهر من الرسم أن معياريَ:تماسك المفاصل، تماسك الفصول عند أصحاب الاتجاه النقدي، والمعيار التداولي عند أصحاب الاتجاه البلاغي، والمعيار الدلالي والمعجمي عند أصحاب تياريّ علوم القرآن والمفسرين وردت متقاربة إلى حد ما .

١١- جاء المعيار الدلالي عند أصحاب الاتجاه البلاغي والمعيار النحوي عند أصحاب الاتجاه اللغوي متطابقين من حيث النسبة، وهي أقل نسبة عند أصحاب الاتجاهات التراثية المختلفة .

١٢- جاءت النسبة متفاوتة بشكل كبير بين المعيارين الواردين عند أصحاب الاتجاه اللغوي.

١٣- أشارت نسب المعايير النصية عند أصحاب البحث في علوم القرآن والمفسرين إلى أنها متساوية من حيث العدد ونوعية المعايير .

١٤- نستخلص من المخطط البياني أن نسبة المعيارين: المعجمي والدلالي عند أصحاب الاتجاه البلاغي واحدة، في حين جاء المعيار التداولي، يمثل مفارقة بينه وبين هذين المعيارين .

١٥- ثمة مقارنة بين المعيار الدلالي عند أصحاب الاتجاه البلاغي والمعيار المعجمي عند أصحاب الاتجاه في علوم القرآن والمفسرين، والمعيار النحوي عند الباحثين في الإعجاز، في أن كلاً من هذه المعايير جاءت أقل المعايير عند أصحاب الاتجاهات النصية والتراثية.

١٦- يشير الرسم إلى أن المعيار المعجمي في الاتجاه البلاغي والنحوي عند أصحاب علوم القرآن والمفسرين وأصحاب البحث في الإعجاز المرتبة الثانية عند أصحاب هذه الاتجاهات .

١٧- تفيد الملاحظات إلى أن التيار النقدي لقي اهتماماً ملحوظاً من قبل الباحثين، في محاولة للكشف عن عناصر اتساق وانسجام النص وكذلك التيار التفسيري، وأرى أن هذين التيارين على الرغم من تلك المحاولات التي قدمت، بيد أنها لا تزال تحتاج إلى من يعمق النظر فيها، لتقديم طائفة من المبادئ الأساسية لـ "نحو النص" العربي من خلالهما .

١٨- نخلص فيما ورد سابقاً أن البحث في "إعجاز القرآن" لم يتعرض له أحد من الباحثين، ومن ثم فإن هذا التيار يحتاج إلى وقفة منا، تستوضح معالمه، وتتبين أركانه؛ دعماً للتواصل البحثي بين القديم والحديث .

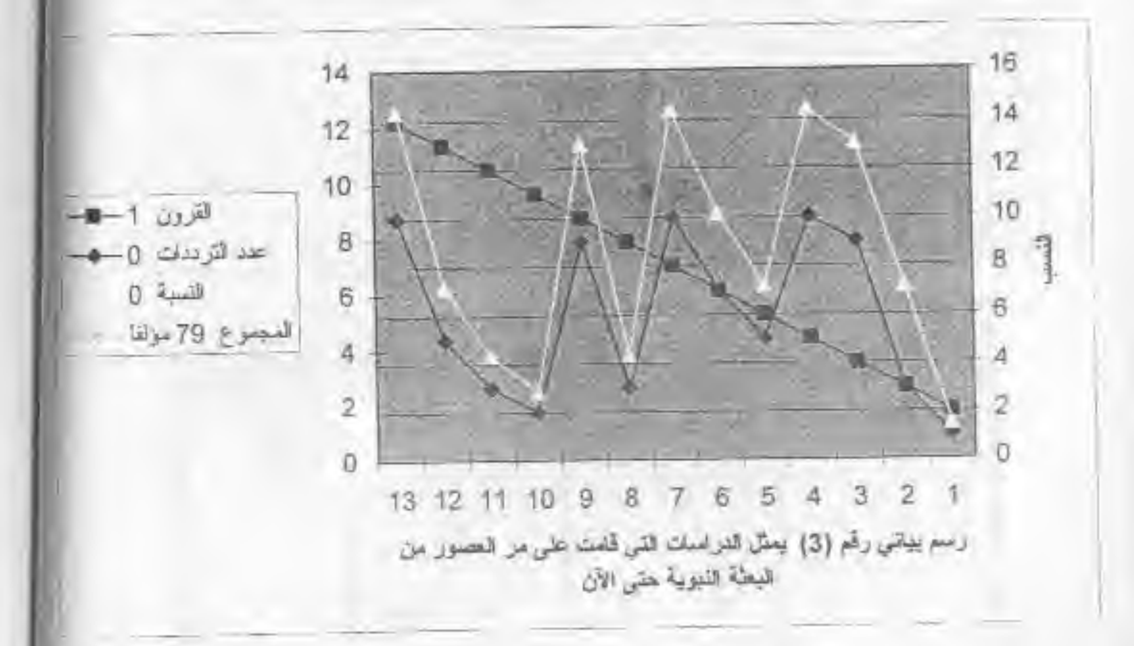
٦/١/٢ :عدد المؤلفات في القرون الإسلامية اهتماماً بالإعجاز القرآني(*) :

القرون	عدد الترددات	النسبة	ملاحظات
٢	١	١,٣	
٣	٥	٦,٣	
٤	٩	١١,٤	بلغت الدراسات
٥	١٠	١٢,٦	(٧٩) دراسة
٦	٥	٦,٣	
٧	٧	٨,٩	

(*) تم تصميم هذا الجدول بناء على الدراسات التي ذكرها الأستاذ نعيم الحمصي في "كتابه" فكرة إعجاز القرآن" .

٨	١٠	١٢,٦	
٩	٣	٣,٨	
١٠	٩	١١,٤	
١١	٢	٢,٥	
١٢	٣	٣,٨	
١٣	٥	٦,٣	
١٤	١٠	١٢,٦	

جدول رقم (٢) بيانات المؤلفات في الإعجاز القرآني عبر القرون الإسلامية



رسم بياني رقم (3) يمثل الدراسات التي قامت على مر العصور من البعثة النبوية حتى الآن

ملحوظات : (٢) :

يمثل الرسم الدراسات حول الإعجاز القرآني في نواح مختلفة .

١- خلا القرن الأول من الدراسات حول الإعجاز القرآني ودراسة واحدة للقرن الثاني[1] .

٢- استوى القرن الخامس والثامن والرابع عشر من حيث عدد الدراسات التي قامت حول الإعجاز، ومثلت هذه القرون أعلى معدل لها من حيث الدراسات عشر دراسات لكل قرن .

٣- استوى القرنان الرابع والعاشر في عدد الدراسات التي قامت حول الإعجاز، تسع دراسات لكل منهما، وهذان القرنان في المرتبة الثانية بعد ما ورد في الرقم(٣) .

٤- جاء القرن السابع في المرتبة الثالثة من حيث عدد الدراسات والاهتمام بقضايا الإعجاز، سبع دراسات .

٥- استوت القرن الثالث والسادس والثالث عشر، خمس دراسات لكل منهم، وهو عدد يجعلها في المرتبة الرابعة من حيث الترتيب بين القرون .

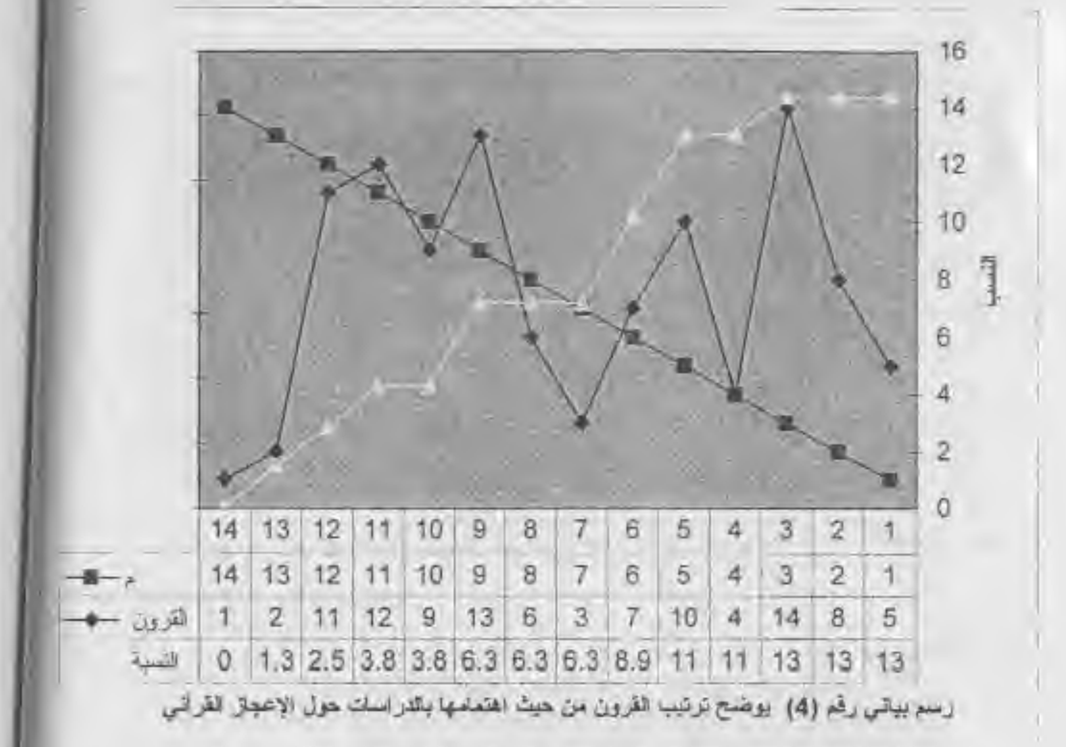
٦- استوى القرنان:التاسع، الثاني عشر، ثلاث دراسات، تجعلهما في المرتبة الخامسة.

٧- أما القرن الحادي عشر، فلم ترد له إلا دراستان، جعلته في المرتبة السادسة، في مقابل القرن الثاني أقل القرون، ممثلاً فيما ورد عند ابن المقفع، يمثل نسبة ١,٣ ، تجعله في المرتبة الأخيرة .

٨- وتعكس هذه الملاحظ تصوراً آخر، يمكن أن ترتب على أساسه القرون من حيث اهتمامها بالدراسات حول الإعجاز القرآني في الشكل التالي :

---

(1) تستقض هذه النتيجة بما توصّل إليه عبد الكريم الخطيب من خلو القرنين الأولين من الدراسات حول الإعجاز القرآني، كما تخالفه في تعويله على عدم وجود دراسات، إلى تهيّب المسلمين. إعجاز القرآن في دراسات السابقين ص ١٨٠، ولا يتسع المقام هنا لمناقشة آرائه التي تحتاج إلى فضل بيان .



	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
م	14	13	12	11	10	9	8	7	6	5	4	3	2	1
القرون	1	2	11	12	9	13	6	3	7	10	4	14	8	5
النسبة	0	1.3	2.5	3.8	3.8	6.3	6.3	6.3	8.9	11	11	13	13	13

رسم بياني رقم (4) يوضح ترتيب القرون من حيث اهتمامها بالدراسات حول الإعجاز القرآني

ملحوظات (٣) :

إذا كان الرسم البياني رقم (١) و(٤) يمثلان دراسات عامة في الإعجاز القرآني، أقصد الإعجاز في نواح مختلفة:العلمي، العددي، الصرفة، اللغوي، البلاغي ... الخ. بيد أن الذي يستوقفنا من هذه الأنواع:اللغوي والبلاغي، وهو الذي يمس دراستنا مساً مباشراً، وإذا اختبرنا ما أورده الحمصي من الدراسات حول الإعجاز القرآني تبين لنا الجدول التالي :

القرن	العدد	النسبة	ملاحظات
١	×	×	مجمـــــوع
٢	×	×	الدراســـات
٣	٢	٣,٧	(٥٤) دراسة
٤	٥	٩,٣	
٥	٤	٧,٤	
٦	٣	٥,٦	
٧	٧	١٣	
٨	٦	١١	
٩	٢	٣,٧	
١٠	٨	١٤,٨	
١١	٢	٣,٧	
١٢	٢	٣,٧	
١٣	٤	٧,٤	
١٤	٩	١٦,٧	

جدول (٥) يوضح عدد الدراسات حول الإعجاز اللغوي والبلاغي، بناء على ما أورده الأستاذ نعيم الحمصي

ملحوظات : (٤) :

١- خلا القرن الأول والثاني والرابع عشر من الدراسات التي تركز على هذا الجانب في الإعجاز القرآني .

٢- يشير الجدول إلى أن القرن السابع والثامن والعاشر تمثل قمة الاهتمام بالجانب البلاغي، وبالتالي فإنها تمثل قمة ما وصلت إليه في هذه القرون كافة .

٣- جاء القرن الرابع الهجري في مرحلة تالية لها، حيث ورد في رقم (٢) من حيث تركيزه على الجانب اللغوي؛ إظهاراً لإعجازه .

٤- أما القرن الخامس، فجاء تالياً في مرتبته للقرن الرابع، في حين احتل القرن السادس المرتبة الرابعة متساوياً مع القرن الثالث عشر.

٥ ـ في حين جاء القرن الثالث، فتساوى مع القرن الحادي عشر، وجاءا في المرتبة الخامسة، بينما جاء القرن التاسع في المرتبة الأخيرة .

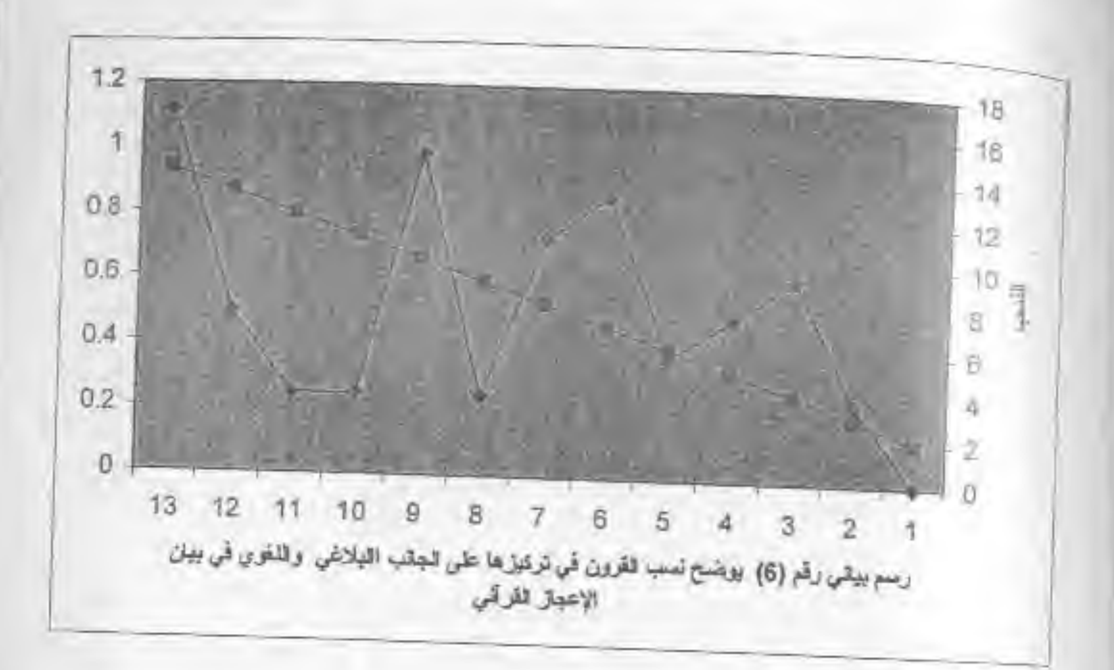
٦ ـ هـذه الدراسات حول الإعجاز اللغوي، منها ما يركز على الجانب البلاغي، ومنها ما يتناول إضافة إليه جوانب أخرى .

٧ ـ إذا كانـت الدراسات التي قامت حول الإعجاز بلغت (٧٩)، بناء على ما جاء في جـدول (٢)، فإن إحصاء الدراسات التي ركزت على الجانب البلاغي بلغت(٤٢) دراسـة ؛ أي ما يعادل٥٣,٢%، مما أورده المفسرون والباحثون في هذا المجال، وهو صـلب البحـث في الإعجاز وإن كانت الجوانب الأخرى للإعجاز تحتل مكانة تصل نسبتها إلى٤٧,٣%، وتؤدي بنا هذه النتيجة أن نولي وجهتنا شطره .

٨ ـ آكـد الجدول رؤية ما توصل إليه أحد الباحثين[1]، أن القرن السادس كان قرن جمود بالنسـبة لهـذا المجال، غير أن الفارق يبقى في كلامه أن مرحلة الركود ، هي المرحلة الأخيرة في هذا المجال ، إلا أن جدول (٥) والرسم (٦) يشيران إلى نتيجة مغايرة ، إذ نلاحظ أن القرن السابع والثامن اللذين يمثلان قمة ازدهار البحث في الإعجاز .

وبالـتالي فإن الرؤية هنا ذات شقين متمايزين، وتبقى ملاحظة أخرى هي تلك المقولة الـتي أشار إليها أحد الباحثين[2] ، أن مسألة الإعجاز اللغوي، هي التي استأثرت بجل الاهتمام سـلباً أو إيجابـاً من إطلالة القرن الثالث وحتى مرحلة الركود[3]، وبالتالي فإن ما تلا ذلك من القول في الإعجاز، لا ينطلق من وجهة نظر لغوية بحتة، وهذه الملاحظة تحتاج إلى إعادة نظر، إذا كانـت الدراسات التي قامت حول هذا الموضوع اتخذت هذا الخط دون تغيير، وإنما ربما يكون حدث فيها تغيير وتطوير .

(1) عمر لطفي : المستشرقون والقرآن ص ١٧٨ (هامش ٣) .
(2) عمر لطفي العالم: المستشرقون والقرآن ص ١٧٨ .
(3) السابق : الموضع ذاته .



رسم بياني رقم (6) يوضح نسب القرون في تركيزها على الجانب البلاغي واللغوي في بيان الإعجاز القرآني

وإذا كانـت هـذه الدراسات التي قامت لإظهار الإعجاز القرآني تنتمي إلى عدد من التـيارات المتباينة ، كما يوضح الجدول رقم (٥)، بيد أنها تحاول أن تركز على الدراسات التي ركـزت بشكل مباشر على الإعجاز اللغوي والبلاغي، مركزين على عدد من الدراسات التي تسـتجلي جوانـب لغوية وبلاغية من تلك العناصر التي تعمل على تماسك وترابط بنية النص القـرآني، بما يخلق منها نصاً محكم الأجزاء، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، وهو ما جعلهم لا يستطيعون أن يأتوا بمثله، ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً.

وتنـتظم هذه الدراسة في تناول مسائل الاتفاق والاختلاف عند أصحاب "الرسائل" و"المؤلفات" في الإعجاز القرآني ونظمه، وقد اخترنا منها ما يقدم المبادئ الجوهرية التي يمكن أن يفيد منها البحث النصي .

وإذا كانـت هـذه الرؤية تعرض للمطابقة في الرؤى من ناحية، والمخالفة من ناحية أخرى، فإن لذلك مرجعاً أساسياً في أن هذا الإجراء يعفينا أن نعقد مقارنة بينهم في ثنايا التحليل،

ويستطيع القارئ أن يستخلص طائفة من الملاحظ التي يحتاج إليها، والتي ربما لم نكن قد دوناها، وهي لا تخفى على القارئ اللبيب .

وبعـد هذا التصور الأولي، عرضنا لرؤية كل فريق منهم من خلال "نحو الجملة" و"نحو النص" من خلال عدد من القضايا الأساسية :

١ــ التصورات والمفاهيم .
٢ــ المكون البلاغي ودوره .
٣ــ ما يشترك فيه النمطان كلاهما .
٤ــ ما يمتاز فيه النمطان كلاهما .
٥ــ طرق التحليل ومعايير الوصف .

الفصل الثاني معايير النص عند الباحثين في إعجاز القرآن

١/٣ : معايير النص عند أصحاب الرسائل :

فاتحة :

تأتي هذه "الرسائل" على هيئة حوار يجريه صاحبها، في محاولة للتدليل على الإعجاز القرآني على الاختلاف بينهم، في الإجراءات المتبعة، وقد نالت هذه الرسائل شهرة لما اكتسبته في تاريخ الثقافة الإسلامية، في مجال من أدقها وأخطرها على الإطلاق. مجال الإعجاز القرآني، وهي ثلاثة رسائل، للرماني (ت ٣٨٦هـ)، والخطابي (ت ٣٨٨هـ)، والجرجاني (ت ٤٧١هـ) .

وتعكـس تواريـخ الوفاة، أن الرماني أسبقهم تأليفاً في هذا المجال، إلى حد كبير، يليه الخطابي. ويأتي الإمام عبد القاهر في وقت لاحق، بيد أن تاريخ الوفاة للرماني والخطابي يعكس من ناحـية أخرى تلك الفترة الزمنية القريبة جداً التي ينتميان إليها، ومن هنا يؤدي هذا الملحظ إلى أنهمـا كانـا يعيشـان في فترة زمنية واحدة، وتتجلى هذه الصورة بشكل أكبر في أن الرماني والخطـابي، لم يتعرض كل منهما للآخر، ربما على أساس حداثة العهد، أو أن أحدهما لم يطلع بشكل أو بآخر على ما كتبه الآخر، على أن ما يهمنا هي قضية العناصر النصية التي اعتمد عليها كـل منهما، وسوف نبدأ بالأقدم، حسب تاريخ الوفاة ؛ ليتسنى لنا معرفة الناقل/الأحدث منهم عن الآخر، ومن ثم نصل إلى مدى الإسهام الحقيقي لكل هؤلاء في الإعجاز القرآني .

غير أننا ينبغي أن نشير ــ اختصاراً ــ إلى أن فكرة الإعجاز عند أصحاب الرسائل قد سارت في طريقين، أحدهما : المنهج الذي سار فيها ابن المعتز وقدامة وتبعهما فيها الرماني ، وهي تعليل الإعجاز عن طريق البديع (البلاغة). الثاني : مذهب القائلين بالنظم والتأليف، وهي طريقة الجـاحظ والآمـدي، وفيها سار الخطابي ، عندما تحدث عن الإعجاز[1] . وسوف نولّي وجهتنا شطر الطريقة الثانية .

---

(1) د. إحســان عباس: تاريخ النقد عند العرب ص٣٣٧، ويرى د.منير سلطان أن نظرية الإعجاز لها جانبان بارزان، الأول : منها فلسـفي جدلي. الآخر : بلاغي أدبي إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ٢٢١.

٣/١/١: معايير النص عند الرماني في: النكت في إعجاز القرآن :

يحدد الرماني بداية أن وجوه إعجاز القرآن، إنما تظهر في سبع جهات : ترك المعارضة مع توفر الدواعي، وشدة الحاجة، والتحدي للكافة، والصرفة، والبلاغة، والأخبار الصادقة عن الأمور المستقبلة، ونقض العادة، وقياسه بكل معجزة [1].

وربما لم نجد في الجهات السبع التي أشار إليها الرماني شيئاً يتعلق بما يمكن أن نعدها عناصر نصية من منظور التراثيين، ونستطيع أن نحصل على هذا في ثنايا تحليله لمعنى البلاغة، وأنها على عشرة أقسام: الإيجاز، والتشبيه، والاستعارة، والتلاؤم، والفواصل، والتضمين، والمبالغة، وحسن البيان[2] . وبالتالي يمكننا أن نعثر على ذلك فيما يتصل بأقسام البلاغة، فإذا كان قد أشار إلى أن جهات الإعجاز (سبعة)، فإن ما نحصل عليه (هنا) من هذه السبعة "البلاغة"، وبالتالي نحصل على ١٠%، مما ورد في إعجاز القرآن .

وتوضح هذه الملاحظة المرجع الأساسي عنده، فيما يتعلق بقضية الإعجاز إذ ليست هي جوانب لغوية، بقدر ما هو كامن في البلاغة، إلا أن هذه الرؤية لا تنفي كلية استعمال هذه المعايير التي تمثل بذوراً للجانب النصي، إن صح التعبير. وما يمكن أن نفيد منه تلك المعايير التالية: الإيجاز، التلاؤم، الفواصل، التجانس، التضمين .

وبناء عليه، فإن المعايير البلاغية التي جاءت عند الرماني، ليست كلها صالحة؛ لأن توظف في الجانب النصي، وإنما تمثل – فقط – ٥٠%، ومن ثم فإن هذا يؤدي إلى نتيجة تعكس أن جوانب الإعجاز، إنما تتأتى، ليس من الجانب اللغوي بقدر ما هو جانب بلاغي في الأساس، وإن كانت هذه الملاحظة لا تفضي في النهاية إلى إهمال الجانب اللغوي، المتمثل في ذلك المزج بين المصطلحات.

وإذا كان الرماني قد ذكر موجزاً لجهات الإعجاز، فإنه لم يشر إلا إلى الجانب البلاغي، وربما يتسق هذا مع الملحظ السابق، أن مدار الإعجاز عنده هي البلاغة ـــ النظم ـــ وإن كان لا

(1) الرماني : النكت في إعجاز القرآن ص ٦٩.

(2) السابق : ص ٧٠ .

ينفي الجهات الأخرى، أعني اللغة تأتي في المرتبة الأولى، ويدل على ذلك أنه وضح جوانبها وذكر أقسامها، وقصر رسالته عليها .

٣/١/٢ : معايير النص عند الخطابي في: بيان إعجاز القرآن :

منذ البداية يعالن الخطابي في وضوح أن القول في هذا الباب قديم، ولم يتوقف حديثاً ولن يتوقف . ويلخص بشكل موسّع، خلافاً لما أورده الرماني موجزاً للمذاهب في هذا، بأن ثمة قوماً قالوا: إن العلة في إعجازه الصرفة؛ أي صرف الهمم عن المعارضة، وإن كان مقدوراً عليها، غير معجوز عنها[1] . وطائفة أخرى ذهبت إلى أن إعجازه، إنما يرجع لما تضمنته من الأخبار عن الكوائن في مستقبل الزمان[2] . أما المذهب الثالث :يرى أن إعجازه إنما هو من جهة البلاغة، وهم الأكثرون من علماء أهل النظر.

وعلى الرغم من تصريحه أن المذهب البلاغي هو مذهب الكثرة الكاثرة من أهل النظر، وهو مذهب الرماني المعاصر له، إلا أنه لا يرتضيه ويورده بعد كلام طويل، ينسبه لأهل البلاغة بقوله : وهذا لا يقنع في مثل هذا العلم، ولا يشفي من داء الجهل به، وإنما هو إشكال أحيل به إلى إبهام[3] .

وإذا كان الخطابي يرد ظاهراً في أول الأمر رؤية البلاغيين، ليس لأنه لا يرتضيها، وإنما لا تعجبه حججهم وأقوالهم في "بيان إعجاز القرآن"، وقد أدى به هذا إلى أن يحاول توضيح هذه الجوانب تفصيلاً في الرسالة، وإذا كان قد ذكر جوانب عدة، فإننا نتقي منها ما يمكن أن يمثل معايير نصية تراثية: الائتلاف والارتباط، التأليف والنظم والتلاؤم والتشاكل، الانتظام والاتساق، الكلام المنظوم، النظم، حسن التأليف، سوء الانتظام، تفصيل الكلام وتقسيم الأبواب، حسن الترتيب، التكرار وتركه، النظم، كلام مبني ومؤلف من كلام العرب، الحذف، الحروف . على أن ثمة ملحظاً أود التنبيه عليه فيما أورده أصحاب الرسائل، يكاد يكون متفقاً في جوهره، مخالفاً في عرضه، ولا أدل على ذلك ما أورده الرماني والخطابي في رسالتيهما

(1) الخطابي: بيان إعجاز القرآن ص ٢٠.

(2) السابق: ص ٢١.

(3) السابق: ص ٢٢.

إن مـــا جاء عند "الرماني" مركزاً على المعايير البلاغية، يتمثل في تحليله وتفصيله لكل معيار منها ، عارضاً منذ البداية لوجود الإعجاز، غير أن الخطابي نحا نحواً مغايراً لما عليه الرماني إذ بـــدأ بعرض معايير الإعجاز بشئ من التفصيل، آخرها عند الإحساس ببيان القرآن وروعته وأولهـــا عنده القول بـــ"الصرفة" التي جاء عرضها فيما مضى، ويتخلل ذلك آراء أهل البلاغة التي لا ترق للخطابي، فراح يوضح جوانبها فيما يشبه تحليل الرماني، وإن كان الرماني قد أفرد لكـــل قســـم من أقسام البلاغة جانباً، وقد جاءت تحليلاته في صيغة سؤال من معترض على جوانـــب نصـــية قرآنية – حسب تصوره – وفي عاقبة الأمر يجيب على هذه الأسئلة، ويوضح جوانب الإعجاز فيها في نواح شتى وجوانب متباينة من القرآن الكريم، وتركز على العناصر التي يمكن أن يفيد منها الدرس اللساني المعاصر .

وما يتميز به تحليل الخطابي، أن كل العناصر تنصب بشكل مباشر على جوانب بلاغية بحـــتة، مـــتمازاً عن الرماني في عدد من القضايا، فإذا كانت رؤية الرماني، تهيمن عليها الجوانب البلاغية؛ أعني تركيزه على الجانب البياني من ذكره الاستعارة والبيان، والتشبيه، فإننا واجدون مفارقـــة واضحة لهذا النهج الذي تميز بسمة تحليلية خالصة، ميزته أو جعلته في مرتبة الموازنة بينه وبـــين الرماني، ذلك أن عناصر الخطابي، جاءت فيما نحن بصدده، أما تحليل الرماني، فجاء منها ٥٠% ــ حسب ما ورد قبلاً ــ وتنتظم هذه الملاحظة مع ما ورد سابقاً .

٣/١/٣ : معايير النص عند الجرجاني في:الرسالة الشافية :

تأتي هذه الرسالة في المرتبة الثالثة تاريخياً، وعلى الرغم من التأخر الزمني، إلا أنها ــ رغم بناء على ما سيأتي من عناصر ــ تعد أغناها بالعناصر الأقرب تارة، والمطابقة تارة أخرى مع تلك المعـــايير التي توصل إليها علماء النص المعاصرون، ونعرض العناصر كالآتي : الديباجة الكريمة، الـــرونق العجيـــب، السبك والنحت، الالتئام، كثرة الماء والرونق، النظم، اللفظ والنظم، لفظ ونظم يوازي نظمه .

٤/١/٣ : مسائل عالقة :

١/٤/١/٣ : جمع وتخليص :

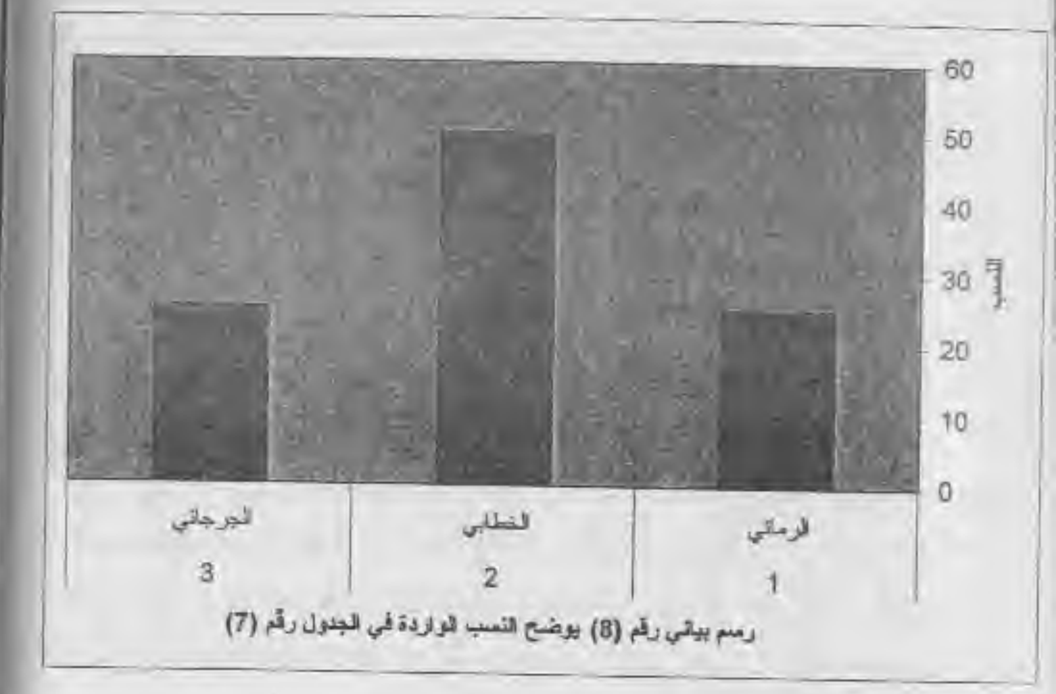
تشير الملاحظات الأولى عندهم إلى التمايز في التناول والعرض، على الرغم من التشابه العام من ناحية المعالجة، وقد أفضى هذا التمايز إلى عدد من المعايير التي تميز بها كل واحد منهم.

فـــإذا كانت تحليلات عبد القاهر فيما يختص بالإعجاز القرآني في محاولته الإفادة من الجانـــب الجمـــالي في تفسير النص، فإنه يترتب على ذلك وجود عناصر نقدية، ميزت ــ فيما مـــيزت ــ عـــبد القاهر عن أصحاب الرسائل، وبالتالي وجدنا عنده:الديباجة الكريمة، الرونق العجيب، كثرة الماء والرونق .

وإذا كانت المعايير الواردة عنده بلغت ثمانية ، فإن ثلاثة منها تتعلق ــ بشكل أكبر ــ بالجانب النقدي/الجمالي، ومن ثم تخرج (٣) ثلاثة عناصر، مما هو نصي بشكل مباشر، من هنا فإن العناصر المتبقية عند الجرجاني تمثل ٦٢,٥% مما هو وارد **له من معايير في "الوسالة"، وبالتالي تخلص إلى** نتيجة مؤداها أنه إذا كان ينطلق من جوانب نصية، بناء على النسبة السابقة، فإنه لم يغفل كلية الجانب النقدي/الجمالي، إلا أن الجانب اللغوي نال مساحة أكبر في مرحلة مبكرة. ويمكن القول إن جملـــة العناصر التي يمكن أن يفيد منها الدرس اللساني النصي، والتي يمكن توظيفها على ما سيأتي في ما يلي من هذا البحث ، قد بلغت(٢٠)عشرين عنصراً ، على الرغم من المطابقة الفعلية بينهم في بعضها، فإن ثمة عدداً منها قد جاء غير مباشر .

م	أصحاب الرسائل	عدد المصطلحات	النسبة	ملاحظات
١	الرماني	٥	%٢٥	عـــدد العناصـــر/
٢	الخطابي	١٠	%٥٠	المعـــايير (٢٠)
٣	الجرجاني	٥	%٢٥	معياراً

جدول رقم (٧) يوضح عدد تردد العناصر النصية عند (أصحاب الرسائل)



رسم بياني رقم (8) يوضح النسب الواردة في الجدول رقم (7)

١- يشير الإحصاء إلى أن الرماني تساوى مع الجرجاني في هذه المعايير، على الرغم من التباين في المنهج العام؛ ومن ناحية أخرى، فإن ثمة مطابقة أولى في تلك الكثرة الكاثرة ، التي تزخر بها رسالة الخطابي، وما لها من أهمية ، وأي أهمية في هذا الجانب ؟!.

٢- كما أن هنالك ملاحظة أود الإشارة إليها ، تتمثل في المفارقة والتمايز بين الخطابي من جهة،والرماني والجرجاني من جهة ثانية، لا تمس ما نحن فيه مساً مباشراً،ومن ثم استبعدت عند كل من الجرجاني والرماني على السواء، في حين يبقى عمل الخطابي – رسالته – ذو أهمية بالغة، وأي أهمية ؟!، وسنأتي إليه في حياله من البحث (ينظر:٣/٣/٣)، وإذا كانت المعايير عندهم (٢٠) عشرين معياراً،فإن هذا العدد،إنما يمثل العدد الإجمالي، ومن ثم فإننا نذكر موجزاً لها : السبك والنحت، الالتئام، النظم، اللفظ والنظم، لفظ ونظم يوازي نظمه، الائتلاف والارتباط، الانتظام والاتساق، الكلام المنظوم ،

التأليف والتشاكل، حسن التأليف، تفصيل الكلام، وتقسيم الأبواب، حسن الترتيب، التكرار، الحذف، الحروف، الإيجاز، التلاؤم، التجانس، حسن البيان، التواصل .

٢/٤/١/٣ : مسائل المطابقة:الرسائل :

تمثل هذه المعايير جملة ما ورد عند أصحاب الرسائل، غير أنه يمكن القول إن هنالك قدراً من المطابقة بين هذه العناصر نوجزها كالتالي :

الالتئام (ج) ← التلاؤم عند (ر)
النظم (خ) ← النظم (ج)
اللفظ والنظم (ج) ← الانتظام والاتساق (خ)
التجانس (ر) ← لفظ ونظم يوازي نظمه (ج)
حسن التأليف (خ) ← التجانس (ر)
التأليف والتشاكل (خ) ← الفواصل (ر)

وبناء عليه، فإن أحد عشر معياراً، يمثل نسبة ٥٥% من جملة العناصر عندهم، وهي نسبة تمثل تداخلاً فعلياً بين أصحاب البحث في الإعجاز (الرسائل)، بيد أن هذا التداخل، ليس على إطلاقه، إذ يمكن القول إن التداخل بين كل منهم، ليس كلاً واحداً، ويمكن أن تمثل له بما يلي :

١- ر ← (خ + خ) و (ر + ر)
٢- خ ← (ر + ر) و (ج + ج)
١- ج ← (ر + ر) و (خ + خ)

ونخلص من ذلك بعدد من النتائج :

١- تشير الرموز السابقة إلى أن الخطابي والجرجاني قد نقلا نقلاً مباشراً عن الرماني، ويستويان في عدد النقل التلاقي .

٢ـ يتضح أن المطابقة بين الرماني والخطابي[1]، بناء على أنهما ينتميان إلى عصر واحد، كما يتضح أن الجرجاني نقل – كذلك – عن الخطابي بشكل مباشر وغير مباشر.

٣ـ نستوضح من الجزئية الأخيرة أن الجرجاني أفاد من كل ما أورده الرماني من ناحية، والخطابي من جهة ثانية .

٤ـ ربما تشير المقاربة المنهجية بين كل من الرماني من جهة والخطابي من جهة أخرى إلى التقارب الفكري خاصة أن كليهما ينطلق من وجهة نظر بلاغية، مع التمايز بينهما في الإجراءات المنهجية .

٥ـ إذا كانت حصيلة المعايير بلغت(١٥) خمسة عشر معياراً، فإن الثلث يظل واقعاً بلا ريب في دائرة عمل الخطابي، وبالتالي فإن إضافته يمثل٢٥% مما ورد من معايير، وتقاربوا جميعاً في٧٥%، مما جاء من عناصر، وتؤدي هذه الملاحظة الواردة في رقم(٥) إلى أن المعايير النصية التي وردت عند الخطابي منفرداً : تفصيل الكلام وتقسيمه، التكرار، الحذف، الحروف، الكلام المنظوم، هذه العناصر الباقية تمثل الرماني والجرجاني، وما دون ذلك من المعايير الباقية تمثل فيما بينها علائق متشابكة ومتعانقة، وإن لم تكن متحدة .

٢/٣ : معايير النص عند أصحاب المؤلفات :

توطئة :

حظي الإعجاز القرآني لما له من أهمية بمؤلفات عظيمة النفع، وتشير المصادر التاريخية وإحالات الباحثين في هذا المجال إلى عدد غير قليل وكامل غير منقوص، من ذلك ما جاء عند محقق كتاب "إعجاز القرآن" للباقلاني تحت : أشهر من كتبوا في الإعجاز القرآني "إعجاز

(1) على الرغم مما يمكن أن يلاحظ بشكل عام على المطابقة بين الرماني والخطابي، إلا أن تمايزاً قائماً بينهما يتمثل في أن الخطابي لم يقل كما قال الرماني بأن بلاغة القرآن تقتصر على النوع (البليغ الرصين الجزيل)، بل ذهب إلى أنها اخذت حصة من كل نوع من الأنواع الثلاثة، فكان من امتزاج تلك الأنماط نمط جديد بين صفتي الفخامة تنتج عن الجزالة والعذوبة وعن السهولة، وهما صفتان كالمتضادتين.د.إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب ص ٣٣٥.

القرآن" لأبي عبيدة (ت ٢٠٨هـ)، ونظم القرآن للجاحظ (ت ٢٥٥هـ)، إعجاز القرآن في نظمه وتاليفه للواسطى (ت ٣٠٦هـ)، ونظم القرآن لابن الإخشيد وابن داوود (ت٣١٦هـ)، وإعجاز القرآن للرماني (ت ٣٨٣هـ)، وإعجاز القرآن للخطابي (ت ٣٨٨هـ) وبعد الباقلاني جاء الجرجاني بدراساته الفذة، وقد اختصرت من عدد من الباحثين كالرازي في "الإيجاز في دراية الإعجاز"(ت ٦٠٦هـ)، حتى الزملكاني (ت ٦٥١هـ) : المجيد في إعجاز القرآن المجيد، والرافعي (ت ١٩٣٧م) : إعجاز القرآن والبلاغة النبوية .

ويبدو بوضوح القاسم المشترك الذي يجمع بينها، وهي المحاولة الدائبة لتبيان أوجه الإعجاز، ومرتكزات متباينة، مما أدى بها إلى التباين حول العنوان، أو التمايز في اختياره، فهذه الدراسات جاءت تحت عنوانين لا ثالث لهما، إعجاز القرآن، ونظم القرآن، وهي تشترك حول الكشف عن الإعجاز القرآني، ويمثل هذا ملحظاً عاماً .

غير أن الذي يمكن أن نستظهره من الموائز بين هذين العنوانين، أن الإعجاز القرآني، إنما يبحث في مجالات متنوعة ومتغايرة كامنة فيه، والعنوان بهذه الصيغة شامل جامع عام، ينضوي تحته عدد من قضايا الإعجاز .

وتأسيساً على ذلك، يتحدد العنوان الآخر:نظم القرآن، الذي يدل بوضوح على المجال الأساسي لبحث قضية "الإعجاز"، وأن البحث في هذه القضية، إنما هو بحث بلاغي/نحوي، منه المنطلق وإليه المآب، وتمثل هذه علامة مائزة بين العنوانين، وعلى الرغم من ذلك، فإن هذا التمايز لا يلفظ بشكل أو بآخر أواصر القربى/العلاقات التي تجمع بينها .

ولما كانت الدراسات/المؤلفات السابقة غير متوفرة لدى الباحث)، فإن الاكتفاء بالأساسية منها (ينظر:٦/١) من البحث، ربما ينضوي على التصور العام لما يمكن أن يكون تصوراً لـ"نحو النص" العربي .

إن هذه المؤلفات يمكن أن تشتمل على معايير نصية وغيرها، وإننا مدونون ما ينتمي إلى هذا الجانب ومبعدون ما ليس داخلاً فيه، وتعد هذه منهجية مخالفة لما جاء استعماله في "الرسائل"، ذلك أن معاييرها مقارنة بما هو وارد في هذه المؤلفات قليلة، وبالتالي فإن إدراج المعايير الموجودة "في الرسائل" لا يمثل عبثاً، ومن هنا جاءت مثل هذه المخالفة المنهجية .

١/٢/٣ : معايير النص عند الباقلاني في : إعجاز القرآن[1]:

جاءت إشارة الباقلاني منذ البداية مركزة على جوانب من إعجاز القرآن، كتوضيح أن معجزة النبي (صلى الله عليه وسلم) القرآن الكريم، ثم التدليل على أن القرآن معجز، ويؤدي به الأمر إلى جملة وجوه في إعجاز القرآن، وإذا كانت هذه الوجوه جاءت موجزة، فإنه يوضح ويفصّل بشكل أوسع كـ:نفي الشعر، والسجع، والبديع عن القرآن، وهلم جرا. وينبغي أن نقرر هنا أن الباقلاني قد أفاد من عدد من الباحثين قبله ، كابن قتيبة، والآمدي والخطابي[2].

ونلاحظ هنا بشكل عام، أن عناصر كثيرة عند الباقلاني تنتمي الى النقد الأدبي، وهذا ما حدا بمحقق الكتاب أن يفرد جزءاً من مقدمته التي صدّر بها الكتاب عن أثره في النقد الأدبي[3]، وهي تحتاج من يعمق النظر فيها وإنا مستظهرون هذه العناصر عنده كالتالي :

المبالغة والغلو، الإيغال، التوشيح، المضارعة، التكافؤ، باب التعطف، السلب والإيجاب، الإشارة، بديع النظم، عجيب التأليف، بديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين، حسن النظم، والرصف، الفصل والوصل، والعلو، العكس والتبديل والنزول، والتقريب والتبعيد، الضم والجمع، جودة النظم، الكناية والتعريض، وحسن الوصف، المختلف والمؤتلف، والمتباين والمتناسب، والمتنافر في الإفراد إلى حد الآحاد، المماثلة، المطابقة، التجنيس، الموازنة، المساواة، رد العجز على الصدر، صحة التقسيم، صحة التفسير، التكميل والتتميم، الترصيع، الترصيع مع التجنيس، الالتفات، التكرار، التذييل، الاستطراد، الاستثناء، الاستعارة، التشبيه .

تلكم هو ما استظهرناه من معايير عند الباقلاني فيما يتعلق بما نطلق عليه عناصر نصية، وليس من قبيل الصدفة القول إن الدراسات التي قامت حول "إعجاز القرآن" تبدو لنا دراسات

---

(1) إذا كان الباقلاني له عدد من المؤلفات الأخرى في هذا الباب، كالتمهيد والانتصار، فالتمهيد كتاب في العقيدة بوجه عام، يدخل إعجاز القرآن فصلاً فيه، "والانتصار" خاص بعلوم القرآن يبحث تاريخه ونقله وسوره...إلخ. أما "إعجاز القرآن" فهو دراسة تامة شاملة للمسألة. د.محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد الأدبي إلى آخر القرن الرابع الهجري ص ٢٦٨ وآراء الباقلاني في إعجاز القرآن ، هي الدراسة الناضجة لما جاء في هذه الكتب، ص ٢٧٩. ومن هنا كان الاقتصار عليه .

(2) د. إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب ص ٣٣٩.

(3) ينظر حول تأكيد هذه الفكرة عند د. إحسان عباس : تاريخ النقد عند العرب ص ٣٤٦.

نصية، فيما اصطلح عليه حديثاً، وهي كذلك ــ إن شاء الله ــ ويؤكد هذه النظرة ما تمخض عنه من ملاحظ منثورة فيما بعد .

٢/٢/٣ : معايير النص عند الجرجاني في : دلائل الإعجاز :

إذا كانت "الرسالة الشافية" للجرجاني، قد احتوت على عناصر أساسية في كثير من جوانبها في "نحو النص" فإنني على يقين ليس عليه ظل لريب، في أنها تمثل البذور الأولى لكتاب "دلائل الإعجاز"، ويؤكد هذه الرؤية بشكل أولي أن المعايير في "الرسالة الشافية" ثمة، تتكرر بشكل أكثر تفصيلاً هنا في "الدلائل" بيد أننا هنا يمكن أن نوجزها في :السجع/ المقابلة/التجريد، الجناس(التجنيس)، المزاوجة، النظم، تعلق الاسم، الكلم، تعلق الحرف، تعلق بمجموع الجملة، تعلق حرف النفي والاستفهام والشرط والجزاء، وما يدخل عليه التقديم والتأخير، الحذف، الفصل والوصل، اللفظ والنظم، القصر والاختصاص، الموازنة .

هذا هو موجز العناصر التي وردت عنده، والذي يمكن قوله إنها على الرغم من قلتها، إلا أن كل واحد منها قابل لأن يتفرع عنه عدد من العناصر التي تنتمي إليه أو تندرج تحته، وهذا الملحظ يميز الجرجاني عن الباقلاني، الذي جاءت تفسيراته في مواضع محددة .

وتؤدي هذه الرؤية إلى التمايز بين عملهما في التحليل والعرض من جهة، وتعكس بشكل مؤكد ذلك التغير في التحليل والرؤية التي جسدها الجرجاني بشكل لافت للنظر في تاريخ البلاغة من جهة ثانية، وفصل القول في تلك المعايير عند الجرجاني إن "النظم" مدار الإعجاز، وعليه تدور أحداث الكتاب بشكل لا يدع مجالاً لريب .

٣/٢/٣ : معايير النص عند الجرجاني في:أسرار البلاغة :

مما تجدر الإشارة إليه أن "أسرار البلاغة" يضم مجموعة من العناصر التي يمكن توظيفها في عقد الصلة بين الدراسات التراثية واللسانيات النصية بوجه خاص، وربما يتساءل متسائل، لماذا أسرار البلاغة ؟، وإنما ينتقي من الاتجاهات التراثية، ما يتناول الإعجاز القرآني، لما يلي :

١ــ أن عبد القاهر لم يكن يفصل بين ما عُرف بعد بـ"علم البديع"، ومن ثم اشتمل "أسرار البلاغة على عناصر نصية، أراها غاية في الأهمية، يمكن أن توظّف التوظيف الأمثل في التحليل النصي والإفادة منها .

٢ـ أن دراسات عبد القاهر لا يمكن أن تنفصل إحداها عن الأخرى، وبالتالي جاءت دراساته؛ لتكوّن نظرية في البلاغة العربية، فيما عُرف بـ"نظرية النظم"، ومن هنا فإن إدراج "الأسرار" ضمن هذا المجال ليس فيه كبير إجحاف على الاتجاه في الإعجاز القرآني، ويؤدي هذا التصور إلى محاولة حصر المعايير التي تفيد الجانب النصي:الجناس، السجع[1]، الحسن والقبيح، حسن التأليف، حسن الكلام بالمعاني لا بالألفاظ .

وعلى الرغم من قلة المعايير إلا أنها توضح جوانب لدى الجرجاني ليست واردة في "الدلائل"، وهي موجودة عند أصحاب المؤلفات في الإعجاز، ومن ثم يتسنى لنا إضافة إلى ما سبق أهمية العناية بهذا المؤلف لدى الجرجاني، على الرغم من مغايرة موضوعه العام، إلا أن هذا يؤكد أننا نعتمد بعض المؤلفات التي لا تنتمي في عمومها إلى مجال الإعجاز، محاولين تقديم تفسير أوضح وأعمق لجوانب لسانية .

٤/٢/٣ : معايير النص عند الرازي في:نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز:

يشير مقدِّم الكتاب إلى أنه تلخيص لـ"الدلائل" مع كتب أخرى كـ"مفتاح العلوم" لأبي يعقوب السكاكي، والزمخشري في "الكشاف" وعلى الرغم من هذا التصريح، فإن الملاحظات العامة، تعكس الفروق بين طريقة العرض، التي تظهر الخلاف بين عقلية الرجلين، والغايات والمقاصد من وراء دراسات كل منهما. وعلى الرغم من ذلك، نجد للرازي تعبيرات لسانية/نصية نستعرضها فيما يلي:الدلالة اللفظية، التجنيس، رد العجز على الصدر، الحذف، تركيب الحروف، الدلالة الالتزامية، دلالات الألفاظ، السجع، الترصيع، الدلالات المعنوية، النظم، التقديم، التأخير، الفصل والوصل، العطف، الإيجاز .

وما يمكن أن يلاحظ على تلك العناصر التي وردت عند الرازي، أنها تعكس تلك التي أوردها الجرجاني، وغذّاها برؤيته هو، حتى أننا لا يمكننا القول مباشرة بأنه لخّص آراء الشيخ

---

(1) يتفق هذا الاستخلاص مع ما ذهب إليه د. العمري من أن اهتمام عبد القاهر الجرجاني بعلم البديع كان محدوداً، بيد أنه يرى أن الجرجاني من خلال هذين الفنين قدم منهجاً فذاً .المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ص ٢٤٩.

تلخيصاً مباشراً، ويتبدى ذلك بوضوح في رقم (٤/٧ من البحث) التي تظهر التفارق في معالجة الرجلين .

والذي يتجلّى بوضوح – أيضاً – أن الرازي عكس في "الإيجاز" معايير بلاغية صرفة، وردت عند الشيخ في مواضع أخرى كالتشبيه، ومن هنا يمكن أن نرى خلافاً لما ذهب إليه مقدّم كتاب "الإيجاز" أنه تلخيص لآراء الجرجاني في "الدلائل"، وإنما هو الإفادة وتقديمه في إطار جديد، وتطعيمه بآرائه ورؤيته الفلسفية من ناحية، ومن جهة أخرى تقديم فكر الجرجاني بشكل عام ويؤكد ذلك أن الرازي عكس ذلك في "الإيجاز" حينما عرض في القاعدة الرابعة(الاستعارة) جانباً مما أورده الجرجاني في "الأسرار" بشكل موسّع، وفي "الدلائل" بشكل موجز.

وربما توضح هذه الرؤية، أن الرازي يحاول أن يقدم رؤية الجرجاني في إطار جديد، إلا أن المواتر بينهما تظل باقية، وتحقق ذلك من خلال أن الرازي، لا يرى النظم وحده، هو الذي عليه المعول الأساسي في قضية الإعجاز، وبالتالي يكمن التفارق والتخالف في أن الرازي يحيل الإعجاز إلى عدد من القواعد التي تنطلق من أقل وحدة في بناء الكلمات – حسب تعبيره – إلى أكبر وحدة، وهو النظم، وجوانب أخرى كالبيان .

وعلى الرغم من هذه المواتر، فإن المقاربات تظل باقية ، تتمثل في أن المعايير النصية لديهما تمثل عناصر أساسية (ينظر:٢/٢/٣ ٢/٨/٢/٣ من البحث) تتفرع عنها معايير أخرى ثانوية، وبالتالي فإن هذه التقسيمات عندهما تبدو في هذه القسمات بوضوح .

٥/٢/٣ :معايير النص عند الزملكاني في:المجيد في إعجاز القرآن المجيد :

وما يمكن أن نعثر عليه عند الزملكاني هو الركن الثاني:مراعاة أحوال التأليف. والركن الثالث:معرفة أحوال اللفظ، وهذا يمكن أن نظهره كالتالي : تقديم الاسم على الفعل، التأخير، خبر المبتدأ، الإيجاز، التأكيد، الحذف، الفصل والوصل، دلالة الكلام، التجنيس، الترصيع، الالتفات، اللف والنشر، التفسير، رد العجز على الصدر، المساواة، العكس والتبديل، الرجوع، الاستطراد، الاستهلال، التخليص، الترديد، التتميم، التنبيه. وعلى الرغم من أنه لم يلخص ما أورد الشيخ الجرجاني، إلا أننا لا نعدم المقاربات المائلة التي تأتي في موضعها من البحث (ينظر:رقم (٣) من جملة النتائج المستخلصة من ملحوظات: ٦، ٧ من البحث) .

٦/٢/٣: معايير النص عند السيوطي في:معترك الأقران في إعجاز القرآن:

تبدى قسمات المفارقة في هذا الكتاب، أنه بداية من الجرجاني في مؤلفاته، التي مثلت فتحاً مبيناً في الدراسات البلاغية بعامة، وفي الإعجاز القرآني بخاصة، جاء الخالفون وركبوا مطيته، وقدّم كل منهم فلسفة الجرجاني في إطار مختلف، حتى الزملكاني، إلا أننا ملاحظون هنا عند السيوطي سمتاً مغايراً في طريقة العرض، وإن جمعتهم في العاقبة غاية واحدة، يمكن أن توسّع من رصيده؛ لأن قضية الإعجاز ـ في نظره ـ متشعبة شعباً متعالقة ومتداخلة، عرض لها في إطار منهجية مركزة ومحدودة .

على أن ما أريد الإشارة إليه، تلك النظرة المخالفة، التي أراها فاحصة ، وهي تلك التي ذهب إليها السيوطي، ويفضي بنا هذا الرأي إلى اعتبار هذا الكتاب أجرأ محاولة مخلصة في هذا المجال، ولّت وجهتها شطر الإعجاز القرآني الخالص. وجعلته مجالاً خصباً لها، ولم يحاول أن يقدم مادة شعرية تحديداً للإطار؛ وتوضيحاً للمنهج، وسوف أقف عنده على جملة من المعايير كالتالي : حسن التأليف، التئام الكلام، مراعاة المناسبة، الارتباط، التقديم، العموم، الخصوص، الإجمال، التبيين، التفسير، الإيجاز، الإبهام، الحصر، الاختصاص، التقديم، التأخير، النظم، الفواصل، السجع، التصدير، التوشيح، التخلص، حسن المطلب، براعة الاستهلال، افتتاح السور وخواتمها، ترتيب السور، الحذف، التأكيد، التكرير، الإعادة، التفصيل بعد الإجمال، الإيضاح بعد الإجمال، الزيادة بالحروف، الأحرف الزائدة، الاقتناص، التكميل، التذييل، التتميم، التعليل، المزاوجة، المبالغة، المشاكلة، حسن النسق، التقسيم، المطابقة، الترصيع، المقابلة، الموازنة، المراجعة، النزاهة، الإبداع، السبر والتقسيم، القول بالموجب، التسليم، الإسجال، الانتقال، المناقضة، المبهمات، التخصيص والعرض، حرف تخصيص، إنكار، الإلصاق والتعدية، الاستعانة، السببية، المصاحبة، التبعيض، الغاية، المقابلة، التشريك، الترتيب، المهملة، الاستحقاق، الاختصاص، الملك .

ويشير استقراء المعايير التي أوردنا بعضها أن "المعترك" يضم عدداً من التيارات التراثية المختلفة، ومن ثم يحوي عناصر:فقهية، ولغوية، ونحوية، ونحو وظيفي/دلالي وتفسيرية، وبناء على

ذلك يمكن القول إنه موسوعة بحثية، يضم عدداً من العلوم التي رأى أن تآزرها وتكاتفها، إنما يقدم في النهاية توضيحاً وكشفاً للإعجاز القرآني.

ويمثل "المعترك" تحولاً مهماً في كيفية معالجة الإعجاز والنظر والبحث فيه، فإذا كانت دراسات أصحاب الرسائل، تمثل بذوراً أولى، فإن الجرجاني قد أعطى لها كياناً خاصاً، ونظر إليها نظرة مختلفة، عما عليه الحال عند سابقيه، وهكذا يؤدي هذا التصور إلى أنه يمكن أن تمثل المراحل التي مر بها البحث في الإعجاز كالتالي :

المرحلة الأولى :

جاءت هذه الدراسات فيما تشبه البذور الأولى ونباتاً حسناً استغله الخالفون وطوروه فيما مثل معايير محددة، وتمثل الرسائل هذه الدراسات التي قامت حول القرآن (ينظر:١/٣) .

المرحلة الثانية :

هذه المرحلة تمثل البداية الفعلية لتلك المعايير، إذ أخذت تتحدد ملامحها وتتشكل في معان ودلالات كانت غائبة عند أصحاب الرسائل، ويعبّر "نهاية الإيجاز" للرازي عن هذه المرحلة بشكل دقيق .

المرحلة الثالثة :

أخذت تتشكل المعايير لديه بحيث صارت منهجاً لغوياً وبلاغياً واضح المعالم، وأخذ يضيف كل لاحق إلى السابق ليزداد التحليل والكشف عن إعجاز القرآن عمقاً ووعياً بأسراره، وهكذا بلغت هذه المرحلة قمة نضجها عند الزملكاني في "المجيد في إعجاز القرآن المجيد" .

المرحلة الرابعة :

وتعد هذه المرحلة خلاصة ما أورده السابقون بشكل عام، وبناء عليه، نجد عندهم معايير مكررة ، تعطي معنى واحداً (ينظر: ٥/٧ من هذا البحث) ، ومن ثم فالنقل لم يكن بعناية وتمحيص، بقدر ما كان نقلاً لآراء السابقين، وهذا ما حدا بالسيوطي في كتابه "المعترك"، الذي يمثل هذه المرحلة خير تمثيل .

المرحلة الخامسة :

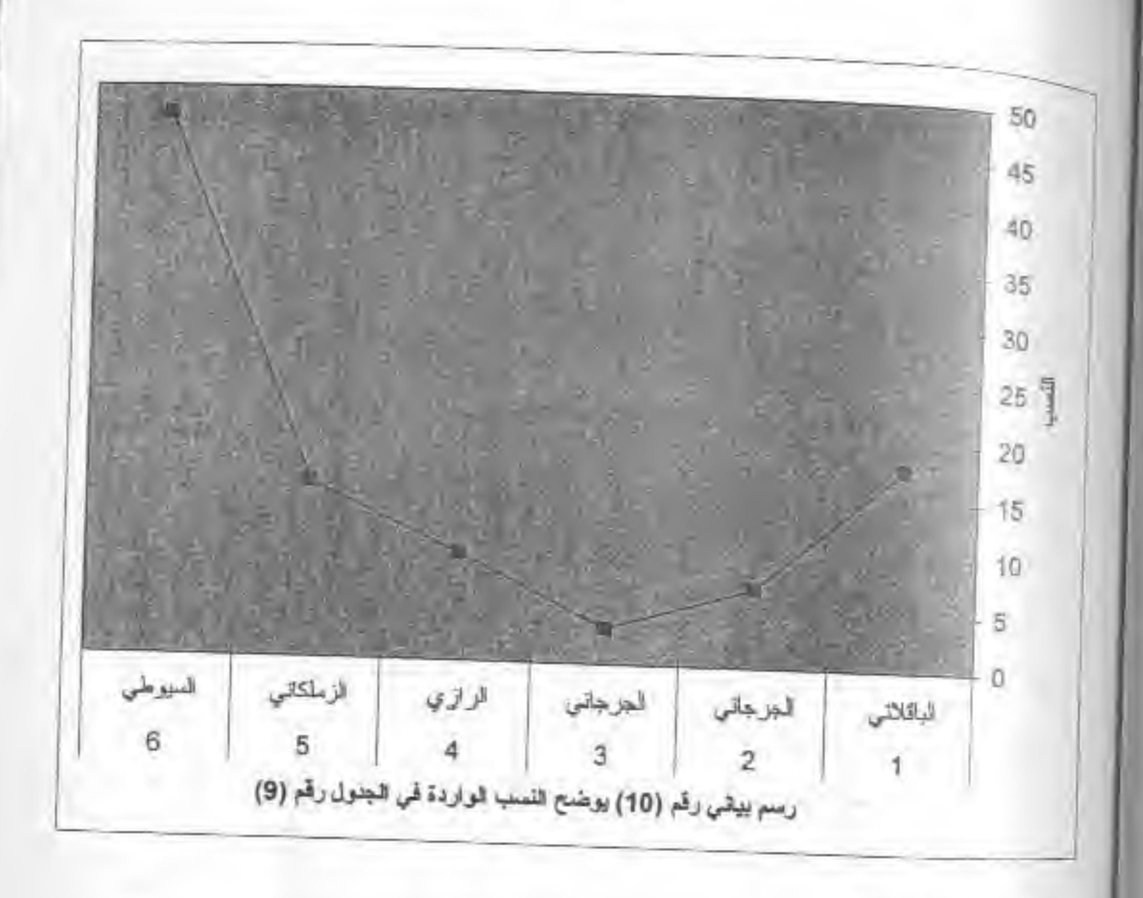
لا يعتمد "مباحث البديع" الكشف عن الإعجاز، وإنما ينطلق من مذهب نحوي خالص، وهكـذا نجـد مصـطلح "البديع" لا يرد عندهم إلا لماماً، وعلى رأس هذا الاتجاه عبد القاهر الجـرجاني في "الدلائل" و "الأسرار" وعند الرازي في "نهاية الإيجاز في دراية الإعجاز"، غير أن السكاكي شارح "الدلائل" ينهج نهجاً مفارقاً للجرجاني والرازي في إقامة المجال للبديع ودوره في سبك النص وحبكه، وهو ما لم نلمحه في عمل الرجلين، ومن هنا فإن دوره ليس دور الحلية والتزيين، وإنما أعمق في بناء النص وتماسك أجزائه .

٧/٢/٣ : جمع وتخليص :

إذا كانت الملحوظات العامة ترى أن الجرجاني وسّع وطوّر المنهجية البحثية التي ظهرت جلـية في عناصـره، وجاء الخالفون وتفرقوا شعباً وقبائل، لاختلاف الرؤى والمذاهب، إلا أن السـيوطي يمثّل مرحلة مختلفة لما قام عليه بحثه في الإعجاز من دعائم أقوى ورؤية اشمل مما عليه السابقون، وقد أدى بهم إلى التغاير بين تلك المراحل في استعمال المعايير .

م	الاسم	عدد المعايير	النسبة	الكتاب	ملاحظات
١	الباقلاني	٢٨	%١٧,٧	إعجاز القرآن	المجموع
٢	الجرجاني	١١	%٧	الدلائل	الكلي
٣	الجرجاني	٥	%٣,٢	الأسرار	(١٥٨)
٤	الرازي	١٥	%٩,٥	نهاية الإيجاز	معياراً
٥	الزملكاني	٢٤	%١٥,٢	المجيد في القرآن	
٦	السيوطي	٧٥	%٤٧,٥	معترك الأقران	

جدول رقم (٩) يمثل إجمالي المعايير التي وردت عند أصحاب المؤلفات



رسم بياني رقم (10) يوضح النسب الواردة في الجدول رقم (9)

ملحوظات : (٥) :

١ـ مثّل "المعترك" أعلى قيمة بالنسبة للعناصر النصية عند أصحاب المؤلفات، فيما يقارب %٤٧,٥.

٢ـ جاءت عناصر الزملكاني تمثّل تقريباً %١٥,٢ جعلته في المرتبة الثالثة .

٣ـ مثلت معايير الباقلاني أعلى نسبة %١٧,٧ وهي نسبة جعلته في المرتبة الثانية .

٤ـ أما الرازي فقد جاء في المرتبة الرابعة بنسبة %٩,٥ .

٥ـ تشـير الجـداول والنسـب إلى أن الجرجاني في كتابيه أنهما حصلا على أقل نسبة في "الدلائل" %٧,٥ و "الأسرار" %٣,٢ .

٦ـ معـايير الباقلاني تمثل %١٧,٧ بزيادة %١، عما ضمه "الدلائل" للجرجاني و "نهاية الإيجاز" للرازي .

٧ــ مثلت العناصر عند السيوطي في "المعترك" زيادة عما ورد عند الباقلاني والزملكاني في "المجيد في القرآن" والجرجاني في "الأسرار" والرازي في "نهاية الإيجاز" ٩١,٩% .

وإذا كانت العناصر الإجمالية في الجدول (٩) تمثل (١٥٨) عنصراً، فإنه يحتاج إلى غربلة، إذ ثمة عناصر تكرر ورودها عند بعضهم، ومن هنا فإننا – فيما يلي – نحاول استخلاص المعايير وهي تمثل معايير المرحلتين؛ لمعرفة التداخل والتشابك المعرفي بين الباحثين .

٨/٢/٣: مسائل الاتفاق والاختلاف بين الباحثين في الإعجاز القرآني من أصحاب المؤلفات

إذا كان كتاب الباقلاني وعبد الجبار هما أقدم مؤلّفين، فإن هذا يؤدي إلى اعتبارهما المركز، الذي سنشير إليه باعتبارهما الأصل، ومن هنا نرى كتباً أو حواراً في بعض جوانبها، وهذه الأخيرة خاصة بالباقلاني، خلافاً للسيوطي المتأخر، وهذه ملاحظة أولى .

نحاول أن نرصد المعايير التي تلاقى فيها أصحاب المؤلفات على هذا النحو: بديع النظم، عجيب التأليف، حسن النظم، بديع التأليف والرصف، الفصل والوصل، الضم والجمع، جودة النظم وحسن الوصف، المناسبة، المماثلة، المطابقة، التجنيس، المقابلة، الموازنة، المساواة، رد الأعجاز على الصدور، التكميل والتتميم، الترصيع، الترصيع والتجنيس، التفسير، الالتفات، التكرار، النظم، التقديم والتأخير، القصر والاختصاص، الحذف، السجع، الإيجاز، الرجوع، الاستهلال، التخلص، التتميم .

وإذا كانت هذه ملاحظة عامة، فإن المطابقة فيما بينهم ليست سواء، من حيث تلاقيهم مع بعضهم، وبالتالي نشير فيما يلي إلى جملة بيان في المطالب التالية :

١/٨/٢/٣ : المطابقة بين الباقلاني والجرجاني :

جاءت إشارة الباقلاني إلى جملة من العناصر الأساسية التي استثمرها الجرجاني في تفسير وتقديم رؤى أرحب للنص القرآني، ومن ثم فقد التقيا فيما يلي : بديع التأليف، الفصل والوصل، الموازنة، التجنيس، ويعكس التلاقي بينهما عدداً من النتائج : ــ

١ــ التقيا في ٩,١% .

٢ــ إذا كان الباقلاني رائداً، على الرغم من كونه ليس المبتدأ، فإنهما لم يلتقيا في نسبة ٩٠,٩%، وهي نسبة كبيرة بشكل لافت للنظر.

٣ــ إن المخالفة بين الجرجاني والباقلاني، إنما توضح مدى الإسهام في دعم وترسيخ هذا المبدأ في الثقافة العربية والإسلامية .

٢/٨/٢/٣ : المطابقة بين الباقلاني والرازي :

ثمة عدد من المعايير التي التقى فيها الرجلان مثل : الفصل والوصل، الضم والجمع، رد العجز على الصدر، الترصيع، التجنيس، النظم، ونخلص إلى ما يلي :

١ــ أن قيمة ما نقله الرازي عن الباقلاني تمثل ١٣,٦% .

٢ــ تعكس الملاحظة الواردة في رقم (١) محاولة الرازي الدائبة من الإسهام الفعلي في هذا المجال .

٣ــ أن الرازي قدّم مشاركة فعلية، خاصة أن ما نقله عن الباقلاني يمثل ١٣,٦%، وبالتالي فإن إسهامه العام يمثل ٨٦,٤%، وربما تظهر الملاحظات عند مقارنة الرازي بصدق هذه الرؤية وتوكيدها بشكل دقيق .

غير أن هذا ينبغي أن يؤخذ في إطاره العام بما سبقه، خاصة أن الرازي، إنما جاء عارضاً كتبه بوجه عام، وبالتالي فإن مسائل المطابقة بينه وبين الجرجاني ربما تعكس شيئاً من هذا في المطلب التالي .

٣/٨/٢/٣ : المطابقة بين الرازي والجرجاني :

جاءت معايير المطابقة عندهما في عدد قليل كـ:النظم، التقديم، التأخير، الحذف، السجع. وعلى الرغم من أن عمل الرازي ينطلق من مؤلف الجرجاني، إلا أننا ملاحظون :

١ــ يتطابق الرجلان فيما يمثل ٣٣,٣%.

٢ــ ما أضافه الرازي بعيداً عن الجرجاني يمثل ٦٦,٦%، ويؤكد هذه الملاحظة ما ذهبت إليه (ينظر:٢/٨/٢/٣ من البحث) أن عمل الرازي مشروع بحثي قائم بذاته، ينبغي أن يسكن مسكنه في الدرس النصي؛ لاستخلاص النتائج التي يفيد منها الدرس اللساني بعامة .

وينبغي أن ندرك إذا كان الرازي قد نقل عن الجرجاني ما ورد في(٣/٢/٨/٣)،فإن : الترصيع، الفصل والوصل، رد العجز على الصدر، قد أفاد منه الجرجاني مما هو وارد عند الباقلاني، وبالتالي فإن "الترصيع" الذي نقله الرازي، إنما هو الباقلاني، ويمثل هذا ملحظاً مهماً، تناقله اللاحقون عن السابقين دون العناصر الأخرى في هذا المجال .

وإذا كان الرازي والزملكاني ينتميان إلى فترة تاريخية واحدة، فإن هذه العناصر تعكس هذه الرؤية وتوضح جوانبها، ومن ثم تجد كليهما ينقلان عن الباقلاني والجرجاني، فينقلان عن الباقلاني:الترصيع، رد العجز على الصدر، التجنيس، في حين ينقل الزملكاني عن الباقلاني منفرداً دون غيره: "الالتفات" الذي لم يرد له ذكر عند كليهما .

ويمثل هذا تصوراً عاماً، على الرغم من التداخل المعرفي بينهم، إلا أن ذلك لا ينفي الإسهام الفعلي، فإن هذه المقدمة توضح الإسهام الحقيقي لكل منهم على السواء، فعلى الرغم من جوانب الإفادة من السابقين، فإن مقومات الإضافة لكل منهم تظل واضحة، وتدل الملاحظة الواردة في جوانب كثيرة منها(ينظر:٣/٢/٨/٣ من البحث) على مدى تحقق هذا الفرض النظري، الذي يبدو غير حقيقي .

وبناء على ذلك، فإن إفادة الزملكاني من الباقلاني ثابتة له بيقين بما لا يتجاوز ٣٧,٥% مما ورد عنه:الفصل والوصل، المساواة، رد العجز على الصدر، التفسير، التتميم، الترصيع، التجنيس، الالتفات .

أما ما جاء عند الزملكاني مما هو وارد عند الجرجاني، فيمثل ١٢,٥%أخذه عنه مما هو وارد عنده، في حين أفاد الزملكاني من الرازي٦,٥%في "الإيجاز" . وتكشف أول الملاحظات ما يمكن أن يعلله مما أفاده الزملكاني، أنها بلغت حوالي ٥٦,٥% مما هو وارد عنده مما يعد درساً نصياً خالصاً من منظور الباحثين في الإعجاز .

وترجح هذه الملاحظة أنها ظاهرياً تسيء إليه، غير أنها ترجح ميزانه وتثقل حسناته، إذ نرى من خلالها النسبة المتبقية ٤٣,٥%، هي إسهامه الحقيقي، وهي نسبة جديرة بالملاحظة، وتحتاج إلى تدقيق .

وعلى الرغم من الملاحظات التي خلصنا إليها، أن اللاحقين بعد عبد القاهر، لم يحدثوا تغيراً يذكر، إلا أن مقارنة النصوص تبيّن خلافاً لذلك، إذ تتضح شخصية كل واحد منهم ولو بشكل متفاوت، إذ الإفادة لا تعني النقل، بقدر ما تعني محاولة تحديث فكر ما هو سابق والإفادة فيما هو بصدده .

وهكذا فإن ثمة عناصر أساسية وفاعلة، وجدت مكانها عند الباحثين، يمكن أن نطلق عليها العناصر الأساسية، في مقابل العناصر الثانوية .

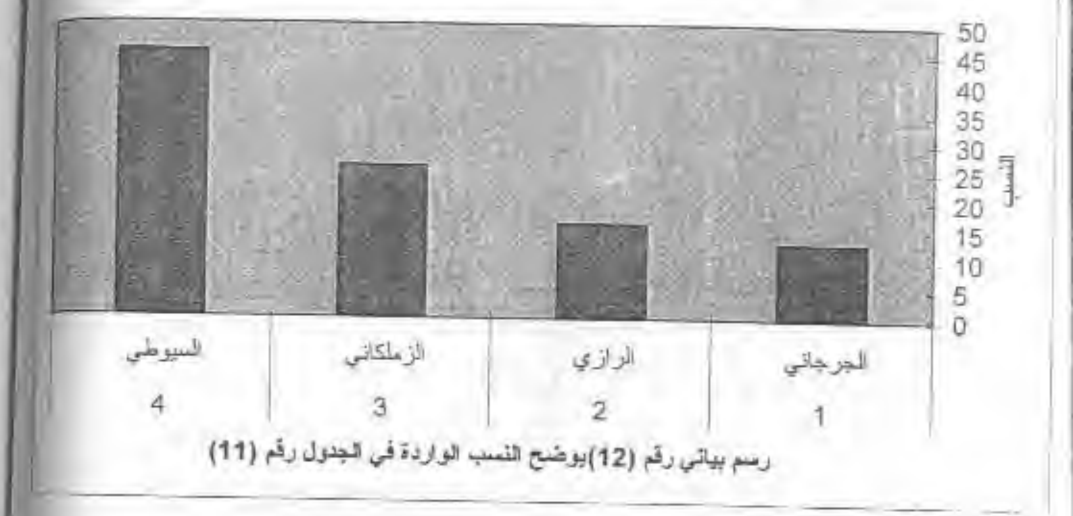
وتتمثل العناصر الأساسية عند كل من الجرجاني والرازي والزملكاني والسيوطي في التجنيس، التقديم، الحذف، في حين يتلاقى الباقلاني والجرجاني والرازي والزملكاني في : الفصل والوصل، التجنيس . أما مسائل المطابقة عن كل من الباقلاني والرازي والزملكاني فيمثلها "رد العجز على الصدر" .

٣/٢/٨/٤ : الباقلاني واللاحقون في الإعجاز القرآني :

تشير الملاحظات إلى أن الباقلاني تلاقى مع بعض الباحثين في الإعجاز (ينظر:٣/٢/٨: ١،٢) من البحث، غير أننا يمكن أن نجمل العناصر النهائية في الجدول التالي:

الأصل	م	اللاحقون	عدد الترددات	النسبة	ملاحظات
الباقلاني	١	الجرجاني	٤	١٢,٩%	المجموع الكلي (٣١) معياراً
	٢	الرازي	٥	١٦,١%	
	٣	الزملكاني	٨	٢٥,٨%	
	٤	السيوطي	١٤	٤٥,٢%	

جدول رقم (١١) يوضح عدد العناصر التي شارك فيها الباحثون في الإعجاز



رسم بياني رقم (12)يوضح النسب الواردة في الجدول رقم (11)

ملحوظات : (٦) :

١ــ يشير الجدول (١١) والتخطيط (١٢) إلى أن تأثير الباقلاني بدأ ضعيفاً، غير أنه أخذ يقوى حتى بلغ قمته عند السيوطي في "المعترك" .

٢ــ جاءت إفادة الجرجاني من الباقلاني أقل الخالفين ١٢,٩% .

٣ــ نستنتج من خلال الجدول(١١) أن نسبة الرازي والزملكاني مجتمعة ٤١,٩%، تقل عن النسبة التي نقلها السيوطي بـ٣,٣% .

٤ــ توضح النسب الواردة في الجدول(١١) أن العناصر التي أفاد منها الزملكاني ضعف التي وردت عند الجرجاني .

٥ــ نستبين من الملاحظة الواردة في رقم (١) من هذه الملاحظات، أن النسب عند الجرجاني والرازي تزيد قليلاً (٣,٢%) عما ورد عند الزملكاني منفرداً، وهذه الملاحظة تؤكد الملحظ السابق(١) .

٦ــ ويؤكد ــ أيضاً ــ الخط التصاعدي للإفادة من تلك المعايير عند الباقلاني، أن نسبة المعايير عند الزملكاني مقارنة بما أفاده السيوطي من الباقلاني، أنها تزيد عن النصف

٢٥,٨%، في مقابل ٤٥,٢% للسيوطي، وهي فكرة يمكن أن تقارن أيضاً في ضوء مقارنة الزملكاني مع سابقيه ــ الجرجاني والرازي ــ وبالتالي يمثل الزملكاني محوراً أساسياً هنا .

٥/٨/٢/٣ : الجرجاني واللاحقون :

يقارن هذا المطلب معايير الجرجاني مع مخالفيه، وبالتالي تكون المقارنة مقصورة على كل من الرازي والزملكاني والسيوطي في الجدول التالي :

الأصل	م	الأسماء	عدد تردد معايير الإفادة	النسب	ملاحظات
الجرجاني	١ ٢ ٣	الرازي الزملكاني السيوطي	٧ ٥ ٥	٤١,٢% ٢٩,٢% ٢٩,٢%	المجموع الكلي (١٧) معياراً

جدول توضيحي(١٣) بالنسب التي تلاقى فيها الجرجاني مع الباحثين في الإعجاز وعدد ترددها



رسم بياني رقم (14) يوضح النسب الواردة في الجدول رقم (13)

ملحوظات (٧) :

١ـ شارك الرازي الجرجاني في عدد من المعايير(٧) سبعة، ويعد أعلى رقم، يمثل ٤١,٢%.

٢ـ تساوى كل من الزملكاني والسيوطي في المطابقة مع الجرجاني، إلا أن هذه النسبة عندهما تعكس واقعاً آخر، فإذا كانت المعايير عند السيوطي بلغت (٧٥) (ينظر:٣/٢/٦ من البحث) فإن هذه النسبة قليلة مقارنة مع ما ورد عند الزملكاني، ومن هنا ربما يشير إلى أن نسبة الزملكاني في تلاقيه مع الجرجاني نسبة كبيرة .

٣ـ يعكس جدول (١٣) أن أصحاب المؤلفات في الإعجاز القرآني قد قلّ، وبالتالي فإن هذا ربما يعكس المفارقة بينهما من حيث المجموع الكلي للمعايير في الجدول(١١) والواردة في الجدول (١٣)، إذ جاءت في الأخيرة أقل إلى النصف، وهذا يعكس المغايرة في المجموع الكلي في الجدولين .

وربما تنبئ هذه الملاحظة عند عقد صلة بين الزملكاني والمتأخرين، خاصة أن المقارنة تؤدي عند الزملكاني إلى مقارنة معاييره بما ورد عند السيوطي، ويصل الأمر عند السيوطي إلى الصفر، إذ هو الأخير زمنياً في مصادر هذه الدراسة، ومن ثم نغض الطرف عن عقد مثل هذه الصلة. ويؤدي الملحظان (ملحوظات :٦،٧) إلى جملة من النتائج يمكن توضيحها كما يلي :

١ـ المعايير التي وردت عند الباقلاني، تناقلها الخالفون على اختلافهم، وعلى الرغم من ذلك بقيت أربعة منهم لم ينقلها أحد، تمثل ١٤,٣%، ويعكس هذا النقل أهمية بالغة لهذا الكتاب في تاريخ الإعجاز .

٢ـ إذا كانت حصيلة فكر الرازي ٢٦,٧%، فإن ما نقله يمثل ٧٣,٣%، يمكن توزيعها على النحو التال ي:

أـ نقل الرازي عن الباقلاني : الفصل والوصل، رد العجز على الصدر، الترصيع، التجنيس، خمسة (٥) معايير، تمثل ٣٧,٥% .

ب ـ نقل عن الجرجاني : التقديم والتأخير، الحذف، السجع، النظم، تمثل ٣١,٢٥%، وبالتالي فإن جملة ما نقله يمثل ٦٨,٧٥% .

ج ـ يؤدي ما ورد في (أ،ب) أن ما أضافه الرازي يمثل ٣١,٢٥%، بما يعادل (٥) خمسة معايير،وهي : تركيب الحروف، الدلالة الالتزامية، دلالات الحروف، الدلالة اللفظية، الإيجاز .

٣ـ قدّم الزملكاني عدداً من العناصر التي بلغت (٢٤)، ليست كلها من عنده، وإنما حاول أن يكون له إسهامه زيادة على السابقين عليه :

أـ أفاد مما أورده الباقلاني في إعجازه(٨) ثمانية معايير، تمثل ٣٤,٨% .

ب ـ يمثل ما نقله عن الجرجاني في مؤلفاته (المعتمدة هنا) (٦) ستة معايير، تمثل ٢٦,١٠%.

جـ ـ أفاد من الرازي معيارين، يمثلان ٨,٧% .

د ـ بناء على ما ورد أعلاه، فإن إضافة الزملكاني سبعة (٧)معايير،تمثل ٣٠,٤%، وهو ينتمي في عمومه إلى التيار النقدي والبلاغي سواء بسواء، مثل: التبديل، الرجوع، الاستطراد، الاستهلال، الترديد، التنبيه .

٤ـ تمثل العناصر التراثية عند السيوطي في "المعترك" كماً كبيراً، إلا أن ما يمكن أن يلاحظ أنه يأخذ من كل بطرف، بمعنى أنه أفاد مما جاء عند السابقين، وحاول أن يقدم رؤية مسطورة، وقد انعكس بشكل ملحوظ في مؤلفاته، ويعد التيار البلاغي والنقدي، أهم رافدين نهل منهما السيوطي في توضيح جوانب الإعجاز، ومن هنا حاول أن يوظف الإمكانات المتاحة والإفادة مما عند أصحاب التيارات الأخرى .

وتدل عناصر النص فيما يختص بالتيار البلاغي صدق هذه الرؤية، فنجد المواربة، النزاهة، الإبدال، القول بالموجب، التسليم، الاسجال، المناقصة، الاقتناص، الحصر، حسن المطلب، التقديم، التقسيم .

ذلك في مقابل إفادته من تيار النحاة والبلاغيين، ويتبدى ذلك بشكل واضح فيما يلي المبهمات، التخصيص، العرض، حرف التخصيص، الإنكار، الإلصاق، التعدية، الاستعانة، السببية، المصاحبة، التبعيض، الغاية، التشريك، الترتيب، المهلة، الاستحقاق، الاختصاص، الملك، وكلها دلالات تنتمي إلى النحو الوظيفي، وتدل أدنى مقارنة بينها وبين ما أورده ابن هشام ـ مثلاً ـ في "مغني اللبيب" على اعتماده عليه بشكل واضح في هذا المجال .

هــذه التيارات التي كمّل منها السيوطي ما وجده بحاجة إلى تكميل عنده، وقد وجد ضالته في هذين التيارين، كما أن ثمة ملاحظة، أن هنالك معايير وردت عنده بشكل يكاد يكون مكرراً، وأول ما نجده:الإبهام، المبهمات، الإعادة، وأحسب أن ثلاثتهم ليس بينهما فارق كبير، إذ تدل كلها على دلالة واحدة، مع الفارق اللفظي، فالمبهمات تتمثل في الإبهام، وتكمن العلاقة بــين الإبهام من ناحية، والمبهمات من ناحية أخرى، في أن كل ما يعيد سواء بالإحالة إلى سابق والإحالة إلى لاحق، لا يفيد معنى بنفسه، وإنما يفيد بغيره، بمعنى أنه يندرج ضمن إطار المبهمات، فالإعــادة ترتــبط مع الجمل السابقة أو اللاحقة لتكتسب لها معنى، وبالتالي فإنها ليس لها دلالة مــنفردة، وهكذا تدخل الإحالة ضمن إطار المبهمات، بناء على أن كليهما لا يفيد معنى بنفسه، وإنما من خلال الربط، (الإحالة) تدخل ضمن إطار المبهمات، هي علاقة العموم والخصوص.

كما أنه إذا كان الباقلاني يستخدم تعبير "التفسير"، فإنه لا يختفي عند السيوطي، وإنما يستبدل به معياراً آخر قريباً منه "الإيضاح بعد الإبهام"،وهو قريب من التفسير بعد الإجمال.

كمــا أن "الجمع" و"الضم" الوارد عند الباقلاني، لم يرق للسيوطي واستعمل بدلاً منه "الارتــباط"، ولم تقتصر المفارقة بينهما على هذا الحد، وإنما مثلت بما يشبه الظاهرة، وهكذا نجد محاولة السيوطي الدائبة في هذا الشأن .

م	الباقلاني	السيوطي
١	حسن النظم	حسن النسق
٢	التناسب	المناسبة
٣	المماثلة	المشاكلة
٤	صحة التقسيم	التخليص
٥	حسن التأليف	حسن النسق

جدول (١٥) يوضح المقابلات بين معايير النص التراثية بين الباقلاني والسيوطي

رسم بياني رقم (16)يوضح مدى إفادة كل منهم من الآخر في الإعجاز القرآني

لم تتكرر هذه الظاهرة بين السيوطي والخالفين له، وربما كانت هناك دواع، أن الباقلاني متقدم، وبالتالي نقل عنه عدد كبير، مما يضيّق الخناق على الخالفين فيما بعد ، وأخذ عنه بالشكل المشار إليه في(١٥) .

٣/٣ : نحو النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني :

١/٣/٣ : "نحو النص" بين أصحاب "الرسائل" وأصحاب "المؤلفات" :

إذا كان ما ورد من ملاحظات ينطبق على ما جاء عند أصحاب المؤلفات في الإعجاز التي تمثل أحد جوانب مادة هذا البحث، فإن المقارنة بين ما ورد عند أصحاب كل من الرسائل، المؤلفات، ربما يعطي ملاحظات أخرى تعمق النظر في تلك التي وردت سابقاً من البحث .

وبناء على ذلك، فإذا كان الباقلاني يمثل عمدة ضمن أصحاب المؤلفات، بالنسبة لهذه الدراسة، فإن الرماني عند أصحاب الرسائل، هو الأقدم تاريخياً، بيد أننا نعتمد كل أصحاب الرسائل؛ لنرى كيف أفاد الباقلاني من هذه الدراسات التي كانت قائمة قبله، ومن هنا فإن الرماني والخطابي سابقان للباقلاني من ناحية أخرى، وعلى أية حال فإن تأخر الجرجاني فيما بعد الباقلاني لا يغيّر كثيراً، خاصة أن الخطابي وردت له معايير غاية في الأهمية في هذا الشأن. وتدل المقارنة بين معايير النص عند كل من الباقلاني والخطابي، كيف أفاد الباقلاني واللاحقون له من السابقين عليهم .

الرماني	الخطابي	الباقلاني	الجرجاني
الإيجاز التلاؤم التجانس الفواصل	حسن التأليف التأليف والتشاكل تفصيل الكلام تقسيم الأبواب التكرار، الانتظام والاتساق	بديع النظم عجيب التأليف بديع تأليفه لا يتفاوت ولا يتباين حسن النظم المساواة ، صحة التقسيم ؛التكرار،الموازنة ، التكميل التتميم	السبك والنحت اللفظ والنظم لفظه يوازي نظمه

وإذا كان الباقلاني ـــ بناء على ما سبق ـــ قد أفاد جملة من العناصر، غير أنها ليست كما هي، وتشير التحليلات عند كل من الباقلاني والخطابي إلى التمايز الضمني في اللفظ المتطابق في المعنى، وهكذا نجد ما هو عند الباقلاني له مقابلات عند الخطابي .

م	الخطابي	الباقلاني
١	حسن التأليف	حسن النظم
٢	التكرار	التكرار
٣	الانتظام والاتساق	الموازنة ، المساواة التكميل والتتميم

وتبين مما هو وارد في هذا الجدول مدى المطابقة بينهما، وبتعبير أدق إفادة الباقلاني من الخطابي، ومن هنا فإن المعايير عند الباقلاني، نحو:بديع النظم، عجيب التأليف، بديع لا يتفاوت، حسن النظم، صحة التقسيم، المساواة ، التكرار..... وبالتالي بلغت(٧) سبعة تمثل ٢٥% تقريباً، نقله عن السابقين، وربما تكون هناك ملاحظات أخرى من نواح عدة.

وفي الواقع تكشف مقارنة أصحاب الرسائل أن "الإيجاز" الوارد عند الرازي ، إنما هو مفاد من "الرماني"، كما أن "الفواصل" الواردة عند الرماني، هو "التجنيس" عند الباقلاني، وبالتالي فإن إفادة الباقلاني من الرماني مهمة لما أفاده من الخطابي، والعلن إفادة الباقلاني من الجرجاني؛ نظراً لأن الجرجاني (٤٧١هـ) بعد الباقلاني(ت ٤٠٣هـ) وهكذا يستظهر أن الباقلاني قد أفاد من الرماني ٧,١%، وبالتالي فإن ما نقله عن السابقين بلغ ٣٢,١%، وتوضح المحصلة النهائية نتيجة إسهامه فيما قدمه، حيث بلغ ٦٧,٩% .

ومن هنا تظهر لنا هذه المقارنات أن الباقلاني أفاد كما توضح لنا مدى و قوله بكتابه شاخصاً، ومدى تقديمه ملاحظات ذات أهمية في هذا الشأن .

وجملة القول إننا إزاء هذه الدراسات في مجال التحليل لجوانب الإعجاز كما وقفت بإزاء النص القرآني تقدم تفسيراً للعلاقة الرابطة سواء مما هو كامن في علاقات: الائتلاف، والانتظام والاتساق، والائتلاف والارتباط، والنظم واللفظ، والحروف ودلالتها والحذف ودوره، والمشاكلة والفواصل القرآنية.....الخ .

٢/٣/٣ : المقارنة المنهجية بين الباحثين في الإعجاز القرآني المعنيين بـ "نحو النص":

إذا كان "نحو النص" يفيد من كل الإمكانات المتاحة ، لتقديم تفسير أوسع وأرحب للنص، ومن هنا فإن ما يقوم به الباحثون في "الإعجاز"، خاصة أولئك الذين ولّوا وجهتهم تجاه البحث في الإعجاز القرآني، إذ ركّزوا على جوانب معجمية كالتكرار، وعناصر أخرى خاصة بـ"الحبك": كالروابط بأنواعها وأشكالها، وكذلك : النظم والائتلاف والضم والجمع والتفاته وحذفه وذكره واستبداله، وفصله ووصله الخ .

وتجـد كل هذه العناصر مكاناً بارزاً في "نحو النص" ويؤكد هذا عندهم أنها منتشرة في ثنايا بحوثهـم، وقد أدى هذا الاتجاه إلى أن تصنف مؤلفاتهم في إطار "نحو النص" العربي شحماً ولحماً. ونؤكد هذه الرؤية من خلال عدد من المقاربات نجملها فيما يلي :

١ــ تشـير الدراسات حول الإعجاز خاصة الأولى منها ــ الرسائل ــ أن معايير النص لم تكن قد اتضحت بعد بشكل كبير، اللهم إلا عند الرماني بشكل ملحوظ. وتماثل هذه الرؤية ما عليه الآن "نحو النص" في مراحله الأولى، أن ثمة عدداً من العناصر النصية لم تتضح بعد عن المشتغلين بهذا الاتجاه .

٢ــ أن هـنالك اختلافاً في فهم عدد من العناصر النصية بين أصحاب البحث في الإعجاز، وهـذه تمثل رؤية شبيهة بما هو عند أصحاب "نحو النص" ذلك أن قدراً لا بأس به من المعايير مختلفون حول مكانه وجدواه[1] .

٣ــ إذا كان أصحاب البحث في الإعجاز، قد بدأوا بالرسائل التي تمثل بدايات أولية، فإن هـذا الاتجـاه، قد تطورت ملامحه فيما بعد عند أصحاب "المؤلفات" في خطوة مهمة، أدت إلى التطور في فهم العناصر النصية بشكل أكبر فاعلية، ومحاولة الإفادة من علوم البلاغة المختلفة، كل حسب رؤيته، وقد بلغت ذروتها عند السيوطي في "المعترك" .

غير أن الذي يميّز "أصحاب الرسائل" عن المعنيين بـ"نحو النص"، أن ثمة بعض العناصر جاءت على استحياء عند أصحاب "الرسائل" في تحليل الإعجاز، غير أنها أخذت تتبدى في شكل مختلف لما عليه عند أصحاب "المؤلفات" .

ويتضح مما أورده السيوطي أنه حاول أن يفيد من عدد من العلوم في الثقافة الإسلامية، كمـا انتفع بعـلم الـبديع الـتي مـا تزال الدراسات النصية المعاصرة، تحاول أن توظف عناصره/جوانبه، وتبين قدرته في تفاعل وتماسك بنية النص الصغرى والكبرى على السواء .

---

(1) انـتقد فاتر رؤية كل من فان دايك و بوجراند/درسلر حول قضايا السبك ، ورأى أنها عند فان دايك غير واضحة، وفارق بوجراند/درسلر فيما ذهبا إليه فيما يتعلق بالإحالة . ينظر :
Einführung in die Textlinguistik, S. 32 .
وقد قدم د. سعيد البحيري تفصيلاً حول هذه القضية في : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٢ وما بعدها .

وعـلى ذلك يبدو واضحاً مدى إفادة السيوطي من مباحث "علم البديع" الذي شكّل بروزاً واعياً، ويعد "المعترك" واحداً من المؤلفات التي يمكن أن توظف في إطار جديد، وأن يُعوّل عوله في إطار الدراسات النصية المعاصرة .

وقد تبدت قسمات ذلك بوضوح عند الباقلاني في إعجاز القرآن والزملكاني في "المجيد" هـي إفادته مما هو من جوهر "علم البديع"، غير أن الذي أريد أن أثبته أنه بدا واضحاً مكتمل الأركـان عـند السيوطي في "المعترك" والذي جسّد من خلاله قمة النضج عند أصحاب هذا الاتجاه، مضيفاً إليهم عناصر نصية تراثية، لم يدرجها السابقون عليه في الإعجاز .

٣/٣/٣ : تقويم لساني للبحث في الإعجاز القرآني :

٣/١ : يركز البحث في الإعجاز على تقديم تفسير/توضيح لمادة القرآن الكريم، بينما يقوم "نحو النص" بتقديم تفسير لآية مادة لغوية كانت .

٣/٢ : مـادة البحـث في "الإعجاز"، القرآن الكريم، وهي مادة ذات مستوى خاص/عال من الـبلاغة والبيان، أما مادة "نحو النص" فالنصوص اللغوية المتحققة فيها المعايير السبعة أو بعضها لاعتبارها نصاً[1] .

٣/٣ : اقتصر الباحثون في الإعجاز على تقديم تفسير لجوانب محددة كالاهتمام بالنواحي اللغوية والبلاغية، أو ما يمكن أن نطلق عليه بـ"النظم" أو "معاني النحو" حسْب تعبير الجرجاني، وبالتالي فـإن عناصر أخرى، كالجوانب الصرفية والصوتية، لم يكن لها مكان في تحليلاتهم، إلا في القليل، أمـا علماء "نحو النص" فيحاولون أن يفيدوا من كل هذه الجوانب لتقديم إسهام واع، ومن هنا فإنه يفيد من الجوانب الصوتية والصرفية والنحوية والدلالية والمعجمية ... الخ .

٣/٤ : يعـتمد الباحـثون في "الإعجاز" في تحليلاتهم على الإفادة من مادة شعرية لإظهار وجه الإعجـاز، في حين ينصب عمل "نحو النص" على المادة اللغوية (فقط)؛ لاستخلاص قواعد من النص ذاته، وليس وفق قواعد (معايير) مسبقة .

---

(1) Sehe : R. A. de Beaugrande/ W. U.Dressler : Einführung in die Textlinguistik,S. 1:15 .W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik,S.20 .

٥/٣ : لم يكن الباحثون في "الإعجاز" يفصلون – شكلياً – بين معياريّ السبك والحبك، وهما المعياران المختصان بالنص، وإن لم ينف هذا علمهم بالموائز بينهما، أما "نحو النص" فيقدّم تفريقاً واضحاً بينهما بشكل محدد .

٦/٣ : لم يكـــن هـــدف الباحثين في الإعجاز إنتاج قواعد/نحو للنصوص من خلال تفسيراتهم لجوانب من النص القرآني؛ بينما يسعى "نحو النص" من خلال تفسير وتحليل النصوص المختلفة، إلى تقديم "نحو النص" .

٧/٣ : لا يستند الباحثون في الإعجاز إلى علوم أخرى، كعلوم مساعدة في بيان أوجه الإعجاز، بينما "نحـــو الـــنص" يفيد من علوم ومعارف مختلفة/متباينة ومتعددة الاختصاصات في تقديم تفسيرات مقنعة للنص .

٨/٣ : يهتم البحث في الإعجاز بالتركيز على الجوانب البلاغية واللغوية الخالصة، لإظهار أوجه الإعجـــاز، بيـــنما البحـــث في "نحو النص" يعتمد ذلك، ويفيد من السياقات المختلفة في تقديم تصورات وأفكار عميقة وأكثر إضاءة من خلال محاولته استخلاص المعاني الإضافية مما هو وراء الصياغات اللغوية/التتابعات الجملية، وليس المعنى الأول (المباشر) الكامن في النص .

٩/٣ : البحث في قضية "الإعجاز القرآني"، بحث أصيل في الثقافة العربية والإسلامية، أما "نحو النص" فعلم حديث نسبياً، بهذه التصورات، وإن كانت التحليلات التي وردت في ثنايا البحث قبلاً، أدت إلى نوع من المقاربة في الرؤى، مع الاختلاف في المسلك والمنهج .

١٠/٣ : يعـــتمد البحث في الإعجاز على اختيار عينات تختلف باختلاف الباحثين، وأن المقاربة بيـــنهم في الـــنهج المتـــبع، في حـــين يعتمد "نحو النص" على كفاءة المحلل/المفسر في استغلال الإمكانـــات/الطاقـــات الـــتي تـــتيحها الســـياقات المتبايـــنة داخل النص، فإذا كانت الأبنية الصـــغرى/المتواليات الجملية، تحتاج إلى كفاءة محدودة تتوفر في المحلل، فإن تحليل الأبنية الكبرى التي هي تصورات تجريدية مفترضة تجتمع أو تتكثف فيها الدلالات الجزئية، وعلاقات التماسك تحتاج كفاءة أكثر تعقيداً تستند إلى مكونات متشابكة تشغل فيها العناصر المعرفية مساحة أكبر من العناصر التحليلية سواء أكانت نحوية أم دلالية[1] .

(1) د. سعيد حسن بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٨٩ .

١١/٣ : بدأ البحث في الإعجاز القرآني منذ وقت مبكر، إذ تذكر الروايات أنه بدأ مع نزول القرآن الكريم، وعليه فإنه بدأ في إطار ديني، في حين بدأ "نحو النص" في أوائل الستينات مع مقالة زيلخ هاريس، ١٩٥٢ تحليل الخطاب : **Discourse Analysis** ، وتأكدت منهجيته في أواخر الستينات وطيلة فترة السبعينات، وهي البداية الفعلية لهذا الاتجاه[1] فيما أرى .

(I) **Sehe:R.deBeaugrande,W.Dressler:Einführung in dieTextlinguistik,S.15:31.**

وقد ذكر عدداً من الدراسات في هذا المجال التي تعد دراسات أولية ينظر : ص ١٥. وتجدر الإشارة في هذا المقام أن الباحثين في "نحو النص" منفكين على أنفسهم ؛ وموجز ذلك أن ثمة منهم من يرجع البداية الحقيقية إلى مقـــالتي زيلخ هاريس التي نشرهما تحت عنوان: تحليل الخطاب، **Discourse Analysis** ، ١٩٥٢، وبهما اكتســـبا أهمية منهجية في تاريخ اللسانيات: د. سعد مصلوح : العربية : من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" ص ٤٠٨، **Van Dijk : Aspeckte einer Textgrammatik, S. 270** ، إلا أن اللافـــت للنظر أن فان دايك في موضع آخر ، لا يرجع إليها أهمية ، لأنها لا تمت إلى دراسة الخطاب إلا في القليل النادر، ينظر: **Text and Context , p 14** ، ويؤكد د. بحيري رأي د. سعد في جملته، بيد أن تفصيله يحتاج إلى فضل بيان . فإذا كان "نحو النص" قد بدأت ملامحه تتضح في النصف الثاني من القرن العشرين، فإن هذا القول لا ينفي إن ثمـــة أعمالاً أخرى منثرة، تمثل بذوراً واعية لهذا الاتجاه، ومن ثم فإن جذوره تمتد في فترة زمنية أبعد تعود إلى ١٩١٢. د. سعيد بحيري : علم لغة النص ص ١٨ .

ولـــزيد الأمـــر توضيحاً وتوكيداً لما ذهب إليه د. سعد مصلوح ود. سعيد بحيري، فأقول إن درسلر **Dressler** في كـــتابه "الـــنص اللغوي" **Textlinguistik,1978** جمع عدداً من الأبحاث التي تنتمي إلى اللســـانيات النصية، حسب رأيه، وضمن كتابه مقالة لـــ "إرني نيا" بعنوان "بناء الجملة عند ليفيوس نموذجاً: **Satzverbindung besonders bei Livius, 1912.** ومقالـــة زيـــلخ هاريس المشار إليها منذ قليل، ثم تأتي بقية الأبحاث في فترة تاريخية تكاد تكون واحدة .

وإذا استثنينا من كتاب درسلر السابق، بحثي "إرني نيا"، و"زيلخ هاريس" ، فإننا واجدون أن هذه الأبحاث، إنما تقع في فترة تاريخية لا تتجاوز سبع سنوات ، وكأنه يشير – ضمناً – إلى أن هذه الفترة، هي المرحلة الحاسمة في اكتســـاب هـــذا الاتجـــاه ملامحـــه المائـــزة، وإذا وسّعنا الرؤية ، بناء على ما أورده درسلر في كتاب آخر **Einführung in die Textinguistik.(1978)** .

=

أمكننا فصل القول في هذه القضية بما يلي :

=١ ـــ أن البداية الفعلية لـــ "نحو النص" وأنه أخذ يعلن عن نفسه كعلم له أركان وأهداف يسعى إلى تحقيقها في النصف الثاني من الستينات وطيلة فترة السبعينات، ويؤكد ذلك فان دايك في Textwissenschaft, S. 1 . وتمثل أعمال هارفج R. Harweg (١٩٦٨) ، فاليتركوخ Walter A. Koch (١٩٩٦)، وســيجفريد شمـــت Siegfried J. Schmid (١٩٧١)، وفيرنـــر كومر Werner Kummer (١٩٧١)، وتـــون فان دايك Van Dijk T. A. (١٩٧١)، وبتوفي Janos S. Petöfi (١٩٧١)، ودرسلر Dressler (١٩٧٨)، وفريزFrics(١٩٧٢)، وريزر Rieser (١٩٧٨)، وجونز Jones (١٩٧٧)، كـــلماير Kallmeyer (١٩٧٤)، وهارتمـــان Hartmann (١٩٧٥)، وهايـــنريش Heinrich (١٩٧٥) ، البداية الفعلية لهذا الاتجاه .

ينظر حول تفصيل ذلك في :

R. A. de Beaugrande, W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik,S. 15: 31
E. Coseriu : Textlinguistik Eine Einführung ,S. 1: 4

وقد فصّل فان دايك الدراسات الأولية واتجاهاتها في مقالته التاريخية :

Van Dijk T. A. : Aspekte einer Textgrammatik S. 270 : 273.

٢ـــ أن ظهور هذا الكم من الأعمال النصية التي جاءت الإشارة إلى بعضها في رقم (١)، لا ينفي وجود أعمال ممهـــدة لها، يعود تاريخ بعضها إلى ١٩١٢م و١٩٥٢م ، وغير ذلك من الأعمال التي تمثل البدايات الأولى لهذا الاتجـــاه، ويبقى التمايز بينها في أن أعمال فترة أواخر الستينات وطيلة فترة السبعينات أخذت ملامحها تتبدى في قســـمات ومنهجيـــة البحث ، بينما جاءت الأعمال التمهيدية له فيما تشبه الأعمال الفردية الممهدة له ، وأنها كانت تمثل حلماً للباحثين آنذاك في ملامح منهجية محددة المعالم ، قادرة على تقديم معايير دقيقة لـــ "نحو النص" من خلال النصوص المنتقاة .

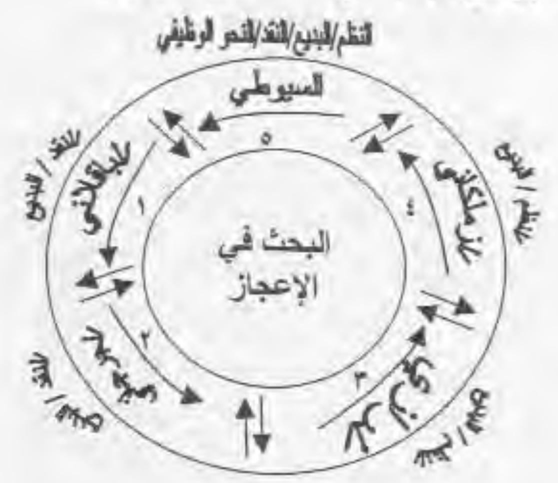
ويـــرى المعـــنيون بـــتاريخ "نحـــو النص"، أن ثمة تاريخاً أبعد لـــ "نحو النص" يتمثل في البلاغة القديمة وعلم الأسلوب، وإن ركزت البلاغة على المفردات والعبارات والجملة، إلا أن توجهها المتزايد نحو كلية النص بـــ "نحو النص".

ينظر :

*** Kalverkamper H : Orteintierungzur Textlinguistik., S. 5.**
***Junker, H.: Rhetorik un grammatik. In. romantische Forschung, S. 378 : 383 .**

ويـــنظر ترجمة كتاب فولفجانج هاينه من و ديتر فيهفيجر للدكتور فالح بن شبيب العجمي ص١٤: ١٧. برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص ١٨٥.

١٢/٣ : نتـــبين مما هو وارد في "نحو النص" أن العناصر الواردة عند الباحثين في الإعجاز أكثر اســـتقلالاً لعدد من العناصر مما هو عليه "نحو النص"، وأن نظرة واحدة في "المعترك" نتبين منها صدق هذه الرؤية، ويوضح الرسم التالي ذلك بشكل أكثر بروزاً :



١٣/٣: كما أننا واجدون تمايزاً بين العملين، في أن "نحو النص" تأتي عناصر السبك والحبك بما يشبه الفرض النظري، والذي يحاول النصيون أن يختبروا عملياً فاعليته في تلاحم أجزاء النص ، ســـواء أكانت البنية الصغرى، أو الكبرى، في حين تأتي هذه العناصر عند الباحثين في الإعجاز القرآني، كملاحظات في إطار منهج غير محدد بشكل دقيق، وقد أدت بهم إلى عدم التفريق غير المباشر بين السبك والحبك فقط،غير أن عرضّهم ومناقشاتهم تكشف أنهم كانوا مدركين لقضايا كليهما، وإن لم يشيروا إلى ذلك صراحة .

٤/٣/٣ : نحو النص : العناصر الأسلوبية عند الباحثين في الإعجاز القرآني:

إذا تفحصـــنا الأمر وأردنا أن نعرض تلك العناصر عند الباحثين في الإعجاز القرآني، على ما هو كائن في اللســـانيات النصية، نجدها تقع داخل إطار اللسانيات المعاصرة، إذا ما نظرنا إلى هـــذه العناصر نظرة مختلفة مناسبة للمتغيرات الحاصلة في "الاتجاه اللغوي"، ونكون مسرفين عـــلى أنفســـنا لو تصورنا معالجة شاملة ومرضية لنا من جميع الوجوه، مقارنة بما توصلت إليه اللسانيات المعاصرة، وينبغي أن نقرر ابتداء، أن كثيراً من هذه العناصر عند الباحثين في الإعجاز

القرآني، تقع ضمن دائرة البحث البلاغي، الأمر الذي أفضى إلى استعمالهم عناصر بلاغية ونقدية، ومرد ذلك إلى تلك العلة التي انطلق منها الباحثون في هذا المجال، وهو الكشف عن وجوه الإعجاز القرآني، غير أن لهذه الرؤية انعكاساً على تلك العناصر التي ندرجها هنا تمشياً مع ما يقع تحت كل واحدة منها، وسأحاول الآن أن أقوم بتوزيع مكونات المنظومة التحليلية عندهم، على النحو التالي :

٣/٣/٤/١ : العناصر الصوتية، وتشمل :

المماثلة، الترصيع، الترصيع مع التجنيس، المساواة، المقابلة، الموازنة، الانتظام والاتساق، التسليم، التقسيم (من مباحث البديع) والتكميل، والتتميم، القلب، التشريع، والتذييل، التصدير، التوضيح، الموازنة، المراجعة، النزاهة، التسليم، الاسجال، الانتقال، المناقضة، حسن الترتيب، الترديد، الاستطراد، (من مباحث النقد الأدبي/نقد الشعر) .

٣/٣/٤/٢: التركيب/النظم، ويشمل :

جميع مباحث علم المعاني، وخواص التراكيب من حيث التنافر وعدمه والجانب التركيبي من المقابلة، والتقسيم والتخليص، وحسن الترتيب، وبراعة الاستهلال، والرجوع، والتفويف، والعكس والتبديل، والسبر والتقسيم، ورد العجز على الصدر، وصحة التفسير، وصحة التقسيم، وحسن المطلب، والقول بالموجب، المماثلة، والمطابقة، والمساواة .... الخ . (من مباحث البديع)، كما يشمل ـ أيضاً ـ حسن التأليف، التئام الكلام، الائتلاف والارتباط، التأليف والنظم، النظم والتلاؤم والتشاكل، تفصيل الكلام وتقسيم الأبواب، السبك والنحت، عجيب التأليف، لا يتفاوت ولا يتباين، حسن النظم، حسن الوصف، التفصيل بعد الإجمال، الإيضاح بعد الإجمال، الفصل والوصل، النظم، الفواصل، الضم والجمع (من مباحث النقد الأدبي/نقد الشعر)، كما أن المبتدأ، التقديم والتأخير، التكرير، الإعادة، الزيادة بالحروف، الحروف، الأحرف الزائدة، الإبهام، الارتباط، خبر المبتدأ، العطف، الشرط، الجزاء، الاستفهام، الكلم، تعلق الاسم بغيره، تعلقه بمجموع الجملة، تعلقه بحرف النفي، (من مباحث علم المعاني) الواردة عندهم، ولابد من الإشارة إلى أن البعد التركيبي من الاستعارة والتشبيه والمجاز المرسل والمجاز بالحذف (من مباحث البيان) .

٣/٣/٤/٣ : العناصر الدلالية، وتشمل :

البعد الدلالي من التشبيه والاستعارة والمجاز المرسل (من علم البيان) ، كما تشمل أيضاً الحصر، الاختصاص، الاقتصاص، التعليل، التخصيص والعرض، حرف تخصيص، الإنكار، الإلصاق والتعدية، الاستعانة، السببية، المصاحبة، التبعيض، الغاية، الترتيب، المهلة، الاستحقاق، الملك، التنبيه (من مباحث النحو الوظيفي)، المشاكلة، دلالة الكلام، دلالة الالتزام، المبالغة، كما يشمل البعد الدلالي من : المقابلة، والتفويف، واللف والنشر، والجمع والتفريق والتقسيم، القول بالموجب، الدلالات المعنوية، دلالات الألفاظ، المراجعة، حسن النسق .

وإذا كان توزيع المنظومة التحليلية هي عمل هؤلاء القوم على النحو السالف (ينظر: ٣/٣/٣/١،٢،٣ من البحث) فإن توزيعها إنما يعطي انطباعاً متمايزاً عما ألفناه في البحث اللساني المعاصر، غير أن هذا التصور يعيد إلى أذهاننا أننا ينبغي أن نرجع النظر في التراث برؤية جديدة، وبناء على هذا الأساس، فإن ثمة عدداً لا بأس به من العناصر التراثية التي يمكن أن يتعامل معها بنظرة جديدة، كتلك التي جاءت الإشارة إليها منذ قليل في هذا المطلب . هذه العناصر دائماً ما تدرس في إطار رؤية مغايرة لتلك التي ننطلق منها الآن، وكما تجدر الإشارة إلى أن هذه العناصر (ينظر: ٣/٣/٣: ٣،٢،١من البحث) تحتاج فيما أظن إلى دراسات إمبريقية/ تطبيقية للتحقق من فرض إقامة هذه العناصر محل الجانب الصوتي، والتركيبي والدلالي المعاصر، وبناء على هذه النظرة، فإن العناصر التراثية، يمكن أن تتشكل في إطار جديد، يحافظ على الهوية التراثية، ويشكّل منها "نحو النص" العربي، الذي يدعم جوانبه من عدد من التيارات .

هذه التيارات تقع ضمن دائرة البلاغة العربية بشكل عام، التي تضم بين جوانبها : المعاني، البيان، البديع، كما لا يفوت الباحثون الاستعانة لعناصر تنتمي في عمومها إلى النقد الأدبي، والنحو الوظيفي، وبناء على هذا تنوعت المنظومة التحليلية عند هؤلاء القوم توزيعاً محكماً؛ خدمة لبيان أوجه إعجاز القرآن .وتأسيساً على ذلك، فإن العناصر المكونة للنص في عملهم، تنتظم في عدد من العلوم المتداخلة، ويمكن توزيع تلك العلوم على العناصر السابقة، كالتالي:

١ ـ الصوتيات الأدبية، وينتظم فيها :

ـ مباحث علم البديع .

ـ قضايا النقد الأدبي .

٢ـ النظم الأدبي/النحو، وينتظم فيها :

ـ مباحث البيان .

ـ مباحث النقد الأدبي .

٣ـ الدلاليات الأدبية، وينتظم فيها :

ـ مباحث البيان .

ـ قضايا البديع .

ـ النحو الوظيفي:الدلاليات النحوية/اللغوية .

ومن ثم فإن العناصر البلاغية مجتمعة في هذه الأعمال على نحو مختلف، بيد أننا يمكننا أن نخلص بعدد من الركائز الأساسية نذكرها على النحو التالي :

١ـ خلت الصوتيات الأدبية من مباحث علم البيان .

٢ـ اشتمل النظم الأدبي على مباحث علم البيان والمعاني والنقد الأدبي، في حين خلا من علم البديع .

٣ـ خلت الدلاليات الأدبية من مباحث المعاني والنقد الأدبي، ودخلت دلاليات أخرى للنحو الوظيفي : دلاليات لغوية/نحوية .

٤ـ تساوى عدد العلوم المكونة للمادة اللغوية للنظم والدلاليات الأدبية، (٣) ثلاثة علوم لكل منهما، في حين وردت مادة الصوتيات الأدبية ممثلة في علمين .

٥ـ تداخلت القضايا الثلاث على النحو التالي :

م	الدلاليات الصوتية	النظم/التراكيب النحوية	الدلاليات الأدبية
١	مباحث علم البديع	——	مباحث علم البديع
٢	النقد الأدبي	النقد الأدبي	——
٣	——	مباحث البيان	مباحث البيان

وبالتالي يمكن القول إلماماً، إنه ينبغي أن يعاد النظر في استخلاص الدلاليات الصوتية من خلال البديع والنقد الأدبي لاشتمالهما على النوع الأول . في حين جاءت قضايا النظم منتشرة في أبواب النقد الأدبي وعلم البيان، وإن جاء القسم الثاني بشكل أقل، أما الدلاليات الأدبية، فالمنوط بها علم البديع والبيان .

وخلاصة ذلك إن مباحث علم البيان موزعة على محورين : التركيبي والدلاليات الأدبية، في حين تنتظم قضايا النقد الأدبي في الدلاليات الصوتية والنظم . أما علم البديع، فهو المنوط بدراسة الدلاليات : الصوتية والأدبية .

الفصل الثالث

المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بنحو النص

١/٤ : مدخل :

استدعى النظر إلى النصوص على اختلافها في الآونة الأخيرة علماً أطلق عليه "نحو النص" وهو علم يُعنى بتقديم تفسير أرحب ورؤية أكثر إقناعاً، مما هي عليه في الأنحاء التقليدية (نحو الجملة)، إذ يهتم بما هو أكثر عمومية وشمولية فيما يرتبط بالأشكال التي يتيحها النص، وبالتالي فإنه كما يقول شميت **(Schmidt)** : إذا كانت التابعات الجملية/الجمل تحقق فيما بينها معنى صادقاً (اتصالاً)، فإن نصف (الفهم/الاتصال) الآخر يتحقق من خلال إمكان التحول إلى فهم النص كوحدة واحدة، ومن هنا يعطي تفسيراً كلياً أرحب وفهماً أعمق[1]. الأمر الذي يترتب عليه أن أبرز الفروق بين "نحو الجملة" و "نحو النص"، أن نحو النص[*]، إنما يبحث فيما فوق الجملة، ولا ينكر الآراء والتصورات في الأنحاء التقليدية، وإنما يتجاوزها إلى أفكار كلية، تتمثل في عدد من العناصر المكونة له في ظاهر النص ليشمل كل الروابط :

أولاً: على مستوى العلاقات داخل الجمل .

ثانياً: على مستوى العلاقات بين الجمل .

ثالثاً: على مستوى العلاقات بين الفقرات (أو ما في حكمها) .

رابعاً: على مستوى العلاقات في مجمل النص .

وإذا كنا في موضع سابق من البحث (ينظر:٣/٣/٣) قمنا بتوزيع منظومة العناصر المؤثرة في أوجه الإعجاز .ولا ريب أن هذه العناصر مستقاة/منقولة من تيار النقد/ نقد الشعر، وحاولوا أن يوظفوها في تقديم تفسير أرحب وأعمق لأوجه الإعجاز القرآني، يكشف من خلاله مناطق جديدة وبكر في التفسير والتحليل .

---

(1) **S. J. Schmidit :Texttheorie., S. 151 .**

وينظر تفصيلاً موسعاً عند د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٤٠.

(*) أوضح بوجراند أن دراسة علم لغة النص قد أثمرت لديه عدداً من النتائج ، مفارقاً بذلك النظام التقليدي/علم لغة الجملة، ينظر مقالته المهمة :

-Textliguistik : Zu Neumen ufern .

"معنى المعنى" يصبح البناء النحوي، وإن كان بناء صحيحاً، عاجزاً عن أن يقدم معياراً سليماً للتفسير[١].

وبناء على ذلك، فإن "المعنى الثاني" ليس مرتبطاً بالبنية اللغوية المتحققة في التتابعات اللغوية المنتظمة، وإنما يتعلق بالسياق الحضاري وبالدلالات التي يستنطقها ، ومدى معرفته بتلك الدلالات المشتركة وما تتيحه السياقات الحضارية .

ويستنتج د.عز الدين : أن "المعنى الثاني" ليس له قوة المعنى الأول واستقراره، وإنما هو قابل للتعدد، بل هو قابل للتغير أو التراجع أو الإهمال والنسيان مع الزمن، ولأنه متولد أصلاً من علاقة خاصة بين المدلولات (المعاني) لا الدوال (الألفاظ)، فإنه غير قادر على أن يستقر نهائياً في ذاكرة اللغة[٢]. وما نخلص إليه أنه إذا كان "المعنى الثاني"[٣] غير مستقر وقابل للتراجع أو الإهمال والنسيان، فإن هذه الرؤية تتيح/تفسح من ناحية أخرى المجال للاجتهاد والتفسير والتأويل. وتعتبر هذه النقطة المرتكز الذي على أساسه ومنه يبدأ هذا البحث وبحوث أخرى تحاول تقديم التراث بقراءة جديدة، على أسس مغايرة ومختلفة عن تلك التي احتكم إليها القدماء، ومن ثم نصل إلى دلالات / رؤى جديدة يتيحها التفسير ولا يردها .

وهكذا يضفي القارئ/ المحلل على النص تفسيراً يجمع بنية اللغة (النص) التي تبدو غير مترابطة (مبعثرة)، وتفرض طبيعة هذا الإجراء أن دور المتلقي/المفسر لا يقل أهمية في إثراء النص وإعطائه استمراريته ، ولا يقل عن دور منتج النص، وهكذا يتبوأ القارئ مكانة مرموقة في ضوء الاتجاه النصي[٤].

(1) د. عز الدين إسماعيل : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ص ٤٢.

(2) السابق : الموضع ذاته.

(2) يستثنى بوجراند النصوص الواضحة / المباشرة لغوياً من هذه المعالجة كنصوص النعي في الجرائد، والتنبؤ الجوي، وإعلانات البيع أو الإيجار، وهلم جرا . ينظر :

R.de Beaugrande : Text Grammar Revisited , p. 8 .

(4) حول دور المتلقي/ المفسر وقيمته في إنتاج تفسير للنص، ينظر د. سعيد بحيري اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٣، د. عاطف جودة: النص الشعري ومشكلات التفسير ص ٤٢ وما بعدها و٧٦، والفصل الخامس بـ: التفسير وتجليات النص... على سبيل المثال .

وينبغي أن نقرر أن علماء النص مختلفون فيما بينهم في التصورات والإجراءات، فمنهم من يعتمد "نصية النص" مثل بوجراند/ درسلر[١] ومنهم من يعتمد "تجزئة النص" مثل فاينريش[٢]، وهناك من يقترح "نحوية النص" مثل فان دايك[٣]، وأما بتوفي فيذهب إلى "توليدية النص"[٤].

وقد أدت هذه الرؤى المختلفة والتصورات المتقاربة أحياناً والمختلفة في أحيان كثيرة إلى أننا إذا أردنا أن نعتمد منهجاً واحداً أو تصوراً محدداً، فإن تصور بوجراند/درسلر هو المعتمد لدينا، حيث نحاول أن نختبر فاعلية تلك المعايير التي وضعاها لكي تحقق نصية النص. بيد أننا ينبغي أن نؤكد أن علماء النص، يرون أن نصية النص تتحقق بأقل قدر من هذه المعايير. أما إذا تحققت المعايير السبعة، فيكون النص كلاً متكاملاً، وإذا كانت التصورات النهائية لم تستقر بعد بين المعنيين بـ"نحو النص"، وبالتالي فإن ثمة كثيراً من القضايا بينهم مثار خلاف .

وتعتمد "نصية النص" عند بوجراند/ درسلر على سبعة معايير، لابد من توافر قدر منها، لكي تتحقق له صفة النصية، وهي كما ذكراها على النحو التالي[٥] :

١ـ السبك : (Kohäsion)

٢ـ الحبك : (Kohärenz)

٣ـ المقصدية : (Intentionalität)

(1 R. de Beaugrande / W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik.

(2) H. Weinrich : Die Textpartitur als heuristische methode.

(3)Teuon, A. Van Dijk : Aspeke einer Textgrammaratik.

(4) J..Petöfi:Transformationgramatiken und die grammatische Beschreibung der Texte.

(5) R. de Beaugrande / W. Dressler : Einführung in die Textlinguistik, S. ١٤٠.

وينظر كذلك :

- Heinrich F. P. : Textwissenschaft und Textanalyse, S. 52 –119 .

- Heinz Vater : Einführung in die Textlinguistik, S. 31 : 64 .

٤ـ المقبولية : (Akzeptabilität)

٥ـ الإخبارية : (Informativität)

٦ـ الموقفية : (Situationalität)

٧ـ التناص : (Intertextualität)

ويجب أن نشير هنا إلى أن الفصل بين هذه المعايير، ليس في الواقع الفعلي، وإنما فصل استدعته أمور تختص بالجانب التنظيري عند علماء النص (بوجراند/درسلر)، ويفضي بنا هذا الملحظ إلى اعتبار معياري:السبك والحبك معيارا النصية الأولين. وكل منهما لا ينفك عن الآخر، فإذا كان من خلال الأول تتحقق فرضية التتابعات الجملية على السطح (بنية اللغة)، فإنها تمثل الصفر (لا قيمة لها) ما لم يقم تماسك دلالي بين هذه الوحدات (التماسك الدلالي).

وقد أدى هذا التوجه في البحث النصي إلى إيجاد صيغ جديدة وتصورات وأفكار مفارقة لتلك المتبعة في "نحو الجملة"، ذلك أنها في "نحو الجملة" لم تعد قادرة على تقديم تفسير مرض، يتناسب مع تلك الأفكار التي يسعى "نحو النص" إلى تقديمها، ويحاول أن يختبر فاعليتها في ضوء التصورات الجديدة المقترحة.

ونقرر ابتداء أن التصورات الأساسية التي اقترحها ويقترحها علماء النص ليست نهائية ولا أخيرة. ويدل كم الخلاف بينهم فيما يمكن أن يقترح ضمن معيار (Kohäsion)، وفي ذلك نرى خلافاً واضحاً حول وضع عدد من القضايا التي تعد من صلب البحث النصي، ولنا حول هذه الجزئية عودة في قابل من البحث.

على أننا نختبر مدى فاعلية هذه المعايير وتحققها في دراسات الباحثين في الإعجاز القرآني، ولابد أن أنوّه إلى أن الإفادة من هذه الأفكار والتصورات الغربية في معالجة مشكل عربي أصيل، ليس نوعاً من الترف، وإنما تفرض/تحتم طبيعة البحث عرضها ومناقشتها في ظل أفكار القدماء (التراث) بتلك التي توصل إليها البحث النصي في وقته الراهن، ومن ثم فإن المقارنة تفيد في إضاءة القديم والكشف عن جوانبه النيرة، ولا يفوتنا أن نأخذ في الاعتبار الفروق التاريخية التي أفرزت كلاً منهم.

وإذا ما كان ما ورد من عناصر لها قيمتها في التحليل الكاشف عن إعجاز القرآن الكريم، فإنني أقرر أن كثيراً من هذه المفاهيم قد ورد عند أصحاب الرسائل عرضاً، أقصد عدم تحديد فحواها بشكل دقيق لم يكن قد تشكل بعد.

ولهذا يلاحظ أن مفهوم التلازم/الملائمة/الائتلاف عند أصحاب الرسائل في البحث في الإعجاز تمثل مفاهيم ديناميكية وليست استاتيكية،وبالتالي فإن معانيها متغيرة حسب السياقات، ولهذا فإن التصور النهائي/الأخير لها لم يكن قد استقر بعد، وربما يكون هذا الأمر هو الذي جعل الباحثين يتحاشون ترجمته كمقابل للمصطلح (Kohärenz) وفضّلوا عليه : الالتحام، الاتساق، الحبك، التناسق، التقارن، التماسك، وكلها عناصر مرتبطة بالجوانب المعنوية للنص.

وهي رؤية مختلفة عن رؤية أصحاب المؤلفات من الباحثين في الإعجاز، إذ حاولوا جاهدين أن تكون هذه العناصر(المعايير) المستعملة محددة، وأكثر وضوحاً، ومن هنا جاءت فيما تشبه المفارقة. وإذا كانت ثمة بعض العناصر التي اتفق حولها الباحثون في الإعجاز مع التيار البلاغي(المعاني، البيان، البديع) ومباحث النحو الوظيفي، فإن هذه العناصر المكونة لهذه التيارات، تحتاج فيما أرى إلى إعادة رصد، موضحين المداخلات في الرؤى بين أصحاب البحث في الإعجاز، للمقاربة المنهجية بشكل واضح ومحدد.

ولا ريب أن تناول هذه العناصر بالمناقشة والتحليل على ذلك الاتساق والانتظام التي جاءت على هيئته قبلاً، يحتاج إلى فضل بيان، وتوضيح يستجلي دورها في السباك والحباك أجزاء النص.

كما تبين المداخلات والمقاربات بين الاتجاهات المختلفة في الثقافة العربية مدى توظيفها للكشف عن أوجه الإعجاز، كما تم بيان ذلك في موضع ذلك من البحث (ينظر :٢/٣/٣ من البحث) ومن ثم فإن التعرض لمثل هذه العناصر بالمناقشة والتحليل، إنما يكشف بشكل وثيق عن كيفية تفاعل مظاهر السبك والحبك لإبراز النص.

على أية حال فإننا نتعرض فقط ، لما يمكن أن يقدم إسهاماً واعياً للنظرية النحوية وتكامل جوانبها عند الباحثين في الإعجاز، وإذا كانت الدراسات اللغوية التي قامت حول مفهوم

"النظم" عند الجرجاني، فإنني أراها قضية تحتاج إلى إعادة رصد؛ لاستخلاص المعاني الثواني/معنى المعنى ؛ إنصافاً لأولئك القوم الذين خدموا اللغة مخلصين . هذا التصور الأوليّ لقضية الإعجاز، يحاول أن يقرأ ما كتب من خلال تصورات وأفكار مطعمة بأفكار حديثة للمقاربة المنهجية بين ما هو قديم (البحث في الإعجاز)، وما هو معاصر (اللسانيات النصية) .

ولعل مقصدنا في ذلك ما اصطلح عليه في الدرس النصي بالسبك(**Kohäsion**) والحبك(**Kohärenz**) والجوانب الأخرى من المعايير. ونقصد بالسبك تلك الوسائل اللغوية التي تتحقق بها الاستمرارية والاتصال لظاهر النص (**Suface text**)، ونعني بظاهر النص الأحداث اللغوية التي ننطق بها أو نسمعها في تعاقبها الزمني، والتي نخطها أو نراها بما هي كم متصل على صفحة الورق... أما الحبك يختص بالاستمرارية المتحققة في عالم النص **Textual world**ونعني بها الاستمرارية الدلالية التي تتجلى في منظومة من المفاهيم **Concepts** والعلاقات **Relations** الرابطة بين هذه المفاهيم[1]. مكونين فيما بينهما تصويراً في النفس فيما تعارف عليه باللغة، حسب تعبير الخطابي .

وأحسب أن هذه الأفكار والتصورات الجزئية/الأولية نجد لها معالجة تراثية، نشير إلى أنها بدأت في الدرس النقدي سواء عند الجاحظ والآمدي والعسكري وابن رشيق وغيرهم(*)، فيما عرف بقضية اللفظ والمعنى[2] في النقد الأدبي، وقد كتب الباحثون حولها دراسات أصيلة، جعلت منها صفة مائزة في البحث النقدي بصفحة خاصة .

---

(1) د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٥٤ ، وينظر الأفكار ذاتها :

S. J. Schmidt : Texttheorie, S. 154, 158 وما بعدها

(*) يتفق هذا الاستنتاج مع ما ذهب إليه د. منير سلطان حول المداخلات بين هذه العناصر عند أصحاب النحو والنقد الأدبي والبحث في الإعجاز. إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ١٤٥ : ١٥١.

(2) يرى د. درويش الجندي أن قضية "اللفظ والمعنى" برزت نتيجة الجدل الدائر حول قدم القرآن وحدوثه وما استتبعه في ماهية الكلام.ولقد اتصل الفقهاء بهذه القضية ، كما اتصل المتكلمون. نظرية عبد القاهر في النظم ص ٢٧ ومـا بعدهـا. كما قدم د. عاطف جودة نصر عرضاً قيماً موسعاً حول قضية "اللفظ والمعنى" تحت عنوان :التفسير ومشكلة اللفظ والمعنى، متتبعاً هذه القضية بالتحليل في الثقافة العربية الإسلامية من ناحية، وعلاقتها =

ولعل إفادة الباحثين في الإعجاز من مثل هذه التصورات المطروحة عند التيارات الأخرى أدى بهم إلى الكشف عن جوانب ثرية من النص القرآني؛ الأمر الذي أدى بالخطابي والرماني الاستعانة بمثل هذه المفاهيم والتصورات المستعملة في التيارات النقدية والأدبية. ولا ريب أنهم أضافوا إليها وحاولوا تطويعها لخدمة قضية الإعجاز، مما أفضى في النهاية إلى أن يخطو بها خطوات متقدمة متمثلة عندهم في نظرية "النظم"، وإن لم تأخذ التصور النهائي؛ الأمر الذي أفاد منه عبد الجبار فيما عرف عنده بـ"الفصاحة" ورسخها الجرجاني فيما عرف بـ"النظم"؛ وهو مكمن الإعجاز القرآني عندهم، وربما نخلص في هذا السياق إلى ذلك البدء الذي ذهبوا إليه وهي قضية "اللفظ والمعنى"، وهو يقابل ما اصطلح على تسميته بالسبك والحبك، إن جاز مثل هذا التشبيه .

وقد وردت هذه العناصر في مواضع متفرقة عند الباحثين في الإعجاز، بما أدى إلى بعثرتها. وتبغي الإشارة إلى أن مثل هذه الرؤية لا تنقض مدى الإلمام الواعي لديهم بمثل هذه الموائز والتباينات التي يقررها المعنيون بـ"نحو النص" .

وبناء عليه، فإنه قد أدى بالباحثين في الإعجاز إلى معالجة هذه القضايا منثرة على تلك الطريقة المسلوكة عندهم، غير أننا نحاول توزيع مثل هذه العناصر مجتمعة، والحال أيضاً لقضايا الحبك (**Kohärenz**)، كما أن ثمة قضايا تقع الموقعين معاً، وأحسب أن جل قضايا السبك والحبك تندرج ضمن هذا الإطار باستثناء الحالات التي تأتي الإشارة إليها في حينها .

٢/٤ :المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز وعلاقتها بـ"نحو الجملة":

تمثل هذه المرحلة ما ورد عند الخطابي والرماني؛ فقد عرف الخطابي النظوم بقوله : هي التي بها يكون ائتلافها وارتباط بعضها ببعض، فيتوصل باختيار الأفضل عن الأحسن من وجوهها إلى أن يأتوا بكلام مثله[1].وفي موضع آخر، يؤكد هذه الرؤية بقوله:ولا ترى نظماً أحسن تأليفاً

=بالفكر اليوناني من ناحية أخرى. النص الشعري ومشكلات التفسير ص ٩٩ : ١١٤. وفي موضع آخر يرجع ثنائية اللفظ والمعنى إلى ثنائيات متعددة في الثقافات كلها ص ٦٨.

(1) الخطابي: بيان إعجاز القرآن ص ٢٤.

وأشـــد تلاؤماً وتشاكلاً من نظمه[1] . وفي موضع ثالث يقول : وأما رسوم النظوم، فالحاجة إلى الثقافة والحذف فيها أكثر؛ لأنها لجام الألفاظ وزمام المعاني، وبه تنتظم أجزاء الكلام ويلتئم بعضه بعضاً، فتقوم له صورة في الذهن يتشكل بها البيان [2] .

ونستطيع أن نستظهر عدداً من المبادئ النصية في هذه النصوص الثلاثة التي اقتطعتها مما هـــو وارد عند الخطابي، فيظهر النص الأول:الائتلاف/التأليف، الارتباط، التلاؤم والتشاكل، وجـــامع هـــذه العناصر كلها "النظم"، وبالتالي يمكننا القول " إن التلاؤم، الارتباط، التشاكل مظاهر مختلفة لمعنى واحد. كما تشير النصوص عند الرماني إلى ذلك الارتباط الواقع بينهم، وإذا كـــان الـــنظم هـــو العنصر الرابط لكل هذه العناصر، أو بتعبير آدق لمعياري السبك والحبك المختصان بالنص .

الائتلاف، الارتباط (سبك)

النظم

التأليف، التلاؤم، التشاكل (حبك)

وفي هـــذه الـــرؤية اتفاق مع ما ذهب إليه د.سعيد بحيري بقوله :ارتباط مصطلح النظم بالتأليف والتلائم والتشاكل، وكذلك تضمن نظوم التأليف للألفاظ والمعاني معاً، غير أن دخول الأولى لازم أولاً لتحقـــيق وجود الثانية، وتلك إضافة أخرى أسهمت في اتساع دلالة المصطلح لديه، فقد جعل من أشكال النظم (رسوم النظم) ضابطاً للألفاظ والمعاني معاً[3] .

ويلاحظ أن النص الثالث (بيان إعجاز القرآن ص ٣٣) تأكيد على ما ورد في الموضعين السابقين، ومن ثم فالنظم عنده يشتمل على خاصتين، الأولى : التلاؤم (حبك).الثانية :الارتباط (سبك)، أو ما يمكن أن نطلق عليهما معاً سبكاً وحبكاً، ومن هنا يأتي الائتلاف كمقابل للحبك والارتباط مقابلاً موضوعياً للسبك .

---

(1) السابق : الموضع ذاته.

(2) السابق ص ٣٣.

(3)د.سعيد بحيري : القصد والتفسير في نظرية النظم (معاني النحو) عند عبد القاهر الجرجاني ص ١٦٥.

وإذا ما عمقنا النظر، وأخذنا نفكك تلك الشفرة اللغوية في نصوص الخطابي وجدناها مشتملة على خاصتين، الأولى : الائتلاف، وبه تتسق الكلمة مع ما قبلها وما بعدها داخل إطار الجملة، وهكذا تتآزر هذه الجملة على هذا النحو من الائتلاف لصياغة جمل وفقرات ونصوص مـــترابطة الأجزاء معنوياً. الثاني : أن هذا الائتلاف المعنوي لابد أن يوازيه عنصر آخر متمثل في العناصـــر اللغويـــة الماثلة في التابعات اللغوية/الجملية. وخلاصة القول حول رؤية الخطابي إن النص اللغوي أو الجملة لكي يتحقق فيها عنصر التواصل والتعبير، ينبغي أن تتحقق فيها هاتان الخاصـــتان[1].وبـــناء على ذلك، نلاحظ استخدام "النظم" كمصطلح منذ وقت مبكر، يوجب ملاحظة خصوصيته في تلك المؤلفات التي عالجت قضية الإعجاز القرآني .

ويؤكـــد هـــذا الملحظ[*] أن "النظم" قد أفاده الجرجاني من نظرية الخطابي النحوية[2]، وسوّى بينه وبين "معاني النحو" في بعض الحالات، وأحسب أن تلك التفرقة مأخوذة (منقولة) من تلك النصوص التي أوردناها للخطابي، إذ إن معناها قائم على التسوية بين "النظم" من جهة، و "معـــاني النحو" من جهة أخرى. غير أن الجرجاني ذكرها صراحة، الأمر الذي لم يذكره الخطابي مباشرة، وإن كان ما ورد عنده بشكل ضمني، ويشير "معاني النحو" إلى تلك الخاصية المهمة في الائتلاف/الارتباط، فيما تمثل العناصر النحوية، بينما تأتي "المعاني"، لتجسد تلك الرؤية اللفظية، وهكذا يتضافر عند كل من الخطابي والجرجاني لإنتاج النص واتساقه، إذ يقدم كل عنصر تفسيراً

---

(1) مـــن اللافت للنظر أن مثل هذا التصور نجده لدى سيبويه في الموازنة بين الجانب النحوي والدلالي؛ يقول : فمـــنه مستقيم حسن ومستقيم قبيح، وما هو محال كذب. فأما المستقيم الحسن، فقولك : أتيتك أمس وسآتيك غداً وسآتيك أمس .وأما المستقيم الكذب ، فقولك : حملت الجبل ، وشربت ماء البحر ، ونحوه ، وأما المستقيم القـــبيح ، فـــأن تضع اللفظ في غير موضعه، نحو قولك : قد زيداً رأيت ، وكي زيدا يأتيك ، وأشباه هذا. وأما المحال الكذب ، فتقول : سوف أشرب ماء البحر أمس. الكتاب ٨/١.

(*) يـــنظر حـــول ذلـــك: د. سعيد بحيري : القصد والتفسير في نظرية النظم (معاني النحو) عند عبد القاهر الجرجاني ص ١٥٩.

(2) خلـــص الأستاذ وليد محمد مراد إلى أن الخطابي من خلال عدد من النصوص وضع أيدينا على مفتاح نظرية الـــنظم ، وبالتالي يكون الخطابي سباقاً لعبد القاهر لمعرفته أسرار الإعجاز ، وهو "النظم". نظرية النظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية ص ٢٨.

ويخدم جانباً، ليس موجوداً في العنصر الآخر. ويتفق مع ما خلص إليه أحد الباحثين:بأن الخطابي لا يهتم بفنون القول، وموضوع علوم البلاغة والبيان والبديع كثيراً في كتابه، بل يجعلها في المقام الثاني؛ ويجعل الصدارة للنظم ليكشف عن سر الإعجاز فيخالف بذلك سابقيه[1].

إذن النظم عند الخطابي يشمل:الارتباط، الائتلاف، المتلائم، التشاكل، بتعبير الباحثين في الإعجاز؛ وكلها مظاهر لانسباك النص وانحباك أجزائه الظاهرة والباطنة. وإذا كان التلاؤم الـذي يؤدي معنى:الائتلاف والتشاكل عند الخطابي، أشار إليهما على أنهما عناصران مختلفان لمفهوم واحد. أما الارتباط والائتلاف فقد عبر عنه المتأخرون بأسماء مختلفة، نأتي إليها في حينها في البحث .

ومـا نخلص إليه أن الخطابي كان مركّزاً على "النظم" ومقصده في ذلك اللفظ والمعنى؛ أي تضافر العناصر الظاهرة(الارتباط/السبك) مع العناصر الباطنة (الائتلاف/الحبك)، فيما أطلق عليه الجرجاني بالنظم، وبالتالي جاء اهتمامه به في المقام الأول، بينما لم نر شيئاً عن البديع إلا في القليل النادر، كما يشير التحليل (ينظر:٢/٢/٥ من البحث) وجاء اهتمامه بالبيان في الأسرار، وعـلى هذا الأساس، فإن مرجعية الإعجاز عنده مردها إلى النظم، وتمثل أعمال الخطابي في هذا الاتجـاه مرحلة مهمة، بناء على رؤيته وعنايته بعلاقة الألفاظ بعضها ببعض، ومن هنا يكون قد خطـا بـنظرية الـنظم خطوة مهمة في تاريخ الدراسات اللغوية بوجه عام والدراسات المتعلقة بالإعجاز بوجه خاص متقدماً على الرماني في هذا الصدد .

وتبقى السمة الجوهرية الفارقة بين عمل الخطابي والجرجاني، وتتمثل في :

١ـ أن الـنظم عند الخطابي لا يتجاوز حدود أسوار الجملة، في مقابل مفهوم "النظم" عند عبد القاهر الذي تجاوز به الجملة إلى العلاقات الداخلية بينها وعلاقات الجمل بعضها ببعض وعلاقة الفقرة، ثم علاقة النص أو ما في حكمه. ومن خلال هذا الاستخلاص لا نوافق ما خلص إليه د.البدراوي زهران[2] .

---

(1) د. محمد زغلول سلام : أثر القرآن الكريم في تطور النقد الأدبي ص ٢٦٣.

(2) د. البدراوي زهران : عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص ١٦٦.

٢ـ أن عبد القاهر جعل "النظم" الوارد عند الخطابي نظرية لها مفهومها وعناصرها وطورها حتى بلغت ذروتها عنده.

وتجدر الإشارة في هذا السياق أن خاصيتي التلاؤم والربط عند الخطابي، هما الخاصتان الأكـثر أهمـية/بـروزاً في مذهبه النحوي في الكشف عن إعجاز القرآن، ومرد ذلك يعود إلى حقيقتين :

الأولى : أنهما يرتبطان ارتباطاً وثيقاً ومباشراً بالنص، وهما يقعان ضمن إطار مفهوم أكبر، يجمع بينهما عند الخطابي، وهي خاصية النظم .

الثانـية : أن هاتين الخاصتين لم يجعل لهما الخطابي مفهوماً محدداً، كمفهومين أساسين في توضيح مذهبه في الإعجاز، غير أن هذا ينبغي أن يؤخذ بشيء من الحيطة والحذر، إذ ثمة مواضع متفرقة مـن "نكته" تدل بوضوح على أهميتها في إطار تلك النظرية التي يعمل من خلالها، وقد أدت به هذه الرؤية إلى دوران هذه المفاهيم وانتشارها في رسالته، أو لنقل، إنهما يعدان محورين مهمين من محاور البحث والتحليل .

وممـا تجدر الإشارة إليه أيضاً ؛ أن المعايير الثلاثة المختصة بالتأليف، تركز على جوانب تختص باللغة، فيما يختص بـ"التنافر" الذي يعكس صعوبة في النطق ؛ نتيجة للتقارب المخرجي، بيـنما يـبقى ثمة تأليف متلائم في الطبقة الوسطى، في مقابل المعيار الذي يؤدي إلى التنافر.ويأتي المعيار الثالث:المتلائم في الطبقة العليا، يمثله القرآن الكريم، ويعكس هذا العرض بوضوح مدى اختصاص "التأليف" بالجانب اللفظي، في حين يختص "التلاؤم" بالجانب المعنوي كمقابل موضوعي لما هو عند المعنيين بـ"نحو النص" .

في حـين يـأتي "التلاؤم" عند الرماني ، يقصد به الشق المعنوي، إذ هو نقيض التنافر، وهـو التلاؤم ـ تعديل الحروف في التأليف[1] .وهذا يأتي كمقابل لخاصية "التأليف" المختص بالبنية اللغوية المتمثلة على الورق، مما يؤكد هذه الرؤية .

---

(1) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ص ٨٧. ويرى د. شوقي ضيف أن الرماني استمد هذه الفكرة من كلام الجـاحظ في بيانه عن تنافر الحروف والكلمات وما ينبغي أن يكون في الكلام من تلاحم . كأنه سبك سبكاً واحداً. البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٥، ويراجع الأستاذ وليد محمد مراد : نظرية النظم ... ص ٢٦. وأما =

وتعتضد هذه الرؤية بتقسيمه التأليف إلى ثلاثة أوجه تختص جميعها بالجانب اللغوي، متنافر ومتلائم في الطبقة الوسطى ومتلائم في الطبقة العليا[1].

وقد فطن أحد الباحثين إلى عناية الرماني باللفظ والمعنى والعلاقة القائمة بينهما، أثناء حديثه عن المتلائم بين اللفظ والمعنى، والمراد به حسن النظم ودقة الرصف[2]. وعلاقة هذا الكلام بما هو وارد عند الجاحظ، وهي رؤية أدت إلى التداخل بين جوانب مختلفة من جوانب الثقافة العربية، ومن ثم نرى د.الربيعي يقول:وقد فطن البلاغيون الأدباء إلى أهمية ذلك الترابط، وما ينبغي أن يكون عليه قدراً من الجمال، فكان بذلك واحداً من المقاييس التي تعنى بنوعية العلاقات بين تلك العناصر والمكونات، وقد عبّروا عنه بألفاظ مختلفة أهمها:القران والالتئام والانسجام والاتحاد والارتباط[3].

ومن ثم فإننا نستنير بتلك المقولات في الكشف عن جوانب تتعلق بمغزى تلك المعايير، وأولى هذه الملحوظات المتفرقة في كتب الإعجاز، أنهم لم يحددوا فحواها تحديداً مباشراً، وقد أدى هذا التصور أن هذه العناصر جاءت فيما تشبه الرؤى الفردية، وقد ذهبوا في البداية إلى :

١ــ أنها تمثل معايير أخذ يُعبّر كل منهم عنها بطريقته .

٢ــ أن البدايات لهذه العناصر التي أوردتها كتب الإعجاز والنقد والبلاغة، تشير إلى أنها كانت البدايات الأولى، ومن هنا تبدت في أشكال مختلفة عندهم، فيما تدل جميعها على معنى واحد .

٣ــ إفادة الباحثين في الإعجاز القرآني من تلك العناصر النصية التي وردت في ثنايا كتب البلاغة والنقد بعامة، بيد أنها أخذت تتحول إلى معايير أساسية، وقد كتب لبعضها الشيوع والذيوع في حين توارى بعضها بالحجاب، واتخذ مكاناً قصياً من دراسة

=د. درويش الجندي فيشير إلى جانب آخر من جوانب تأثر الرماني بالجاحظ ، فيقول: تأثر الرماني بالجاحظ في تقسيم الدلالات إلى اللفظ والإشارة والنقد والحال. نظرية عبد القاهر في النظم ص ٣٧.

(1) الرماني: النكت في إعجاز القرآن ص ٨٧ .

(2) وليد محمد مراد: نظرية النظم وقيمتها العلمية ... ص ٢٦ ، وهو ينقل كلام د. شوقي ضيف برمته دون أن يشير إليه .ينظر : البلاغة تطور وتاريخ ص ١٠٥.

(3) د. حامد صالح خلف الربيعي : مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء ص ٧٥.

البحث في الإعجاز القرآني، وتدل معايير : الاتحاد والقران على مدى تحقق تلك الفرضية[1] وإن كانت تلك هي المصطلحات التي تشكل مفارقات لبنى لغوية مختلفة، يتحقق من خلالها الانسجام على مستوى عالم النص .

ومن الملاحظ أن هذه المعايير تدل على ما ذاعت ترجمته بـ"السبك"، وهي الترجمة الأكثر قبولاً وشيوعاً ، هي المنقولة من التيار الأدبي[2] والنحوي، فإن ما ورد عند الجاحظ من "القران" ولم يتم له الذيوع والانتشار كـ(القران) الوارد عنده في قوله: وقال أبو نوفل بن سالم لرؤبة ابن العجاج : يا أبا الجحاف : مت إذا شئت، قال:وكيف ذاك؟، قال:رأيت اليوم عقبة بن رؤبة ينشد رجزاً أعجبني قال : إنه يقول، لو كان لشعره قران، ويفسر القران بالتشابه والموافقة[3] وكذلك "الاتحاد" الذي ورد عند الجرجاني .

وأحسب أن مصطلح : القران والالتئام/ التلاؤم الواردين لدى الجاحظ يؤديان معنى واحداً، بيد أنه إذا كان قد كتب لمصطلح الالتئام الشيوع والذيوع في مجال النقد الأدبي، وفيما يمس جوانب الإعجاز القرآني، فإن معيار "القران" الموازي له على مستوى البنية الدلالية، سيؤدي المعنى ذاته، غير أنه لم يكتب له ذلك. أما مصطلح "الاتحاد" الذي أورده الجرجاني، فالرأي عندي أنه لم يحظ بقبول لدى الباحثين التالين للجرجاني، وفضلوا عليه أحد مصطلحات الجاحظ:الالتئام/التلاؤم الذي يعني القران .

وبالتالي فإن الباحثين في الإعجاز اللغوي/البلاغي للقرآن الكريم أفادوا من تلك الدراسات التي قامت حول الأدب في الكشف عن وجوه إعجازه، وإن كانت تلمح دون أن تصرح به مباشرة، وبالتالي فإنه على الرغم من أن هذه المعايير عند أصحاب الرسائل، لم يتحدد لها معنى يخصها ويجمعها، إلا أنه قد بدأت تتشكل لها ملامح جوهرية مائزة، تجعل منها معايير

---

(1) السابق ص ٢٧٥.

(2) يقول الجاحظ : وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج ، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً واحداً وسبك سبكاً واحداً ، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان. البيان والتبيين ٦٧/١. ويقول أسامة بن منقذ ، وأما السبك ، فهو أن تتعلق كلمات البيت بعضها ببعض من أوله إلى آخره .... ولهذا قيل : خير الكلام المحبوك المسبوك الذي يأخذ بعضه برقاب بعض. البديع في نقد الشعر ص ١٦٣.

(3) الجاحظ : البيان والتبيين ٦٨/١.

قابلة فيما بعد أن تنحو نحو المفاهيم. الأمر الذي تبدت قسماته بوضوح فيما بعد عند المتأخرين (السيوطي) من أصحاب هذا الاتجاه .

ومما تجدر الإشارة إليه أن تلك المعايير التي أشارت إليها الكتب المعنية بالنص، وأخص بالذكر معياريّ النصية الأولين، فيما يختص بالنص، كان أصحاب التيار النقدي أيضاً على وعي تام بهما، وقد شبّه ابن طباطبا العلوي السبك بالجسد والحبك بالروح، يقول : وإذ قلت قالت الحكماء إن للكلام جسداً وروحاً، فجسده النطق وروحه معناه، فواجب علي صانع الشعر أن يصنعه صنعة لطيفة مقبولة مستحسنه مجتلبة لمحبة السامع له والناظر بعقله إليه مستوعبة عشق المتأمل في محاسنه والمتفرس في بدائعه، فيحسه جسماً ويحققه روحاً؛ أي يتقن لفظاً ويبدعه معنى.... بل يسوّي أعضاءه وزناً ويعدل أجزاءه تأليفاً ويحسن صورته إصابة، ويكثر رونقه اختصاراً، ويكرم عنصره صدقاً ...[1] .

وثمة رأي للدكتور العبد يرى فيه:أنه فضلاً عن مفهوم الحبك نرى في مصادر التراث البلاغي مفاهيم أخرى ارتبطت بسياقاتها اللغوية في الدلالة على ما يدل عليه الحبك أو شيء مما يدل عليه، فالاتصال والامتزاج والالتئام والالتحام والتلاحم والاتساق والائتلاف والاقتران والارتباط والملائمة والمناسبة والتناسب وغيرها. لعل الالتحام والتناسب والاتساق أدناها إلى مجال اختصاص الحبك المعنوي وأنآها عن الالتباس والانتقال بالدلالة على خواص أخرى لفظية[2].

غير أنني أسجّل شيئاً يتعلق بتلك المعايير التي أشار إليها د.العبد على أنها خواص "الحبك" أو مما يدل عليه، حسب تعبيره، فذكر الالتحام، التلاحم، الاقتراب، الارتباط، وأحسب ان مثل هذه المعايير التي أوردها يمكن للمعيار الواحد أن يأتيَ بأكثر من دلالة، ولا أدل على ذلك من المناقشة الواردة عالياً، ولم لا؟ واللسانيون المعاصرون مختلفون فيما بينهم في ترجمة مصطلح **Kohärenz** و **Kohäsion** في العربية (ينظر: هامش ١/٥، ٢من البحث). وما ظني بهذه

(1) ابن طباطبا:عيار الشعر ص ٢٠٤ ، لا يتسع المقام لذكر كل النصوص ، ونكتفي بهذا النص تجنباً للتكرار ، ومن شاء فليرجع ثمة في ص ٢٠٩ . ٢١٣ من الكتاب.

(2) د. محمد العبد :حبك النص ص ١٣٨ ، ١٣٩.

المفاهيم إلا أنها لم تكن واضحة في تلك الحقبة، وكانت السياقات هي الفيصل في تحديد مقصودهما، فالالتحام يفيد عدداً من المعاني عند الجرجاني[1]، ونوجز تلك التصورات في المحاور التالية :

١ـ الالتحام بين أجزاء الكلام .

٢ـ الالتحام بين المعنى النحوي والمعنى المراد .

٣ـ الالتحام بين معاني الألفاظ .

ومن ثم، فإن معانيه متغيرة تبعاً لتغير السياقات المختلفة، ويؤكد تلك الرؤية أن "الالتحام" في رقم (١) يرتبط بالجانب اللغوي المتحقق على سطح القرطاس، وهو ما يتحقق في عدد من الظواهر البلاغية التي تقوم على عنصرين لغويين أو أكثر، كالتقسيم والتفسير والجناس والطباق، ورد العجز على الصدر، وما إلى ذلك من الظواهر التي تقوم على الاستيفاء أو الاستدعاء .

كما يؤكد تلك الرؤية التي خلصنا إليها، أن "الالتحام" يتعلق بالجوانب اللغوية المتحققة على السطح، أن أبا هلال العسكري، قد وقف على الأبعاد البلاغية للالتحام والترابط في بعض الظواهر، فقال عن التوشيح:هو أن يكون مبتدأ الكلام ينبئ عن مقطعه، وأوله يخبر بآخره، وصدره يشهد بعجزه حتى لو سمعت شعراً وعرفت رواية، ثم سمعت صدر بيت منه، وقفت على عجزه، قبل بلوغ السماع له، وخير الشعر ما تسابق صدوره أعجازه أو معانيه وألفاظه، فتراه سلساً في النظام جارياً على اللسان، لا يتنافى ولا يتنافر، كأنه سبيكة مفرغة أو شئ منمنم، أو عقد منظم من جوهر متشاكل[2] .

وعلى الرغم من التحديد الموجز الذي عرض له د.الربيعي، إلا أنه أثناء مناقشته لمفهوم "الالتحام" وبالتحديد ما يتعلق برقم (١) : الجانب اللغوي الصرف، خلط بشكل واضح بين المقصود في رقم (١) و(٢)، فقال:إذا صح أن مقياس "الالتحام" يتحقق بالظواهر التي تقوم على عنصرين أو أكثر، فيمكن أن يكون الكلام على التعلق والتضام في مبحث الفصل والوصل داخلاً في هذا المستوى من مقياس "الالتحام"؛ لأن فكرة الالتئام والمناسبة من أهم الأسس التي

(1) ينظر د. حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء من ص ٢٨٢ – ٢٩٧.

(2) أبو هلال العسكري: كتاب الصناعتين : الشعر والنثر ص ٤٢٥.

قامت عليها دراسة الفصل والوصل في التراث البلاغي[1]. وهذا يعني أن معيار "الفصل والوصل" لا يتعلق فقط بالجانب اللفظي، وإنما يرتبط من جهة أخرى بالجانب الدلالي، وبالتالي يمكن القول إنه ينتمي إلى الظواهر اللغوية المتمثلة على السطح أصالة، وإلى عالم النص بالتبعية، بحيث لا يمكن الفصل بينهما .

وتأسيساً على ذلك، وجدنا عدداً من العناصر التي جاءت بشكل موجز كـ: التلاؤم والتشاكل والملائمة والقران والالتحام كعناصر دالة على خاصية الحبك، في حين يأتي الارتباط والتأليف كعناصر مقابلة دالة على خاصية السبك، والرأي عندي أن ما جاء حول هذه الخاصية عند أصحاب الرسائل، يمثل رؤى أولى تلقفها الخالفون في الإعجاز القرآني ونموا أفكارها، ولنا في ذلك أدلة، نكشف عنها النقاب في حينها من البحث .

٣/٤: المكون البلاغي في نظرية "نحو الجملة" من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني :

ثمة عدد من الأفكار البلاغية التي أشار إليها الخطابي والرماني تختص بالتحليل، فإذا كان الرماني قد أرجع الإعجاز إلى جوانب بلاغية بحتة، منها ما هو لفظي كالتلاؤم والفواصل والتجانس والتصريف والتضمين، ومنها ما هو معنوي كالإيجاز والتشبيه والاستعارة والمبالغة والبيان، فإن كل ذلك إنما هي قضايا جزئية، تتعلق باللفظ والمعنى في محاولة للمقاربة النصية بينهما، وبناء على هذا النهج بقي في إطاره العام، في حدود الجملة، إذ لم يشر الخطابي والرماني إلى معالجة نصية متكاملة من خلال النص القرآني، وبالتالي جاءت مثل هذه الجوانب في معالجات مقتضبة، وتعد إشارتهما في هذا السياق مؤشراً فعلياً في هذا الاتجاه، أشار لها ضمنياً، وإن لم يصرح بذلك .

غير أن التحليل والمناقشة تكشف عن أوجه مفارقة الرماني في جوهر نظريته للخطابي، إذ يرفض فكرة النظم كمعول عليها سر الإعجاز، ومن ثم رأيناه يتوجه تلقاء البلاغة المعيارية

(1) د. حامد صالح خلف الربيعي: مقاييس البلاغة بين العلماء والأدباء ص ٢٨٥، ٢٨٦.

الخالصة، في حين يرجع الخطابي الإعجاز إلى النظم، وإن لم يكن عنده قد بلغ ذلك المبلغ عند الجرجاني في الدلائل، كما سيأتي .

كما تعكس دراستيهما جوانب مهمة من جوانب تحليل/تفسير أوجه الإعجاز القرآني، حيث لم تكن قضايا البلاغة قد بدأت ملامحها الأساسية تتضح. ومن ثم فإنها عندهما تشمل قضايا بلاغية عامة، وهكذا احتشدت قضايا بلاغية كثيرة، أرجع إليها الرماني الإعجاز، إلا أن البديع(البلاغة) على الرغم من أهميته والمعول عليه في "نحو النص" لم يأخذ حيزاً مرموقاً من نظرية الخطابي والرماني في ظل تحليل قضايا الإعجاز .

وتنبغي الإشارة إلى أن هذه المعالجة عندهما لم تكن قد اتضحت دعائمها الأساسية بعد، وإن وجدت فيها بذور، تعد امتداداً لما أورده الجاحظ، ورؤية أفاد منها كل الباحثين في الإعجاز بشكل عام. بيد أن الرؤية العامة لديهما على الرغم من التطوير(التحديث) لمفهوم النظم المأخوذ عن الجاحظ، إلا أن تحليلها ظل في مجموعه النهائي لم يتعد إطار "نحو الجملة"، وتعد هذه سمة جوهرية يتميز بها تحليل جوانب الإعجاز في هذه المرحلة (مجموعة الرسائل) .

وعلى الرغم من أن الباحثين في الإعجاز بشكل عام، يرون أن الباقلاني لم يكن له إسهام فعلي، زيادة على ما جاء عن السابقين، كالجاحظ والخطابي والرماني، بيد أنني لا أتفق معهم، إذ نرى معالجة متكاملة لبعض السور القرآنية والقصائد الشعرية والخطب النثرية التي تشير ضمناً إلى الملامح الفارقة بين اتجاه الباقلاني واتجاه السابقين له في تحليل جوانب الإعجاز بدأت ملامحه تتضح. ومن ثم نلاحظ توسيعاً للجوانب الأساسية لمفهوم البلاغة، خلافاً لما جاء عند الخطابي والرماني بشكل خاص، وهكذا نلاحظ سمات خاصة لدى الباقلاني، وإن لم يستطع أن يبلور نظريته في شكلها النهائي. صحيح هي رؤية أكثر تقدماً، بيد أنه استطاع ــ على الرغم من مسايرته للسابقين ــ أن يضيف/ يطوّر جوانب التحليل والكشف عن جوانب الإعجاز، وهكذا بدأت ملامح الكشف والتحليل في القرآن تخطو خطوات حثيثة على يد الباقلاني، في أنها ولت وجهتها شطر "نحو النص" ضمناً، وإن لم يصرح به مباشرة .

وإذا كان د. شوقي ضيف[1] يرى أن الرماني يرفض أن يكون "البديع" داخلاً في الإعجاز؛ لأنه يدخل في نطاق الطاقة البشرية. فإنني لا أوافقه فيما ذهب إليه، حيث كان البديع يعني/ يشمل كل أنواع البلاغة التي عرفت التقسيمات فيما بعد الإمام عبد القاهر، صحيح هي في مقدور البشر، إلا أن هذا لا يمنع من توظيف مثل هذه العناصر تبعاً للسياقات المختلفة، خاصة إذا كانت مفروضة فرضاً، ومن ثم فإن عناصر البديع/البلاغة يمكن أن تقدم رؤى جديدة توظف في "نحو النص" العربي .

وفي هذا السياق حسبي من تبريز أمور تستجلي فيها الركائز الأساسية، وهي مبادئ جوهرية مائزة لهذه الحقبة من البحث في "نحو الجملة" للبحث في الإعجاز :

١ـ أن دراسات الباحثين في هذه المرحلة، قد دارت حول قضايا عامة، وبالتالي فإنها تمثل ملاحظات متنثرة، يمثلها الجاحظ في "البيان والتبيين"، وبعض الدراسات النقدية كـ"عيار الشعر" لابن طباطبا. والموازنة للآمدي والوساطة بين المتنبي وخصومه لعلي الجرجاني .

٢ـ العلاقة بين المفاهيم والتصورات القائمة في دراسات الأدب والنقد، وتأثير ذلك على المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز .

٣ـ يلاحظ أنه على الرغم من وجود مصطلح "النظم" عند الجاحظ الذي جاء اهتمامه به في ظل قضية بقيت مثار خلاف بين الباحثين (اللفظ والمعنى في النقد الأدبي)؛ أي أنها دراسات لم تتعد الاهتمام بـ"نحو الجملة"، وبالتالي ظلت بحولهم في إطار حدود علاقة الكلمات بعضها ببعض، ومن هنا جاء اهتمامها بالتشبيه والكناية والاستعارة والبيان والإيجاز، ولكنها دعائم/مرتكزات أساسية لـ"نحو الجملة" .

٤ـ على الرغم من أن هذه المرحلة، بقيت في إطارها العام لم تتعد حدود "نحو الجملة" بيد أن المفاهيم والتصورات أخذت شكلاً متقدماً، أكثر مما كانت عليه عندهم، ويمثل الباقلاني هذه المرحلة .

(1) د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٣.

٤/٤: المفاهيم والتصورات عند الباحثين في الإعجاز وعلاقتها بـ"نحو النص":

تجدر الإشارة إلى أن مصطلح "النظم" كان شائعاً في بيئة الأشاعرة، خلافاً للمعتزلة (باستثناء الجاحظ) وإن كان مرده عندهما واحداً، الذي خالف فرقته في استعمال المصطلح. ولعل عبد الجبار المعتزلي تعرض له في رده الإعجاز إلى "النظم". ويرى الباقلاني أنه بديع النظم(*) عجيب التأليف متناه في البلاغة إلى الحد الذي يعلم عجز الخلق عنه[1].

ويعلق د. عبد الرؤوف مخلوف على تلك الرؤية بقوله: وهكذا نراه وقد رد الإعجاز في القرآن إلى أنه بديع النظم وفائق التأليف، وراح يفصل ذلك من عدة وجوه[2]. إلا أن ما يمكن قوله في هذا الموضع إن "النظم" الوارد عند الباقلاني، على الرغم من تأثره بالسابقين، إلا أنه أضاف إليه، ذلك أن النظم، كما هو وارد عند الرماني والخطابي، بشكل عام، لا يتعدى علاقة الكلمات داخل الجملة، وبالتالي يدور مفهومه في إطار الجملة، التي تعد مناط التحليل عند النحاة، إلا أن الباقلاني أثناء التحليل، نلاحظ استشهاده بعدد من السور والقصائد كاملة، الأمر الذي يشير ضمناً إلى أن مفهوم "النظم" عنده بدأ يأخذ شكلاً مغايراً، يتعدى الجملة إلى الجملة والفقرة والنص كله عنده ، حيث أدار البحث في النظم على أنه التناسق في جملة القرآن، أو في سور كاملة، وليس النظم في جملة أو في آية[3]، ويؤكد أن ثمة عنصرين مهمين :

الأول : العلاقات بين هذه العناصر، وتعادل عند الباقلاني صور البديع .

الثاني : العلاقات بين هذه العناصر، ويعادل عند صاحبنا النظم والتأليف[4]. وبالتالي فإنه لا يرد الإعجاز إلى عنصر واحد، وإنما يجعل له المكانة العظمى، ولا ينقص من قيمة الجانب البديعي،

(*) يلاحظ د. شوقي ضيف أن الباقلاني في هذا النص متأثر برؤيتين مختلفتين ، الأولى : في الشطر الأول : إنه بديع النظم عجيب التأليف ، بالجاحظ الذي أرجع إعجاز القرآن إلى نظمه ... أما الشطر الثاني من التعريف ؛ فيتأثر فيه برؤية الرماني التي ترى أن القرآن يرتفع إلى أعلى طبقة من طبقات البلاغة. البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٣.

(1) الباقلاني : إعجاز القرآن ص ٥١.

(2) د. عبد الرؤوف مخلوف : الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية ص ١٨٥.

(3) ينظر السابق ص ٣٠٥ .

(4) السابق : الموضع ذاته .

فيرى د.شوقي ضيف[1] أن البديع، لا يعول الباقلاني عليه شئ من الإعجاز، غير أننا نرجّح أنه يأتي عنده في مقام ثان أو مرتبة ثانية ومن ثم يكون النظم أولاً والبديع ثانياً، وإذا كانت رؤية د.شوقي ضيف[2] قائمة على أن الباقلاني لم يقدم شيئاً يتعلق بقضية النظم، إلا ما أخذه عن السابقين، فإن د.عبد الرؤوف مخلوف يرى : أن النظم عند الباقلاني، ليس إلا وضع الألفاظ المفردة في الجملة، والجمل في العبارات التي تكوّن أبياتاً أو فقرات من النثر، أو آيات في القرآن، ثم وضع هذه وتلك في الكل وضعاً يتحقق به الغرض الذي يراد من أجله الكلام على أجمل صورة ممكنة مراعياً في ذلك كله أن الاعتبارات والعلاقات تختلف من قائل وقائل من حيث التهدي...[3].

والواقع أننا نوافق ما ذهب إليه د.عبد الرؤوف مخلوف، خاصة أن الكتاب قد نال مكانة وشهرة بين الباحثين في الإعجاز، بناء على تلك الرؤى التي توصل إليها، في نظريته النحوية، فيما يتعلق بالإعجاز القرآني، صحيح هو مغاير لرؤية الجرجاني وعبد الجبار في مرجعية الإعجاز، إلا أن ثمة عدداً من النقاط يلتقون فيها، وإن كانت عند عبد الجبار والجرجاني، أخذت شكلاً مغايراً، إذ أصبحت عندهم مناط الإعجاز، في حين عند الباقلاني رده إلى النظم[4] بشكل أساسي، وبديعي في مرحلة تالية، وإن لم يصل إلى ما في النظم، وبالتالي تختلف هذه مع ما ذهب إلى أن الباقلاني الذي لم يكن يرى في البديع شيئاً يدل على الإعجاز[5] . وقريب من هذه الرؤية

---

(1) إذ يرى أن الباقلاني أول من هاجم بقوة نظرية إعجاز القرآن عن طريق تصوير ما فيه ، وأيضاً وجوه البلاغة التي أحصاها الرماني : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٤.

(2) خلص د. شوقي ضيف إلى أن الباقلاني لم يزد في إعجازه عما قاله الجاحظ والرماني قبله البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٤ ، إلا أنه أخذ بفكرة النظم التي نادى بها الخطابي. وينظر د. محمد زغلول سلام : أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٧٠. وإلى هذا الرأي نميل ونرجح .

(3) د.عبد الرؤوف مخلوف : الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية ص ٣٠٧.

(4) يرى د. علي عشري زايد : أن الباقلاني من خلال مناقشته لبعض السور كاملة كغافر وفصلت وبعض قصائد الشعر كاملة، يؤدي إلى ما اصطلح عليه تسميته بالنظم ، وخلص إلى رؤية دقيقة في هذا الشأن.البلاغة العربية تاريخها . مصادرها .مناهجها ص ٥٩ .

(5) ينظر : د. شوقي ضيف : البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٤.

ما ارتآه د.منير سلطان أن الباقلاني كانت له وقفات طيبة في بيان إعجاز القرآن، التفت إليها وفصّل فيها القول:قوة التعبير القرآني، وصدقه لصدوره عن الله سبحانه. الوحدة الفنية في القرآن، التأثير النفسي للقرآن[1] .

ومما يلمس ما نحن حياله تلك الوحدة الفنية التي خلص إليها الباقلاني من تحليله. وما يلفت النظر حول العناصر المكونة لقضايا الإعجاز، إذ ثمة عناصر مشتركة متلازمة، ومن هنا فإنه يشترك فيه الرماني والخطابي والباقلاني على السواء من أن "النظم" يتلازم عندهم على "التأليف"، وكان النظم والتأليف هو القاسم المشترك بينهم، إلا أن مصطلح "النظم" هو الذي كتب له الذيوع والانتشار وطمر المصطلح الآخر (التأليف)، وأحسب أن المبادئ والتصورات الفكرية في البيئة الإسلامية هي التي ساعدت على رسوخ قدم مصطلح "النظم" في بيئة الأشاعرة.

غير أن عبد الجبار المعاصر للباقلاني، قد طوّر مفهوم "النظم" الوارد عند الخطابي، وعبّر عنه بقوله : اعلم أن الفصاحة لا تظهر في أفراد الكلام، وإنما تظهر في الكلام بالضم على طريقة مخصوصة، ولابد مع الضم من أن يكون لكل كلمة صفة[2]. ومن ثم فإن وعي عبد الجبار لمفهوم النظم بدأ متطوراً مستفيداً في الوقت نفسه من مناقشات الخطابي، ودفع به قدماً في تاريخ مفهوم الإعجاز، وبناء عليه، بدا المفهوم واضحاً عنده. وقد وجد الجرجاني ضالته في رؤية القاضي عبد الجبار، وحاول أن يفسّرها ويضيف إليها في إطار نظريته النحوية، فيما عرف بـ"نظرية النظم". وعبد الجبار بتفسيره النظم على هذا النحو يلتقي بالأشعرية في قولهم بالنظم، إن العبرة في الفصاحة التي يتفاضل بها الكلام في مواقعه من السياق[3] .ويقول أيضاً:ولذلك لا يصح عند المعتزلة أن يكون اختصاص القرآن بطريقته في النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ولابد من اعتبار الأمرين، وبذلك يخلص إلى نتيجة مفادها، أن عبد الجبار بهذا المفهوم يقترب اقتراباً شديداً في توضيحه عن طريق الإعجاز[4].

---

(1) ينظر : د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ١٠٨.

(2) القاضي عبد الجبار : المغني ١٦/١٩٩.

(3) وليد محمد مراد : نظرية النظم وقيمتها العلمية .... ص ١٧٧.

(4) السابق : الموضع ذاته .

وعلى الرغم من المفارقة في استعمال "المفاهيم" بين الأشاعرة والمعتزلة، يبقى مفهوم "النظم" عند الجرجاني و "الفصاحة" عند القاضي عبد الجبار يكادان يكونان واحداً(*) إذ ثمة تطور بدأت ملامحه الجوهرية تتخلق، ابتداء من الجاحظ وأخذت تتمخض بشكل أكثر بروزاً عند الخطابي بشكل خاص، وهي — في رأيي — كذلك عند الخطابي(*) التي مهدت لأفكار عبد الجبار في هذا الشأن، غير أننا ينبغي أن نقرر أن عبد الجبار قد خطا خطوة مهمة مع تعديل (تطوير) مفهوم النظم الوارد عند السابقين، وقد وجد الجرجاني بغيته فيما توصل إليه عبد الجبار حول مفهوم الفصاحة ، ووسع مفهومه وبلغ ذروته، وتمثل آراء الجرجاني جانبين :
الأول : المفاهيم والتصورات. الثاني : التطبيقي، الذي حاول فيه أن يطبق ذلك في مذهبه النحوي، أو ما اصطلح على تسميته بـ"النظم" فيما كان متداولاً في بيئة الأشاعرة.

وعلى الرغم من التطابق العام بين عبد القاهر الجرجاني وعبد الجبار(1) في التصورات والرؤى العامة، إلا أن عبد القاهر وسع المفهوم، وحاول أن يجعل منه نظرية تستوجب الفحص

(*) أحسب أن رؤية د. عبد الفتاح لاشين حول تأثر عبد القاهر بعبد الجبار أكثر إقناعاً. بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ١٠٨ وما بعدها، على الأقل بالنسبة لي وللقارئ بصفة عامة، من تلك التي استند إليها د. فؤاد علي مخيمر من أن نظرية النظم عند عبد القاهر، هي نظرية نحوية خالصة، ولم ينفِ التأثر بينهما ، وهو رأي يحتاج إلى إعادة نظر ، وليس المقام مناسباً لتفصيلات أكثر لا داعي لذكرها . فلسفة عبد القاهر النحوية ص ٩٥ وما بعدها ، وقد ذكر فصل : المعاني النحوية قبل عبد الظاهر (ص٣٣ : ٧٤)، وما يمكن قوله إن مجمل الكتاب يقوم على محاولة إثبات أن نظرية النظم قبل عبد القاهر هي نحوية خالصة. وإلى هذا المذهب ذهب د. عاطف جودة نصر :النص الشعري ومشكلات التفسير ص ١٢٦.

(*) يذهب د. محمد زغلول سلام إلى أن الخطابي وضع أمامنا صورة للنظم الذي يرى فيه سر الإعجاز، وهذا التعريف الذي وضعه للنظم قريب من فهم عبد القاهر له في "الدلائل". أثر القرآن في تطور النقد العربي ص ٢٥٩.

(1) يرى الأستاذ وليد محمد مراد في أكثر من موضع أن مفهوم "النظم" عند عبد القاهر يلتقي مع مفهوم "الفصاحة" عند عبد الجبار. نظرية النظم وقيمتها العلمية.. ص١١٤ على سبيل المثال ، وقبلها مباشرة (ص ١١٣) ينقض هذا الرأي ، الأمر الذي أدى به في مواضع منثورة إلى تناقض الآراء ، وإعادة بعضها وبعض النصوص ، ولن أتتبع المؤلف خطوة بخطوة ، اكتفاء بتلك الأمثلة. وهو ينقل هذه الرؤية عن د. شوقي ضيف في البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٧ ، ويتتبع أفكاره واحدة بواحدة ، ولا يتسع المقام لتتبع هذه المواطن ونقض=

والدرس، الأمر الذي أملى عليه في "الدلائل" أن يلح عليه؛ لترسيخ فكرته حول هذه النظرية "النظم" أو لتعانق الجانب السطحي مع الجانب العميق لإظهار تلك الصورة التي تنطبع في النفس على ما ذهب إليه الخطابي والرماني، ويكمن الخلاف في ذلك أن أبا هاشم لا يرجع الإعجاز إلى النظم، لأنه لا يصلح أن يكون مفسراً لفصاحة الكلام ... وكأنه يرد على الجاحظ الذي يرجع فصاحة الكلام إلى نظمه وطريقته(1). ويعلق عبد الجبار على رأي شيخه بقوله:ولذلك لا يصح عندنا أن يكون اختصاص القرآن بطريقة من النظم دون الفصاحة التي هي جزالة اللفظ وحسن المعنى، ومتى قال قائل:وإني إن اعتبرت طريقة النظم، فلابد من اعتبار المزية في الفصاحة، فقد عاد لما أردنا (2).

وإذا كانت الفصاحة عند عبد الجبار لا تظهر إلا بالضم على طريقة مخصوصة، فإن عبد القاهر يحاول أن يشرح أن هذا الضم، ليس مجرد ضم اللفظ إلى اللفظ؛ أقصد لابد أن يكون بينهما رابط معنوي، فـ...ضحك خرج فصاحة، وإذا بطل ذلك لم يبق إلا أن يكون المعنى في ضم الكلمة إلى الكلمة، نعرض معنى من معاني النحو، فيما بينهما، وقولهم : على طريقة مخصوصة، ويوجب ذلك أيضاً(3). وفي محاولة الجرجاني تقديم تفسيرات جديدة ورحبة لتلك الأفكار الواردة لدى عبد الجبار، حاول أن يقدم تفسيراً لمعنى "الضم" الذي ورد عند عبد الجبار،

= ما فيها. على أن التسوية بين "النظم" و "الفصاحة" لا يرتضيه د. فؤاد علي مخيمر ويرفض التأثر من أصله، ذلك أن تصورات وأفكار عبد القاهر حول نظرية النظم، إنما هي في الأساس قائمة على منطلقات نحوية . فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية ص ٨٥ وما بعدها ، وهو كلام يحتاج إلى أدلة أكثر وعياً مما ذكرها في ص ٩٣؛ لأنها احتمالية وليست يقينية، ولا أدل على ذلك أنه عاد في ص ٩٤ وقال: وحتى لا نغمط هؤلاء العلماء حقهم نستطيع أن نقول إن عبد القاهر اطلع على مؤلفات سابقيه في الدفاع عن الإعجاز القرآني، ولكنه اتجه وجهة جديدة ، وله منهجه الخاص به، وقد جعل في هذا النهج من علم النحو متكئاً على ما غرسه له أئمة النحو الأول ص٩٤، وهي رؤية لا تتفق مع ما ذهب إليه د. عبد الفتاح لاشين :بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ٥٢٢.

(1) د. عبد الفتاح لاشين : بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص ١٦٩.
(2) القاضي عبد الجبار : المغني ٢٩٨/١٦.
(3) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٨٢.

بأنه توخى معاني النحو، وحين فسر عبد القاهر نص عبد الجبار[1]علّق عليه د.عبد الفتاح لاشين بقوله : أن الجرجاني نقل جزءاً وترك آخر، ولم ينقل النص كاملاً وجعل :

١ــ مفهومها في ذاتها، حيث الوضع الذي لها عند أهلها والناطقين بها.

٢ــ مفهومهــا حين تتداول عليها الحركات الإعرابية، فتكون فاعلاً أو مفعولاً أو صفة أو تميزاً، ونحو ذلك .

٣ــ مفهومها حين تأخذ مكاناً خاصاً في الكلام ، فتتقدم أو تتأخر[2] .

ويبدو أن الأشاعرة كانوا يتمسكون بكلمة "النظم"، بينما مضى المعتزلة منذ أبي هاشم (ت ٣١٣هـ) يضعون مكان النظم كلمة الفصاحة القائمة على جزالة اللفظ وحسن المعنى، غير أننا ينبغي أن نقرر أن النظم لم يكن معادلاً موضوعياً للفصاحة عند أبي هاشم، وكأنه يرد بذلك على من يرى أن القرآن معجز بنظمه. وهذه هي الرؤية التي جعلت الجرجاني يختار لفظ "نظم" تمشياً مــع مذهبه الفكري، مخالفاً بذلك ما هو شائع في البيئة الاعتزالية مع اصطلاح "اللفظ

([1]) ينظر: المغنى ١٩٩/١٦ .

(2) انتهى د. عبد الفتاح لاشين بعد مقابلة النصوص بين عبد الجبار وعبد القاهر، لإظهار تأثره بالقاضي عبد الجبار، يقول في النهاية: وبهذا نرى الإمام عبد القاهر الجرجاني كان متأثراً بأفكار القاضي عبد الجبار في نظرية "النظم" وأنه أخذ هذه الفكرة وطوّرها وجعل منها علماً له مبادئ وأصول . بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص٥٣١. وهو في كل ذلك إنما ينقل عن د.شوقي ضيف دون هوادة وتروي وتمحيص للنصوص، البلاغة تطور وتاريخ ص١١٧ وما بعدها، ويرفض د. فؤاد علي مخيمر هذه الرؤية، بأن الجرجاني لم يتأثر بآراء عبد الجبار ، كيف وهو يطعن فيه ، وأنها تعود إلى أصول نحوية بالدرجة الأولى، بدليل :

١ــ أن الجــاحظ نقــل نصاً عن الكسائي (ت ١٨٩هـــ) يتضح منه إلى أي حد كان العرب يعترفون للنحاة بالفضل .

٢ــ على ضوء منهج النحاة السابق تابع الجرجاني المسيرة يقول : وقد علمت إطباق العلماء على نظرية "النظم" فلســفة عــبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز ص ٨٥ ، ثم يعود في ص٩٣، فيقول: فهذا تصريح واضح أفصح فيه عبد القاهر برجوع الفضل لأصحابه الذين استفاد منهم ، وعلى ما أعتقد بوضوح الرؤية أنهم النحاة ، بل أستطيع أن أجزم بالقول بأنه ليس غير النحو والنحاة أصلاً :

أ ــ أن أصل ثقافته نحوية ، وله فيها مؤلفات، فذوقه للمعاني تابع من أصل ثقافته بــالبذور والجذور التي غرسها النحاة الأول للمعاني النحوية ، ليس في مقدور أحد ص ٩٣.

والمعنى"، وبالتالي نرى الجرجاني في مواضع عدة ومنتشرة يوجه النقد إليهما، ومن ثم يوجه النقد إلى المعتزلة بشكل ضمني[1] .

والــذي يعنيــنا من هذا ما استعمله الجرجاني "النظم" خلافاً للمعتزلة التي استعملت "اللفظ والمعنى" أو "الفصاحة" عند أبي هاشم الجبائي وتلميذه عبد الجبار، وأظن أن الخلاف ليس خلافاً شكلياً، وإنما هو خلاف جوهري، أدى بطبيعة الحال إلى الخلاف اللفظي في كيفية التعامل مــع المصــطلحات المخــتلفة، غــير أن الذي يمكن أن نفيده من "النظم"، إنما يشتمل على مصطلحين:

<u>الأول :</u> الجانــب اللفظي، ويتمثل في اللفظ، واللفظ إنما ينضوي على حقيقة الجانب المتمثل في ظاهر النص **(Kohäsion)** .

<u>الــثاني :</u> الجانــب المعــنوي **(Kohärenz)** وتتحقق رقم (١) مع رقم (٢) ويرتبط بشبكة من العلاقات المتداخلة ، ويؤدي انسجام هذين العنصرين إلى انسجام المحتوى وتوازي المعنى.

ولعل هذا التصور لمفهوم "النظم" يتفق وما خلص إليه د.منير سلطان:أن النظم يؤدي إلى المعــنى وإلى معنى المعنى، أي المعاني الإضافية، والنظم ومعانيه، إنما هي معاني النحو[2]، وإذا كانــت رؤيــة د.عز الدين إسماعيل[3] ود.سعيد بحيري[4] أن المعنى الأول المباشر، إنما يفاد من التركيــب الــنحوي/التابعات الجملية، في حين يأتي المعنى الثاني/الثواني (الإضافية) من النظم، وبالتالي تتفق هذه الرؤية مع ما خلصنا إليه من أن النظم، إنما يشتمل على الجانبين معاً (اللفظي والــدلالي) أو بتعبير معاصر: السبك والحبك ، وقد لمح د.درويش الجندي تلك العلاقة بين بنية السطح وبنية العمق، فقال : ولما كان النظم اللفظي دليلاً على النظم المعنوي، وكانت الصورة المعــنوية، لا يمكــن الاستدلال عليها، إلا بالصورة اللفظية التي هي في حقيقة الأمر ظل لتلك الصورة المعنوية، أطلق القدماء اللفظ، ونسبوا إليه المزية، وهم يعنون ما يدل عليه اللفظ من تلك

---

(1) ينظر د. عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ص ٣٥٩.

(2) د. منير سلطان : إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة ص ١٣٧.

(3) د. عز الدين إسماعيل : قراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني ص ٣٩.

(4) د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٦٨.

"الصورة المعنوية"[١]. وقد كان مدار الإشكالية عندهم، أيهم أصل الإعجاز : اللفظ أم المعنى أم كليهما معاً؟، ومن ثم نرى الجرجاني يعرض لها من خلال طرح جديد يصلها بالجانب الديني.

وإذا كان مفهوم "النظم" عند الجرجاني لا يختلف عنه عند الخطابي، وإنما الفحوى عندهم جميعاً تكاد تكون واحدة، إلا أن الموائز تبقى ماثلة عند عبد القاهر الجرجاني وغيره من السابقين، وتتمثل في :

١ـ أن مفهوم النظم عند الجرجاني قد بدا كمصطلح واضح المعالم محدد الأركان.

٢ـ أن مفهوم النظم كمصطلح عند السابقين عليه (الرماني الخطابي) لم يكن قد استقر معناه النهائي، إلا أن فيه نوعاً من دلالة المصطلح عند الجرجاني .

٣ـ أن النظم عند الجرجاني قد شغل حيزاً/مساحة تكاد تشغل دلائل الإعجاز، عارضاً لمعانيه وقواعده ومقاييسه وشروط النظم الجيد من الردئ .

٤ـ صحيح أن النظم ورد عند الباحثين في الإعجاز ، كمفهوم يكاد يكون في مجمله، لما عليه عند الجرجاني، إلا أنها جاءت في مواضع منتثرة، وهي معايير تحتاج إلى بعض التفسير والتدقيق لاستخلاص المعنى، ولم تكن قد صارت مصطلحات واضحة الملامح.

غير أننا نجد معالجة عند كل من الخطابي والرماني بشكل مبدئي، وبأصول أساسية في هذا المضمار،غير أن هنالك تمايزاً نبرزه هنا، يتمثل في :

١ـ أن مفهوم "النظم" ورد عند كل من الخطابي والرماني، إلا أنه لم يكن قد أخذ التصور النهائي الذي هو عليه عند عبد القاهر الجرجاني .

٢ـ أن مفهوم "النظم" سواء الذي ورد عند الجاحظ وتماه كل من الخطابي والرماني ظل لا يتجاوز حدود أسوار "نحو الجملة" .

٣ـ أن مفهوم "النظم" قد أخذ شكلاً جديداً ، بداية من الباقلاني، على الرغم من الخلاف مع بعض الباحثين الذي جاء به فضل بيان فيما مضى من البحث .

٤ـ كانت نظرة عبد الجبار أكثر تطويراً واقتراباً من مفهوم عبد القاهر للنظم التي أفاد منها الجرجاني .

---

(1) د. درويش الجندي : نظرية عبد القاهر في النظم ص ١١٧.

٥ـ بلغت نظرية النظم ذروتها عند عبد القاهر في محاولة منه لتحليل النص، أو ما يطلق عليه بنية النص الكبرى .

غير أننا واجدون أن هذه الرؤية مغايرة لما ذهب إليه د.محمد غنيمي هلال، بأن النظم المقصود به علم التراكيب **(Syntax)**[١]، إلا أنه عاد وذكر قضايا تشير إلى أن مفهومه – النظم – أوسع من التراكيب[٢]، وذكر بذوراً لأفكار الجرجاني عند الجاحظ ، إلا أن أصالة عبد القاهر تجلت في ثورته على معاصريه، يقول:وكان لعبد القاهر فضل لا يدانيه فضل في توثيق الصلة بين الصياغة والمعنى، وفي الاعتداد في ذلك بالألفاظ، من حيث دلالتها وموقعها[٣].

إلا أننا نبرز عدداً من الركائز على ما أورده د.غنيمي هلال :

١ـ أن عبد القاهر لم يتأثر بالجاحظ فيما يتعلق بتفضيل الألفاظ على المعاني، حول تلك المعارك الفكرية الدائرة حول تفضيل الألفاظ أو المعاني، فيما عرف في تاريخ النقد العربي القديم بأنصار اللفظ وأنصار المعنى .

وإنما الذي أفاده عبد القاهر الجرجاني من الجاحظ إفادة صريحة أنه لا الألفاظ ولا المعاني لها قيمتها في نفسها، وإنما القيمة الحقيقية في تفاعل هذين العنصرين معاً، ومن خلال ما أطلق عليه عبد القاهر بـ"النظم" على أن يكونا مضمومين على طريقة "معاني النحو"، وبالتالي فنحن لا نوافقه على ما ذهب إليه من تأثر الجرجاني بالجاحظ في قضية اللفظ والمعنى .

٢ـ إن رأي د.غنيمي هلال الذي أورده(٤) في تأثر الجرجاني بالجاحظ فيها نظر، ذلك أنه عاد وذكر أن تأثر عبد القاهر بالجاحظ في حسن الألفاظ، إنما يقصد بها الجاحظ الصياغة وملائمة الألفاظ لتصوير المعاني(٥) .

---

(1) د. محمد غنيمي هلال : النقد الأدبي الحديث ص ٢٦٣.

(2) السابق ص ٢٦٤.

(3) السابق ص ٢٧٢.

(4) السابق ص ٢٨٢.

(5) السابق ص ٢٧٣.

وبالتالي عاد إلى ما ذهب إليه سلفاً(ص ٢٧٢) بما جاء في الصفحة التالية، ونحن بدورنا نتفق مع ما ذهب إليه د.غنيمي في رؤيته الأخيرة حول مفهوم النظم: الصياغة وملائمة الألفاظ لتصوير المعاني .

هـــذه الرؤية التي يمكن أن تنتمي في إطار المفهوم النصي لها، أورده د.غنيمي، ذلك أن الصـــياغة تكمـــن في علاقة الألفاظ بعضها ببعض، وهو ما يطلق عليه الجرجاني بالمعنى الجزئي (معاني النحو). أما ملائمة الصياغة لتصوير المعنى، هو ما نطلق عليه الجانب الداخلي/ العميق. وبتعبير حديث، فإن ما أورده د. غنيمي هلال حول رؤية الجاحظ يمكن تفسيرها بعنايته بالجانب السطحي والعميق أو السبك والحبك، وإن لم تتمخض رؤيته حول صياغة نصية محددة. وبالتالي فـــإن هذه الرؤى تفارق مع ما ذهب إليه بعض الباحثين[1] من اهتمام الجاحظ باللفظ وتفضيله على المعنى .

اعود لمناقشة قضية "النظم" التي اكتسبت ـــ بناء على ما سبق ـــ معنى جديداً، خلافاً لـــا جاء قبله، صحيح هو مسبوق إلى ذلك، كما يقرر هو[2]، إلا أنه قد جعل منه نظرية عليها المعـــول في ربط البنية السطحية بالبنية العميقة، وتتبدى هذه الرؤية، حين نقل عن المبرد فروق الخبر، حين سأله الكندي[3].ليتبين أن النظم مشتمل على الاثنين معاً، وأن اختلاف المعنى مترتب على اختلاف النظم، ومن ثم فهو كما يقول أحد الباحثين:خلق من هذه الإشارات العابرة نظرية بلاغية كبرى، احتوت البلاغة كلها، حتى أصبحت تصب في النظم، ولا تخرج عنه، ولا ينبغي أن تدرس منفصلة دونه[4].

على أننا نلاحظ أن الإمام في الدلائل يسوي بين النظم ومعاني النحو دون أن يجعل من معـــاني النحو وأحكامه مما بين الكلم حتى لا تراد في جملة، ولا تفصيل، خرجت الكلمة المنطوقة

---

(1) يـــنظر: د. بدوي طبانة : البيان العربي ص١٦٧، ونقل هذا الرأي د. عاطف جودة نصر : النص الشعري ومشكلات التفسير ص ١٢٨.

(2) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٦٣.

(3) يـــنظر :عـــبد القاهـــر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٢٤٢، د. بدوي طبانة : البيان العربي ص ١٦٥ ، وتفصيلات ذلك أكثر عند د. البدراوي زهران :عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني ص ١٦٥ – ١٧٤.

(4) د. عبد القادر حسين : أثر النحاة في البحث البلاغي ص ٣٦٦.

بعضها في أثر بعض في البيت من الشعر، والفصل من النثر عن أن يكون لكونها في مواضعها التي وضعت فيها موجب ومقتضى[1].

ومـــا يمكن أن نتبينه، مؤكدين على تلك الرؤية السابقة، أن "النظم" إنما يحتوي على عنصـــرين يكمل كل منها الآخر، ودليلنا على ذلك أن "معاني النحو" المعادل الموضوعي للنظم، وهو يحتوي على عنصرين :

الأول : عنصر معنوي، يتمثل في المعاني .

الثاني: عنصر لفظي، يتمثل في الجانب النحوي الظاهري .

وهكذا تتكامل المعاني وتتداخل الجمل من خلال هذين العنصرين، ويأتي الكلام متسقاً، منتجاً فيما أرى لنظرية النظم التي خلص إليها .

وأحسب أن رؤية الجرجاني للنظم ليست استاتيكية : بمعنى أن معناه ديناميكي، فيأتي النظم في حروف الكلام، يقول الجرجاني : وأما نظم الكلام، فالأمر ليس فيه كذلك، لأنك تقتضي في نظمهـــا آثار المعاني، وترتيبها على حسب ترتيب المعاني في النفس، فهو إذن نظم يعتبر فيه حال المنظوم بعضه مع بعض، وليس هو النظم الذي معناه ضم الشئ إلى الشئ كيف جاءا واتفقا[2].

وتؤكـــد هذه الرؤية لدى الجرجاني ما جاء ذكره سلفاً، أن "النظم" يؤدي معنى "معاني الـــنحو" غـــير أنه جعل من النظم نظرية أعم وأشمل من "معاني النحو" الأخص، وبالتالي يندرج ضـــمنه عدد من المعاني النفسية واللفظية. الأمر الذي يؤكد الملحظ السابق، أن النظم بناء على المقارنة التي خلصنا إليها، يضم الجانبين معاً .

وبالتالي فإن النظم يرتبط بالجانب التركيبي/الجملة أو ما فوق الجملة وما يتعلق بالفقرة وعلاقـــات الجمـــل بعضـــها ببعض، ثم علاقة كل ذلك بالنص أو ما في حكمه. ومن هنا نرى الجـــرجاني يعرفه بأنه " توخي معاني النحو في الكلم، وأن توخيها في متون الألفاظ محال "[3]. وبالـــتالي فـــإن وجود النظم من خلال التركيب، إنما يجعله ضمن شبكة من العلاقات الخارجية

---

(1) عبد القادر الجرجاني : دلائل الإعجاز ص ٤٠٣ ، ٤٠٤.

(2) السابق ص ٤٠.

(3) عبد القاهر الجرجاني: دلائل الإعجاز ٢٧٦.

والداخلية، تتفاعل فيما بينها لانسجام بنيات النص: واعلم أنك إذا رجعت إلى نفسك علمت علماً لا يعترضه الشك، أن لا نظم في الكلم ولا ترتيب حتى يعلق بعضها ببعض، ويبنى بعضها على بعض وتجعل هذه بسبب من تلك[1]. ويلح الإمام في مواطن متفرقة على تقديم جوانب نيرة لتفسير معنى النظم، محاولاً ـــ في الوقت ذاته – التأكيد على تلك المعاني التي يريد أن يثبتها في ذهن المتلقي.

وجملة القول إن "النظم" لا يعني الاهتمام بحركات الإعراب، بقدر ما يعني العلاقات المتبادلة بين الفعل والفاعل والمبتدأ والخبر، ليس العلاقات الظاهرية، وإنما العلاقات الداخلية، الذي تتجلى في عالم النص، ولم تقتصر العلاقة بين الجملة والأخرى، وإنما بين الجمل بعضها ببعض وبين الفقرات، كل ذلك في علاقة متناسقة منتظمة تجمع أطراف الكلام، وتجسّد ذلك في عدد من القرائن اللفظية التي ترتبط بجوانب نحوية بحتة، كالتقديم والحذف والفروق في الخبر والحال، ومواضع الربط، وقضايا تتعلق بإنما وإن، وقد وجّه الجرجاني هذه القضايا توجيهاً فريداً ومبتكراً، غير أننا ينبغي أن نقرر أن رؤية الجرجاني، في هذه التحليلات لم تكن نهائية، وإنما هي رؤية يمكن أن يضيف إليها أي شخص، وأن هذا ما بدا واضحاً في تحليلاته لتلك النصوص التي تعرض لها بأنها ليست أخيرة، وإنما استخلاصات واستنتاجات، يمكن أن يستشف منها دلالات وتفسيرات وتصورات أخرى أكثر رحابة .

ويكشف الجرجاني تلك العلاقات القائمة بين الجمل بقوله : والكلم ثلاث: اسم وفعل وحرف، وللتعلق فيما بينهما طرق معلومة، وهو لا يعدو ثلاثة أقسام، تعلق اسم باسم وتعلق اسم بفعل، وتعلق حرف بهما، فالاسم يتعلق بالاسم بأن يكون خبراً عنه، أو حالاً منه، أو تابعاً له، صفة أو تأكيداً أو عطف بيان أو بدلاً، أو عطفاً بحرف، أو بأن يكون الأول مضافاً إلى الثاني، أو بأن يكون الأول يعمل في الثاني عمل الفعل، ويكون الثاني في حكم الفاعل له أو المفعول[2] .

ويوضّح الجرجاني في مثل هذا النص العلائق الخارجية والداخلية. وهناك رؤية لدينا تؤكد على أن "النظم" يشتمل على اللفظ والمعنى معاً، إذ البديع عنده لا يستقل باللفظ، وإنما

---

(1) السابق ص ٤٤.

(2) عبد القاهر الجرجاني : دلائل الإعجاز (مدخل / ف).

يذوب داخل النظم، وإن كان يضيف إلى جماله (روعته) جمالات، وتزيد من الفضيلة ارتقاء وبالتالي نرى الجرجاني لا يرجع الإعجاز إلى قضايا جزئية، فليس مرده إلى الكلمة ولا البديع.. الخ، وإنما إلى كل ما هو عام (النظم) .

وتبقى كلمة أخيرة، أن الملاحظات المنهجية تثبت بما لا يدع مجالاً لريب، أن مشكلاً "اللفظ والمعنى" التي شغلت بال النقاد ردها طويلاً، أفاد منها الباحثون في الإعجاز القرآني، وطوروا هذه المفاهيم والتصورات حتى تجلت في أزهى صورة لها، ممثلة فيما قدمه الجرجاني، وعرفت بنظرية "النظم" وكشفت الملاحظات والتحليلات، أن ثمة عدداً من المفاهيم، كالتلاؤم والنظم والتأليف والتآلف وانسجام النص، والتشاكل، كلها جوانب مهمة تنتظم في عدد من العلاقات الظاهرة والباطنة لحبك وسبك أجزاء النص عند الجرجاني والباحثين في الإعجاز القرآني.

ويبدو أن "ابن زملكان" قد فهم التأليف على ما جاء عند المتقدمين بأنه يختص بالجانب النحوي ـــ وهو إن شاء الله كذلك ـــ ويبدو ذلك تحت عنوان: في مراعاة أطوال التأليف، ثم يتناول تحت هذا العنوان قضايا نحوية خالصة: كالمبتدأ والخبر والتقديم والتأخير والتأكيد والحذف والذكر والمنصوبات والفصل والوصل، وفي قوانين كلية يتعرف بها أحوال النظم...الخ .

وهكذا نجد قضايا الإعجاز عنده تقع موقعين، الأول : مراعاة التأليف النحوي .الثاني: مراعاة اللفظ : البديع(البلاغة)، ويتضح أنه يجعلهما على قدم وساق في أهمية كل منهما ومدى المعول عليه في توضيح وجه الإعجاز عنده في تحديد "النظم"، وقد جاءت هذه المفاهيم بما يشكّل منها عناصر عامة، بيد أن الباحثين في الإعجاز القرآني ويمثلهم السيوطي في "المعترك". إن مثل هذه المحاولات المبكرة ألقت بظلالها على أصحاب الاتجاه النقدي والبلاغي، أو ربما نشير لها كلما دعت المناقشة إلى هذا الملمح .

أعود لمناقشة عناصر "الملائمة" و "التأليف" أو ما يتعلق بانسجام النص وتمثل هذه المعايير عند السيوطي عناصر أساسية، وإلى أي مدى كان موفقاً في تحديد العناصر الفاعلة في التماسك الدلالي، وانسجام بنية النص .

جاءت مناقشة السيوطي لهذه العناصر في الوجه الثالث من وجوه الإعجاز بأن:حسن تأليفه والتئام كلمه وفصاحتها ووجوه إيجازه وبلاغته الخارقة عادة العرب...الخ[1]. غير أنه لم يبن عن مقصودة بحسن التأليف والتئام كلمه، إلا أنه ــ بشكل أولي ــ ربما يكون حسن التأليف معني بالربط النحوي .

وبالتالي يأتي عنصر "التئام الكلام" كعنصر مقابل لعنصر التأليف . ومن هنا تمثل هذه رؤية/فرضية تختبر فاعليتها في ضوء ما أورده في معرض تناوله لقضايا الإعجاز. وفي حيال ذلك سلك السيوطي سبلاً شتى ومجالات متنوعة ليفي بالتفسير المطلوب .

وإذا كنا فيما مضى، قد بينا مسائل الاتفاق والافتراق بين الباحثين في الإعجاز (ينظر: ٣/ ٨/٢) فإن هذا العرض، إنما يكشف بوضوح لا يدع مجالاً لشك ، أنها تكاملت بشكل أو بآخر عند الباحثين في الإعجاز القرآني؛ كما لاحظنا أن عمل أصحاب الرسائل يمثل بذوراً أولية، لا توجد فيها عناصر متكاملة، وإن كانت بداية حقيقية، لابد منها في هذا الاتجاه . أما عبد الجبار فعلى الرغم من تصوراته المتقدمة (المتطورة) إلا أن عمله ظل في حدود التنظير والذي افتقد ــ في رأيي ــ إضافة عناصر لغوية وغير لغوية تكشف عن وجوه الإعجاز، الأمر الذي بدأ على يد الباقلاني المعاصر له، وإن اختلف عن تصور عبد القاهر، وفي ذكر الباقلاني عناصر البديع كعناصر دالة على الإعجاز دليل على رد رؤية بعض الباحثين[2] الذين يرون أن الباقلاني يرفض أن تكون عناصر البديع داخلة في الإعجاز؛ وقد جاءت رؤية الزملكاني مشاكلة (قريبة) من تصور الباقلاني له إلى حد بعيد .

غير أن السيوطي المتأخر زمنياً جاء عمله في "المعترك" كحصيلة لأفكار وتصورات في هذا الاتجاه، ومن هنا جاء عمله خلاصة لكل تلك الأفكار السابقة عليه، بل مضيفاً إليهم رؤى بلاغية ورؤيته في هذا الشأن، ومن هنا يحق لنا القول بأنه المؤلف الذي تكاملت فيه عناصر النظرية النحوية في الإعجاز، وبناء على هذا التصور، اكتفينا فيما يلي من توضيح معايير النصية بهذا الكتاب .

---

(1) السيوطي: المعترك ٣٧/١.

(2) د.شوقي ضيف: البلاغة تطور وتاريخ ص ١١٢.

٥/٤ :المكون البلاغي في نظرية "نحو النص" من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني:

لاحظنا أن البحث في الإعجاز، بدأ يأخذ شكلاً جديداً على يد الباقلاني، متمايزاً عما جاء عند أصحاب الرسائل في تفسير وجوه الإعجاز، على الرغم من كونه معاصراً لعبد الجبار الذي له اليد الطولى، إلا أن المفارقة قائمة بينهما خاصة أنه صاحب نظرية نحوية وبلاغية في دور المكون البلاغي، والإفادة من جوانبه في "نحو النص".

وهكذا وجدنا المكون البلاغي أو ما أطلق عليه الباقلاني (البديع) قاصداً الفنون البلاغية كلها، ومن ثم تداخلت علوم البلاغة الثلاثة تحت علم البديع، وإن كثرة مظاهر البديع عنده، حسب تصور المتأخرين له، فيما أرى .

واستمر التداخل المعرفي بين هذه العلوم أيضاً عند الإمام عبد القاهر، وإن جاء الفصل بينهم ــ فيما أرى ــ ضمنياً، حيث اشتمل الدلائل على علم المعاني وبعض مباحث البديع، والأسرار على البيان ومباحث لعلم البديع أيضاً غاية في الأهمية، وإن انتبذ مكاناً قصياً من حيث عدد المظاهر البديعية التي تعرض لها، بيد أن العبرة عنده بمدى الإفادة من مثل هذه المظاهر خدمة للنص وبيان أهميته، فيما عرف بالوحدة العضوية في النقد الأدبي .

هذه الملامح عند عبد القاهر في كتابيه،أرى أن الرازي كان أكثر تحديداً لتلك التصورات والمفاهيم عنه، وجاء تحديد المفاهيم البلاغية بشكل محدد وضمني، إلا أنه لم يعلن عن نفسه بشكل مباشر، وإن كان تقنيناً لنظريته .

إلا أن الإفادة من النظرية البلاغية عند الزملكاني، قد صارت أكثر بروزاً وتحديداً لعناصر المكون البلاغي مما هو عليه عند الجرجاني والفخر الرازي، رغم ضيق الفترة الزمنية بينهما، الأمر الذي أفضى في عاقبة إلى تحديد علم البديع إلى ثلاثة علوم: البيان، المعاني، البديع ، حسب ترتيب الزملكاني لها، ولأول مرة يطالعنا مؤلف في الإعجاز القرآني، بهذه الصيغة في المعالجة والكيفية، وإذا كان الجرجاني له إسهام واضح في هذا المجال، غير أن دلائل الإعجاز ظل يعمل في إطار نظرية النظم، أو ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم المعاني في الدلائل وعلم البيان في الأسرار معبراً عن الجوانب البيانية، وهكذا تضافرت المكونات الأساسية البلاغية

المختلفة تبعاً للسياقات المتباينة في سبك وحبك بنيات النص . وجاء حظ علم البديع من نظرية الجرجاني البلاغية قليلاً ومتضمناً بعض العناصر البديعية كالسجع والتجنيس والمزاوجة والتجريد والموازنة، وبالتالي فإن المكون البديعي، قد شغل حيزاً ضيقاً ومحدوداً مقارنة بما عند الباقلاني والزملكاني والسيوطي، على الرغم من الإبداع في التوظيف، ومن ثم فإن العبرة عنده ليست بالكم، بقدر ما هي كامنة في الكيف ومدى الإفادة والتوظيف .

إلا أن استظهار الركائز الأساسية لمظاهر المكون البلاغي في "المعترك" تشير بوضوح أنه لم يسلك النهج ذاته الذي نهجه الزملكاني في "المجيد" وتوجه تلقاء مظاهر بلاغية ونحوية ومعجمية...الخ . وكلها عناصر مؤثرة في كشف جوانب الإعجاز وتفسيراً لأسراره .

بيد أن العناصر البلاغية ودورها في نظرية "نحو النص" ذات أهمية بالغة، فإذا كان علم البيان يتعلق دوره بالدلالات الإفرادية في الكلام، والفرق بين الإثبات بالاسم والفعل والحقيقة والمجاز والتشبيه والكناية.... وبالتالي فإنه يمدنا بمفاتيح/بمعان الكلمات المعجمية المختلفة؛ أي بالدلالات المعجمية للكلمات التي تعمل على انسباك أجزاء النص وانحباك مفاهيمه .

أما مسائل :علم المعاني" فتأتي على مستويات صوتية، وصرفية وحرفية وتركيبية ومعجمية ودلالية، كما تتخذ أشكالاً من التكرار التام والناقص والجزئي، وشبه التكرار وكذلك الجناس الخالص والجناس الجزئي وشبه الجناس، والحذف والاستبدال وتوازي المعاني تبعاً لتوازي المباني، والتقديم والتأخير.

ومن يمعن النظر في "المعترك" يجد أن جل مباحثه ، بل كل قضاياه معقود عليها الأمل في توظيف جيد لها، فنجد لمباحث علم البيان جانباً يمدنا بوظائف الكلمات المعجمية . ولم تقل عناية السيوطي بدلالة الحروف في إطار "نحو الجملة"، وتجاوزها إلى علاقات الجمل بعضها ببعض وصولاً إلى الفقرة، ومن ثم علاقة الفقرات بعضها ببعض وصولاً إلى علاقات النص النص أو ما في حكمه. أما الروابط المختلفة فلم يخف عليه دورها في انسباك وانحباك أطراف النص وكذلك التقديم والتأخير والاستبدال، وكلها قضايا على قدر من الأهمية في تماسك بني النص. على الرغم من أن هذه العناصر جاءت منتثرة، وفي مواضع متباينة، وأن المسألة الواحدة تقطعت أوصالها، وبالتالي جاء تناولها في أكثر من موضع، وقد أدت هذه الرؤية إلى تداخل أجزاء المسألة الواحدة،

وتشابكت ألفافها، حتى أصبح من الصعوبة فصل هذه المعالجة، وإن كانت هذه الملاحظة لا تقلل بأية حال إسهام السيوطي في تكامل النظرية النحوية عنده في "المعترك". وتتمثل أهميته في :

الأول : أنه اشتمل على ما ورد في "الإتقان" فيما يختص بمسألة البحث في الإعجاز تحديداً.

الثاني : أنه تضمن العناصر والركائز الأساسية التي اشتمل عليها كتابه "تناسق الدرر.."، وقد أدت به هذه الرؤية إلى أن مسألة "المناسبة" شغلت مساحة لا بأس بها ــ كذلك ــ في "المعترك" ، وهو عنصر مهم من مظاهر احتباك مفاهيم النص الباطنة .

أما "علم البديع" الذي انتبذ مكاناً قصياً وكان أهون الشركاء في النظرية البلاغية، وحسبنا أن نرى دوره عند كل من الباقلاني والإمام عبد القاهر وتحدد دوره بشكل أكبر عند الزملكاني والسيوطي . والذي عرضنا لتصوره حول هذه المفاهيم؛ لأنه الأخير، وبالتالي أدى إلى أنه تمثل لآراء السابقين عليه، وقد أدى هذا إلى أن يكون حصيلة فكر السابقين عليه كما أشرت إلى ذلك .

الفصل الرابع

ملاحظات حول بعض معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني

١/٥: المعيار الأول: التلاؤم/التأليف[1] ودوره في حبك النص من منظور الباحثين في الإعجاز:

وردت طائفة من المفاهيم عند الباحثين في الإعجاز القرآني تعبر عن مفهوم الحبك المستعمل في "نحو النص"، وقد أوردنا المفاهيم الأساسية فيما يتعلق بها في الفصل الثالث، غير أنها تمثل مفاهيم عامة، ينبثق عنها عدد من المفاهيم، أرجأ الحديث/الكشف عنها للاستفادة منها في

---

(1) قدمت ترجمات عديدة للمصطلح (Kohärenz) بالألمانية أو (Coherence) بالإنجليزية بين الباحثين العرب، نعرض لها على النحو التالي :

١ــ الحبك : د. سعد مصلوح : نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٥٤.
د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان ص ٢٢.
د. محمد العبد : حبك النص ... ص ١٣٩.

٢ــ الانسجام : محمد خطابي : لسانيات النص ص ٥.
د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٦٣، ٢٦٤.

٣ــ التماسك : د. سعيد بحيري : علم لغة النص ص ١٤١.
د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٣.

٤ــ التناسق : د. فالح العجمي : مدخل إلى علم اللغة النصي ص ١٤١.

٥ــ الالتحام : د. تمام حسان : النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣.

٦ــ الاتساق : د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص ١.

٧ــ التقارن : د. إلهام أبو غزالة/علي خليل أحمد : مدخل إلى علم لغة النص ص ١١.

وهكذا نجد أنفسنا أمام مصطلحات مختلفة لمعنى واحد، وهي عناصر دلالية تتعلق بالمضمون المعنوي أو بالترابط الكلي للنص، ومن هنا تتضافر العناصر السطحية ــ السبك ــ مع العناصر المعنوية – الحبك – في اكتمال النص وبناء قوامه. وبناء عليه ، فإن المعنيين بـ "نحو النص" مختلفون فيما بينهم حول الجوانب المختص بها مصطلح(Kohäsion) و(Kohärenz) ، ينظر د.سعيد بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة ص١٧٢، غير أننا نرى عددا من العناصر، وليس كلها ، فيما يتعلق بهذا الجانب، فعلى سبيل المثال، نرى تداخلاً واضحاً فيما يرتبط بالجانب السطحي مع ما يتعلق به معنوياً ، صحيح ليس هذا على إطلاقه، إذ ثمة جوانب خالصة لمعيار الحبك، كمصطلح حسن التخلص والمناسبة وهلم جرا، وسنقف على هذه الجوانب هنا من البحث .

قضايا المعالجة والتحليل. غير أننا يجب أن نذكر أننا نعتمد كما أشرت من قبل في هذا التحليل على مفاهيم مختلفة أو زيادة على ما ورد سابقاً، حيث إننا في التحليل/التفسير نعتمد مؤلفي السيوطي؛ لأنه يعد جامعاً للسابقين، ورؤيته حول توسيع جوانب البحث في الإعجاز، بما جعله يضيف/ يعمق جوانب أكثر مما هو عليه عند السابقين، وهذا ما جعلني أعده حصيلة فكر السابقين .

وفي هذا الفصل وجدت لدى السيوطي عنصرين نجعل منهما قسمين دالين على مظاهر الحبك، يندرج في إطار كل منهما طائفة من المفاهيم المكونة له والمكملة لجوانبه، فيما أرى، وأقصد بهذين المفهومين، التناسب/المناسبة وجوانب من علم البديع. وعلى هذين المفهومين يقتصر هذا الفصل في تفصيل لجوانب كل منهما على ما أورده السيوطي، أو حسب تصوره، وهي ــ فيما أرى ــ المعبرة بشكل عام عن رؤية الباحثين في الإعجاز القرآني.

١/١/٥ :المناسبة/التناسب بين النص القرآني :

عكس السيوطي رؤيته حول هذا المفهوم في "المعترك" و "تناسق الدرر في تناسب الدرر ..."، وعلى الرغم من المطابقة في تناول قضايا المناسبة بشكل عام، بينهما، إلا أننا مدونون بعض الملاحظات نجملها فيما يلي :

١ــ احتواء كل منهما على مناقشة الجانب المعنوي فيما يتعلق بالجانب القرآني، غير أن تمايزاً قائماً أن "تناسق الدرر في تناسب السور" مخصص لهذا الأمر تخصيصاً، في حين جاءت مثل هذه القضايا في "المعترك" تأخذ وجوه الإعجاز التي اشتمل عليها الكتاب.

٢ــ جاءت رؤية السيوطي في أن "تناسق الدرر...." معالجة إمبريقية/تطبيقية أدت به إلى عدم التقسيم والتنظيم، مغايراً في ذلك "المعترك".

٣ــ يعد ما جاء في "المعترك"، فيما تمثله معالجته للتماسك الدلالي جزءاً مما ورد كاملاً في " تناسق الدرر...." .

٤ــ تمثل معالجته في المعترك تنظيراً/تحديداً لتلك الرؤية المقدمة في "تناسق الدرر..."، وبالتالي فإن رؤيته في "تناسق الدرر..." خاصة، وفي "المعترك" عامة.

٥ــ على الرغم مما ورد في النقاط السابقة من إيجازها في "المعترك"، فإنها يمكن أن تعطينا تصوراً عاماً، لما يمكن أن نستخلصه مما هو وارد بين النصوص القرآنية والسور بعضها ببعض .

٦ــ وبناء على ما ورد أعلاه، فإن "المعترك"، إنما يمثل رؤية لكيفية التماسك الدلالي ، والحباك علاقاتها الظاهرة، وعلاقة التلاحم بين المعايرين، فيما يكونان نصاً لغوياً متلاحم الأجزاء.

٧ــ نلاحظ أن السيوطي في "المعترك" يقدم تمهيداً حول ــ المناسبة ــ ومن كان باع في هذا المجال كالنيسابوري، ومن لم يهتم بهذا الجانب من المفسرين كعلماء بغداد، ومنهم من له إسهامات كالرازي ، وهكذا ليعطي السيوطي مدخلاً لهذا الموضوع، بينما لم يسلك هذا النهج في "تناسق الدرر..." الذي دلف فيه إلى الموضوع مباشرة .

بعد أن قدم السيوطي مدخلاً في "المعترك" حول علم المناسبة والذي جعله الوجه الرابع عشر من وجوه إعجازه عرفها بقوله : المناسبة في اللغة المشاكلة والمقاربة، ومرجعها في الآيات ونحوها إلى معنى رابط بينهما عام أو خاص، عقلي أو حسي أو خيالي، أو غير ذلك من أنواع علاقات التلازم الذهني، كالسبب والمسبب، والعلة والمعلول والنظيرين والضدين ونحوه[1].

وأحسب أن هذا النص ــ فيما أرى ــ جامع لعدد من القضايا المتعلقة بالمناسبة، وتدل المعاني الواردة على المقاربة المعنوية/المنطقية في النصوص، وهي عناصر جوهرية ومظاهر دالة على هذه الخاصية، ونحن نأتي على هذه الرؤية في تفصيل لجوانبها في ثنايا التحليل فيما بعد،كما يشير النص إلى تلك المظاهر التي تتحقق من خلالها المناسبة ، التناسق كالعقلي، المنطقي أو رابط حسي (روابط لغوية) أو خيالي(مقدر) وهي روابط ينتمي منها إلى ظاهر النص والآخر إلى عالم النص، أما علاقات التلازم المشار إليها عالياً، فأراها جميعاً واقعة ضمن مظاهر الحبك.

ولاشك أن مثل هذا الربط/التماسك الدلالي في النص القرآني له دلالة خاصة ، منها ما هو ظاهر معلن، ومنها ما هو خفي، يحتاج إلى الكشف عنه، وقد كشف السيوطي عن عدد من هذه الدلالات في سياقات التحليل والمناقشة،غير أن هذا لا يمنع من وضعه لطائفة من

(1) السيوطي : المعترك ١/٥٧.

الوظائف العامة للمناسبة، يقول: وفائدته جعل أجزاء الكلام بعضها آخذاً بأعناق بعض، فيقوي الارتباط، ويصير التأليف حالته حال البناء المحكم المتلائم الأجزاء[1].

على أنني أشير إلى أن أسباب الربط الواردة في "المعترك": التنظير . المضادة . الاستطراد. أما في "تناسق الدرر..." فالتفصيل بعد الإجمال . المقابلة . التشابه في المطلع والمقطع. تعلق الجار والمجرور، وقوعها موقع العلة لخاتمة السورة التي قبلها . إجابة عن سؤال. العطف. التتميم والتكميل. ترتيب السورعلى أساس الطول، ترتيب قضايا سورة لإنتاج سورة أخرى. التناسق. وسنأتي على هذه الرؤية الموجزة في تحليل لجوانبها .

وتوضّح مقارنة النصوص بين ما ورد في مؤلفي السيوطي مدى اتساع المادة في "تناسق الدرر..."والذي خلق منه تبعاً للسياقات أسباباً أكثر مقارنة بما هو وارد في "المعترك". وإذا كان السيوطي قد وضع المبادئ العامة،غير أن مناقشة هذه المبادئ والمظاهر، ربما تكشف عن جوانب أكثر في"تناسق الدرر..." .

وقد عبّر السيوطي في "تناسق الدرر..." عن المناسبة بطائفة من المصطلحات نجملها فيما يلي من خلال استقراء كامل لها مثل: التناسب. التلاحم . الارتباط . الترتيب . الارتباط . التناسق . التلازم . الربط . الاعتلاق . الاقتران . وجوه المناسبة. تشابه الأطراف. التآخي . الاتصال . التلاؤم . الاتحاد . المجانسة . الاتساق . المشاكلة . المقاربة . التأليف . وهي مفردات عبّر من خلالها عن المناسبة(التناسب) وأحسب أنها مظاهر/عناصر أكثر بكثير مما أشار إليه د. العبد[2]، وهي كذلك في "المعترك" إلا أن عددها في التناسق أكثر بقليل . ومن خلال النص القرآني واستقرائه ظهرت له قاعدتان :

إحداهما : أن القاعدة التي استقر بها القرآن، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها، وشرح له، وإطناب لإيجازه، وقد استقر معنى ذلك في غالب سور القرآن طويلها وقصيرها، وسورة البقرة قد اشتملت على تفصيل جميع مجملات الفاتحة[3]. وأمر آخر استقرأته،

(1) السيوطي : المعترك ١/٥٧.
(2) د. محمد العبد : حبك النص ١٩٩.
(3) السيوطي : تناسق الدرر في تناسب السور ص ٦٥

وهـو : أنـه إذا وردت سورتان بينهما تلازم واتحاد، فإن السورة الثانية تكون خاتمتها مناسبة لفاتحة الأولى للدلالة على الاتحاد . وفي السورة المستقلة عما بعدها يكون آخر السورة نفسها مناسباً لأولها[1] .

والسؤال الآن ما العلاقات الدلالية، أو بمصطلح السيوطي "وجوه التناسب" التي على أساسها يبنى القول بالترابط بين سور القرآن المختلفة .

وقد خلصنا من خلال استقراء لنصوص "تناسق الدرر في تناسب السور"، أن مظاهر الـترابط الدلالي بين سورة وأخرى يتحقق في ستة عشر مظهراً دلالياً، ونظراً لأن مظاهر هذا الترابط مكررة في ثنايا التحليل، فإننا نقتصر على بعضها لينوب المذكور عن غير المذكور .

١/١/١/٥: تفصيل المجمل :

تشعبت صور تفصيل المجمل في النص القرآني في مؤلفات السيوطي على النحو التالي :

تفصيل مجمل:
- تفصيل إجمال آيات داخل السورة .
- تفصيل لإجمال آخر آية في السورة التي تسبق هذه السورة .
- تفصيل لما أجمل في سورة سابقة .
- تفصيل لما أجمل في السورة السابقة .

وحول هذه الصور للتفصيل بعد الإجمال التي استقرأناها من خلال عمل السيوطي في التناسق والمعترك تدور أحداث المناقشة التالية .

فأما التفصيل لإجمال آيات داخل السورة، أشار السيوطي أن قوله تعالى (ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم) الحشر/٥٧، هو تفصيل لقوله(وهو معكم أينما كنتم) الحشر/٤[2]. وواضح أن الربط هنا يمتد إلى ما فوق الجملة ؛ ليربط عن طريق تفصيل ما ورد في الآية/٧، بما هو وارد في الآية/٤ . وهذا يتعدى حدود الآية وحدود الجملة في الوقت ذاته . في حين يأتي مظهران من مظاهر التفصيل بعد الإجمال، وأعني:

(1) السابق ص ٧٤.

(2) السيوطي : تناسق الدرر ....ص ١٢٢.

ـ تفصيل لما أجمل في آخر السورة السابقة .

ـ تفصيل لما أجمل في السورة السابقة .

وتجسّد سورة الحج والمؤمنين تجسيداً حياً لهاتين العلاقتين الرابطتين، يقول: أقول وجه اتصالها بسورة الحج: أنه لما ختمها بقوله (وافعلوا الخير لعلكم تفلحون) الحج/٧٧. وكان ذلك مجمـلاً، فصله في فاتحة هذه السورة، فذكر خصال الخير التي من فعلها، فقد أفلح، فقال : قد أفلح المؤمنون. الذين هم في صلاتهم خاشعون)الآيات/١ :٦[1] .

ولّما ذكر أول الحج قوله (يا أيها الناس إن كنتم في ريب من البعث فإنا خلقناكم من تـراب ثم من نطفة)الآية/٥، زاده هنا بياناً في قوله (ولقد خلقنا الإنسان من سلالة من طين. ثم جعلـناه نطفــة في قرار مكين)الآيات١٢/١٣، فكل جملة أوجزت هناك في القصد أطنب فيها هـنا[2]. وهـذا الارتباط /الربط بين ما ورد في الآية/٥ مجملاً وتفصيله في الآية ١٢/١٣،إنما تجاوز كل هذه الرؤى والتصورات مستوى "نحو الجملة" إلى مستوى العلاقات داخل السورة، بل يتجاوز الأمر ذلك من خلال التفصيل بعد الإجمال بين آخر تلك السورة وتفصيل في السورة التي تليها .

ويـأتي تفصيل ما أجمل في سورة سابقة، ونأخذ ما ذكره السيوطي في سورة النساء، يقـول: وأقول هذه السورة شارحة لبقية مجملات سورة البقرة. فمنها:أنه أجمل في البقرة/٢١ قوله(اعبدوا ربكم الذي خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون). وزاد هنا(خلقكم من نفس واحدة وخلق منها زوجها وبث منهما رجالاً كثيراً ونساء) النساء/١ .

وانظر لما كانت آية التقوى في سورة البقرة غاية، جعلها في أول هذه السورة التالية لها مـبدأ ، ويذكر محقق الكتاب أن آية التقوى في البقرة/٢ هي (ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين).... أما في سورة النساء/١ فقد بدأ الله الأمر بها في قوله(اتقوا ربكم الذي خلقكم من نفس واحدة)، وبين وسائل تحقيقها في نفس الآية. ومنها: أنه أجمل في سورة البقرة /٣٥(اسكن أنت وزوجك الجنة)، وبين هنا أن زوجته خلقت منه في قوله تعالى(وخلق منها زوجها)، ومنها :

(1) السابق ص١٠٣.

(2) السابق ص١٠٤.

أنه أجمل في البقرة/٢٣٣ آية اليتامى، وآية الوصية، والميراث، والوارث، في قوله(وعلى الوارث مثل ذلك). وفصّل ذلك في هذه السورة أبلغ تفصيل . ويذكر المحقق أن ذلك في الآيات(٧، ١١، ١٢، ٣٣، ١٧٦) من سورة النساء .

وفصّل هنا من الأنكحة ما أجمله هناك ، فإنه قال في البقرة/٢٢١(ولأمة مؤمنة خير من مشركة). فذكر نكاح الأمة إجمالاً، وفصّل هنا شروطه . ويذكر المحقق في الهامش (ص٧٦) أن ذلك في قوله(ومن لم يستطع منكم طولاً أن ينكح المحصنات المؤمنات فمما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات) الآية/٢٥ .

ومنها : أنه ذكر الصداق في البقرة/٢٢٩ مجملاً بقوله (ولا يحل لكم أن تأخذوا مما آتيتموهن شيئاً)وشرحه هنا فصلاً، ويذكر المحقق في الهامش أن ذلك في الآية (٢١،٢٠) من سورة النساء .

ومنها : أنه ذكر هناك الخلع، وذكر هنا أسبابه ودواعيه من النشوز، وما يترتب عليه ، وبعث الحكمين . ذكر ــ المحقق في الهامش ــ أن آية البقرة/٢٩٩، وفي النساء آية/٣٤، ٣٥، وهذا من أسباب الخلع .

ومنها : أنه فصّل هنا من أحكام المجاهدين، وتفضيلهم درجات، والهجرة ما وقع هناك مجملاً أو مرموزاً. ذكر المحقق ــ في الهامش ــ أن ذلك في البقرة/١٥٤، ٢١٦، ٢١٨. وفي النساء الآية/٩٥:٩٩، أكتفي بعرض علاقة التفصيل والإجمال بين السورتين،أما وجه اعتلاقها بسورة الفاتحة وآل عمران، فاعتلاقها بالفاتحة يغني عنه اعتلاقها بالبقرة . وأما اعتلاقها بآل عمران(تفصيل لما أجمل في سورة سابقة)، وبالتالي تكفي إشارة علاقة سورة المؤمنين بسورة الحج، التي جاءت الإشارة إليها .

ومن خلال استقراء "تناسق الدرر،..." يبدو لنا أن القاعدة التي قررها السيوطي ، أن كل سورة تفصيل لإجمال ما قبلها وشرح لها، وإطناب لإيجازها، حيث لا تخلو سورة من سور القرآن، لم يشر السيوطي إلى علاقتها بما قبلها، ويتمثل ذلك في :

١ــ أن سورة الفاتحة والبقرة وآل عمران والنساء والمائدة، كل منهم تفصيل لما قبلها وإطناب لها، بحيث تمثل الفاتحة الإجمال/المركز، بالتالي يأتي القرآن كله تفصيلاً/ تفسيراً لما ورد فيها . غير

أن السيوطي لم يشر إلى كل ذلك صراحة، وأكتفي بتوضيح أن سورة البقرة، إنما هي تفصيل لسورة الفاتحة، وجاءت آل عمران مفصلة لجوانب عديدة، مما هو مجمل في البقرة والفاتحة، والأمر كذلك بالنسبة للنساء والمائدة مفسرة للنساء، والنساء موضحة لبعض آيات الفاتحة، ومن ثم يظهر هذا التفصيل لإجمال ما ورد سلفاً ربطاً معنوياً ينحبك به النص دلالياً .

وهكذا نرى أن العلاقة القائمة بين هذه السورة ، إنما هي علاقة إجمال لكل متقدم، وبالتالي فإن كل لاحق، إنما هو مفسر، ومن ثم فإنه كلما كانت السورة في البداية، كلما كانت أكثر إجمالا، وكلما تأخرت كانت أكثر تفصيلاً وبياناً .

٢ــ بعد هذه السور، نلاحظ أن المقاربات بين النصوص/السور، إنما تكتفي ببيان/كشف التفصيل بعد الإجمال بين السورة ولاحقتها، وهذا ما لم يكن واضحاً/متداولاً مع السور الأول. وحول هذين التصورين تدور أحداث التفصيل بعد الإجمال في كل "تناسق الدرر..." . وهكذا لا نرى وجهاً عند محمد خطابي[1]، فيما ذكره من علاقة الإجمال والتفصيل لا تقتصر على مظاهر علاقة الفاتحة بتلك السور التي تليها، وإنما هناك علاقات أخرى كعلاقة الإجمال والتفصيل، داخل السورة الواحدة ، وكذلك علاقة الإجمال والتفصيل، التي تقع بين نهاية السورة مع تلك التي تليها، ومن ثم فإن رؤيته تحتاج إلى إعادة نظر .

٢/١/١/٥: تشابه الأطراف :

يذكر السيوطي أن سورة الإسراء ختمت بالتحميد في قوله تعالى (وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك)الآية/١١١.

وبدلت الكهف/١ بقوله تعالى (الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ولم يجعل له عوجا) وذلك من وجوه المناسبة بتشابه الأطراف[2]. تتشابه مع ما ورد في آخر آل عمران بأنها ختمت بالأمر بالتقوى في قوله تعالى (واتقوا الله لعلكم تفلحون)الآية/٢٠٠. افتتحت النساء بقوله(واتقوا الله الذي تساءلون به والأرحام) الآية[3]. ويذكر في ذلك السياق المشابه بين

(1) محمد خطابي : لسانيات النص ص ١٩٨ : ٢٠٢.

(2) السيوطي : تناسق الدرر ...... ص ٩٩.

(3) السابق ص ٧٦.

البداية/الابتداء والخاتمة، كما في سورة (ص) وسورة (ن)[١]، وبالتالي فالتشابه في الأطراف يقع في شكلين .

٥/١/١/٣: الاقتران والتلازم (التآخي) :

قال مناسبة سورة الأنعام لآخر المائدة : أنها افتتحت بالحمد، وتلك ختمت بفصل القضاء، وهما متلازمان، كما قال(وقضى بينهم بالحق وقيل الحمد لله رب العالمين) ٣٦،٧٥ [٢]. وذكر أن افتتاح الإسراء بالتسبيح والكهف بالتحميد، وهما مقترنان في القرآن وسائر الكلام ، بحيث يسبق التسبيح التحميد نحو(فسبح بحمد ربك) ١٥/ ٩٨،٢٠/ ١٣٠،٤٠/ ٥٥،٥٠/ ٣٩،٥٢/ ٤٨) وسبحان الله وبحمده [٣]. وفيما يتعلق بالبروج والطارق أقول:هما متآخيتان فقرتا[٤]. كما أن الواقعة مع الرحمن في أن كلاً منهما وصف للقيامة والعكس بين الموضوعات[٥] .

٥/١/١/٤: التشابه في المطلع والمقطع :

يذكر السيوطي وجه المشابهة في المطلع[٦] :

(إن المتقين في جنات وعيون) الذاريات/١٥.

(إن المتقين في جنات ونعيم) الطور/١٧ .

٥/١/١/٥: المشابهة في المقطع :

وفي مقطع كل منهما يصف حال الكفار بقوله تعالى :

(فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون) الذاريات/٦٠.

(فالذين كفروا هم المكيدون)الطور/٤٢ .

---

(1) السيوطي : المعترك ٦٦/١.

(2) السيوطي : تناسق الدرر .... ص٨٣. المعترك ٦٦/١ ؛ ٦٧.

(3) السابق ص ٩٩.

(4) السابق ص ١٣٥.

(5) السابق ص ١٢١.

(6) السابق ص ١١٩.

٥/١/١/٦: المقابلة :

أشار السيوطي إلى أنه في سورة الصف ذكر حال موسى مع قومه وأذاهم له ناعياً عليهم ذلك، وفي سورة الجمعة حال الرسول(صلى الله عليه وسلم)، وفضل أمته، ؛ ليظهر فضل ما بين الأمتين، ولذا لم يعرض فيها لذكر اليهود[١]. ويذكر كذلك أن سورة الكوثر هي كالمقابلة للتي قبلها (الماعون)، لأن السابقة وصف الله سبحانه فيها المنافقين بأربعة أمور: البخل، وترك الصلاة، والرياء فيها، ومنع الزكاة، وذكر في هذه السورة مقابلة البخل(إنا أعطيناك الكوثر)الكوثر/١ ؛ للخير الكثير. وفي مقابلة ترك الصلاة (فصل) الكوثر/٢، أي دم عليها. وفي مقابلة الرياء(لربك) الكوثر/٢؛ أي لرضاه، لا للناس، وفي مقابلة منع الماعون (وانحر) الكوثر/٣ ، وأراد التصديق بلحوم الأضاحي. قال: فاعتبر هذه المناسبة العجيبة[٢] . وما أورده من التضاد بين صفة المؤمنين في سورة المؤمنين/٢١، وما جاء في النجم/٣٩ [٣] . وبداية المؤمنين ونهايتها[٤].

٥/١/١/٧: العطف :

ذكر السيوطي أن سورة الشرح(ألم نشرح لك صدرك)الآية/١، كالعطف على(ألم يجدك يتيماً فآوى) الضحى/٦[٥] .

٥/١/١/٨: إجابة عن سؤال :

ذكرها السيوطي في العلاقة بين سورة(لم يكن) وسورة (الزلزلة)[٦]. وسورة (القارعة) بالنسبة لسورة(العاديات)[٧] .

---

(1) السابق ص ١٢٤.

(2) السيوطي : تناسق الدرر ص ١٤٤ وما بعدها ؛ المعترك ٦٧/١.

(3) السابق ص ١١٩. وينظر المعترك ٥٥/١ ؛ ٥٦.

(4) السيوطي : تناسق الدرر ص ١١٩. المعترك ٦٦/١.

(5) السابق ص ١٣٨.

(6) السابق ص ١٤٢.

(7) السابق ص ١٤٣.

٩/١/١/٥: تعلق الجار والمجرور :

تعد سورة (قريش) نموذجاً لتعلق الجار والمجرور في أولها بآخر الفعل في سورة (الفيل)[1].

١٠/١/١/٥: بيان العلة :

يذكر السيوطي أن سورة(التكاثر)، إنما هي واقعة موضع العلة لخاتمة سورة (القارعة)[2]، وسورة(العلق) بيان العلة المادية وسورة (التين) السابقة عليها بيان للعلة الصورية[3].

١١/١/١/٥: التحقيق :

يرى السيوطي أن خاتمة سورة الإنسان (يدخل من يشاء في رحمته والظالمين أعد لهم عذاباً مهيناً) الآية/٣١، افتتح(المرسلات) بالقسم على أن ما يوعدون واقع، فكان ذلك تحقيقاً لما وعد به هناك المؤمنين[4].

١٢/١/١/٥: التتميم والتكميل :

يذكر السيوطي أن سورة(سأل)،إنما هي كالتتمة لسورة(الحاقة) في بقية وصف يوم القيامة والنار[5].

١٣/١/١/٥: ترتب قضايا سورة لإنتاج أخرى :

لما وقع في سورة التغابن (إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم) الآية/١٤ وعداوة الأزواج تفضي إلى الطلاق وعداوة الأولاد تفضي إلى القسوة، عقّب ذلك بسورة ذكر فيها أحكام الطلاق وتفصيلاً له[6].

---

(1) السابق ص ١٤٤. المعترك ٦٦/١.
(2) السيوطي : تناسق الدرر ص ١٤٣.
(3) السابق ص ١٤٠.
(4) السيوطي : تناسق الدرر ص ١٣١ ، ١٣٢.
(5) السابق ص ١٢٨.
(6) السابق ص ١٢٣.

١٤/١/١/٥: التعليل :

ذكر السيوطي أن الآية/٩ من سورة(المنافقون)(لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله) علل ذلك (إنما أموالكم وأولادكم فتنة) التغابن/١٥[1].

١٥/١/١/٥: الافتتاح والبسط :

وتمثل سورة (الممتحنة) نموذجاً حياً؛ لأنه افتتحها بنهي المؤمنين عن اتخاذه الكفار أولياءه، وكرر ذلك وبسطه حتى نهاية السورة[2]، فجاءت السورة متماسكة متلاحمة .

١٦/١/١/٥: التناسق في المفتتح/الافتتاح :

ذكر أن سورة القمر بالنسبة للنجم لما بين (النجم) و(القمر) من المناسبة، ونظيره تولي الشمس والليل والضحى وقبلها سورة الفجر[3].

وليس من ريب أن المبادئ الدلالية الحاكمة لعناصر المناسبة عند السيوطي في تناسق الدرر .... أكثر بكثير من تلك الواردة في "المعترك"، ذلك أن اتساع المادة المدروسة في "تناسق الدرر....." يعطي مساحة لاستخلاص عناصر أكثر من تلك الواردة في التنظير (المعترك)، وعلى الرغم من المطابقة شبه التامة في الإجمالي العام، إلا أن ذلك لا ينفي أن ثمة بعض التحليلات واردة في "المعترك" وليس لها موضع في "تناسق الدرر...." وليس العكس، وكنت أحسب أن مادة "تناسق الدرر....." في "المعترك" غير أن مقارنة النصوص تبيّن خلافاً لذلك .

كما أن ثمة مفارقة بين الكتابين، أننا إذا كنا قررنا أن "المعترك"، إنما هو تنظير لما جاء في "تناسق الدرر....."، فإن هذا التصور، إنما يوحي من جهة أخرى بأن القضايا التي تتعلق بالمبادئ الدلالية للتناسب التي جاءت منثرة في "تناسق الدرر....." باعتباره دراسة تحليلية في هذا الجانب، بينما جاءت جوانب من هذه القضايا مجتمعة ، وفي موضع واحد في "المعترك" .

على أن "المعترك" على الرغم مما جاء ذكره، إلا أننا واجدون عدداً من المبادئ الدلالية التي لم يشر إليها السيوطي في "تناسق الدرر......" وتشير مناقشة السيوطي بشكل ضمني إلى

---

(1) السابق : الموضع ذاته.
(2) السابق ص ١٢٣.
(3) السيوطي : تناسق الدرر ص ١٢٠ ، ١٣٧.

أن هذه المبادئ تقع ضمن عالم النص (البنية الداخلية)، غير أن إشارة السيوطي في بداية "تناسق الدرر..." إلى العناصر/الأنواع المشتمل عليها كتابه:أسرار التنزيل، غير أن الكتاب لم يصل إلينا، إلا أن الأنواع التي ذكرها والتي بلغت ثلاثة عشر نوعاً [١]، وقد اشتمل "تناسق الدرر..."على عدد من تلك الأنواع التي جاءت في"أسرار التنزيل"، وإن لم يخصص لذلك تخصيصاً، وبالتالي فإن "تناسق الدرر..." يحتوي على النوع الأول من هذه الأنواع .

إلا أن "المعترك" بما أنه كتاب في إعجاز القرآن، فقد اشتمل على عدد من الوجوه حسب رأي السيوطي، وأحسب (أظن)أن هذه الأجزاء التي هي أنواع لأسرار التنزيل، ذكرها السيوطي في "المعترك" تحت وجوه إعجاز القرآن، غير أن المعالجة في المعترك تختلف عنه في "تناسق الدرر..."، لما ذكرته سابقاً، وبالتالي فإن المعترك ربما يشتمل على تلخيص بعض وجوه الإعجاز التي وردت في "أسرار التنزيل". وينبغي أن نقرر أن كثيراً، بل جل قضايا "أسرار التنزيل" تتعلق بانسجام النص وتلاؤم أجزائه، بناء على ما أورده السيوطي[٢] .

ونخلص من هذه الرؤية إلى أن تلك القضايا، إنما هي مفسرة لأوجه إعجاز القرآن، ونتوقف على نوعين جاءت مناقشة السيوطي لهما في "المعترك" وأرى أنهما يدخلان ضمن إطار حبك بنيات النص. وبناء على هذا الأساس، فإننا نتوقف عند مظهرين : المظهر الخامس: مناسبة أوائل السور لأواخرها. الوجه الثامن : بيان ما اشتمل عليه من المحسنات البديعية على كثرتها، وأحسب أن (الوجه الخامس)، إنما يرتبط بشكل وثيق بمناسبات ترتيب السور، ويؤكد ذلك عندي أنه ناقشه ولو بشكل موجز أثناء تناوله لوجوه إعجاز المناسبة، وبناء على ذلك أحسب أن ما يأتي من مظاهر للمبادئ الدلالية عند السيوطي (الباحثون في الإعجاز)، إنما يمكن أن يعطينا تصوراً أولياً حول "أسرار التنزيل"، ومما يؤكد ذلك أن "المعترك" كتاب تنظيري في نواح عدة من الإعجاز القرآني، إذ ــ فيما نحن حياله ــ ذكر أن أسباب الربط : التنظير، المضادة،الاستطراد [٣] .

---

(1) السيوطي : تناسق الدرر ص ٥٤.

(2) تناسق الدرر...، ص ٥٤.

(3) السيوطي : المعترك ١/٥٨ ، ٥٩.

وإذا كنا عرضنا فيما سبق لمظاهر التناسق ــ حسْب رأي السيوطي في "تناسق الدرر..."ــ فإن "المعترك" يعكس من جهة أخرى مظاهر، لم يرد لها ذكر في "التناسق" ، وترتبط هذه المظاهر بقضايا المناسبة، وأظن أن هذه الطائفة من المصطلحات دالة فيما كان السيوطي يسعى إلى تحقيقه، ومن تناول هذه القضايا ضمن المناسبة، والتي عكس عدداً من المظاهر عبرت كلها عن مقصود/هدف السيوطي منها.

وأحسب أن: التصدير، الابتداء الحسن والانتقال من حديث إلى آخر .التخلص/حسن التخلص، الاطراد، الاستطراد، براعة الاستهلال، جاءت كلها ضمن معالجة موسعة لرؤية السيوطي في توضيح جوانب الإعجاز القرآني .كما أن : الافتتاح/المفتتح ،الخاتمة/الخواتم . وما نلمحه عند السيوطي مغايراً في ذلك الباحثين في الإعجاز، أنه في مواضع مختلفة ، يحاول أن يجد فروقاً دقيقة، أحسب أن أحداً لم يتنبه إليها، حتى أصحاب التيارات الأخرى التي تناولت مثل هذه القضايا، لم تشر إلى مثل هذه المفارقة مثل التيار البلاغي والنقدي بوجه خاص .

وتشير معالجة مثل هذه العناصر بشكل ضمني إلى ذلك الالتحام/التماسك النصي بين عناصر مختلفة في النص القرآني، تعكسها معالجة مثل هذه العناصر :

١ــ الربط بين بداية النص وآخره (المفتتح/المختتم) .

٢ــ الربط بين التابعات الجملية بعضها ببعض (التخلص/حسن التخلص). وأتصور أن هذه المظاهر التي تختص بها "المناسبة" تعمل ضمن روابط أضيق، أعني أن مجال دورها داخل النص ــ حسب رؤية السيوطي ــ إنما تقع ضمن حدود السورة الواحدة . وبالتالي فإن ثمة عناصر تعمل من خلال تماسك أكبر لبنية النص القرآني، كما أشارت المعالجة لرؤية السيوطي، غير أن هذه المظاهر للمناسبة تعمل على :

ــ الربط بين سورة سابقة وأخرى لاحقة .

ــ الربط بين سورة سابقة وأخرى لاحقة يفصل بينهما بفاصل/سورة أو أكثر .

ــ الربط بين بداية السورة ونهايتها (تشابه الأطراف، المطابقة،المقابلة) .

ــ تفصيل لقضايا مجملة داخل إطار السورة الواحدة .

ــ تفصيل لقضايا مجملة داخل السورة السابقة .

ـ تفصيل لقضايا مجملة تقع في سورة سابقة، يفصل بينها بسورة أو أكثر.

هـذه الروابط الدلالية التي تعمل المناسبة من خلالها على ترابط بنية النص الصغرى (التابعات الجملية) والكبرى(النص القرآني/النص داخل سورة) . في حين يبقى عمل السيوطي في "المعترك" قائماً على: التفصيل بعد الإجمال .

ـ الترابط بين نهاية السورة والسورة التي تليها(إجابة سؤال/التعلق بالجار والمجرور) .

ـ الترابط بين بداية السورة ونهايتها(تشابه الأطراف/المقابلة) .

وتجدر الإشارة إلى أن محاولة استخلاص المظاهر الفاعلة للمناسبة عند السيوطي في كتابيه تتجلى فيه المظاهر أوضح تجلية لا تنكشف بالارتكاز على أحدهما ، وإنما تتكامل رؤيته من خلالهما معاً .

٣/١/٥: إيجاز تلك المعطيات :

١/٣ : أن ثمة علاقات دلالية قائمة بين أجزاء النص القرآني، تتمثل في علاقة السور بعضها ببعض أو بين أجزاء السورة الواحدة سواء داخل إطار حدود الجملة،أو ما يتعدى ذلك، ونلاحظ أن مثل عناصر المناسبة، إنما تعمل جميعاً من خلال شبكة أكبر تتعدى حدود أسوار الجملة الواحدة، وإن جاءت فهي كما أظن ليس القصد منها التضييق، بقدر ما تعني أن ثمة عناصر تعمل داخل السورة وأخرى أكبر، وهكذا تتشابك هذه العناصر اتساعاً وضيقاً، في محاولة للموازنة بين أجزاء النص الواحد(القرآن،السورة الواحدة) :

٣/١/أ :علاقة التضاد، وتشتمل على :

١ـ علاقة بعض السور بالأخرى .

٢ـ علاقة بعض الآيات في سورة ببعض الآيات في سورة أخرى (لاحقة أو سابقة) .

٣ـ علاقة المفتتح/الابتداء بالخاتمة .

٤ـ علاقة نهاية السورة ببداية التي تليها .

٣/١/ب:علاقة تشابه الأطراف، وتشتمل على:

١ـ المطابقة بين آيات السورة الواحدة، من خلال علاقة التفصيل بعد الإجمال .

٢ـ المطابقة بين الفواتح والخواتيم .

٣ـ المطابقة بين نهاية السورة وبداية التي تليها .

٤ـ المطابقة بين نصوص/آيات بعض السور بالأخرى .

وخلاصة القول إن هذه المظاهر عند السيوطي، إنما هي دعامات عامة كاشفة عن وجود الترابط الدلالي القائم بين أجزاء النص القرآني في تماسك بنية النص القرآني وتلاحم اجزائه، وبالتالي يصير النص وحدة واحدة .

ويجب أن ننوه إلى أن التمايز بين عمل السيوطي في "المعترك"و"تناسق الدرر" كما ذكرت ذلك، أن "المعترك" يذكر العناصر الأساسية في هذا الشأن، ومن ثم فهو تنظير، في حين يبقى عمله في "تناسق الدرر..." كمحاولة عملية لاختبار فاعلية هذه التصورات النظرية. كما أن اتساع المادة المدروسة في "تناسق الدرر" جعلته يكشف عن وجوه عدة ومتنوعة للمناسبة في النص القرآني، ولهذا فإن استخلاص محمد خطابي واقتصاره على ثلاثة مظاهر(1)، فيه إجحاف لعمل السيوطي الدائب في "التناسق" .

كما أن تلك المظاهر التي خلص إليها د. العبد من " تناسق الدرر..."(2) والتي كنا نتوقع أنها كل المبادئ الدلالية الحاكمة لعلاقات التناسب بين السور القرآنية،غير أن استقراءنا لنصوص تناسق الدرر،كشف عن أن نتائج/استخلاص د.العبد أيضاً فيها إهدار لجهد السيوطي المضني في تناسق الدرر . الأمر الذي أفضى إلى تتبعنا النصوص لكشف المبادئ الجوهرية الأكثر، الحاكمة لقضايا التناسب الدلالي بين بني النص القرآني .

٢ـ إذا كانت تلك القاعدة التي توصل إليها السيوطي، أن كل سورة سابقة، إنما هي مجملة بالنسبة للتي تليها، وهي قاعدة مقررة، حسب رؤية السيوطي، وأكدها "تناسق الدرر" بما لا يدع مجالاً لريب، إنما تعكس بوضوح أن سور النص القرآني آخذ بعضها برقاب بعض، وهكذا تؤدي إلى أن سورة (الفاتحة) في بداية النص القرآني، مرتبطة بسورة (الناس) في نهايته .

(1) محمد خطابي : لسانيات النص ص ١٩٨ : ٢٠٤.

(2) د. محمد العبد : حبك النص ص٢٠٠: ٢٠٥

٣ـ يلاحظ أن عمل السيوطي في "تناسق الدرر" والمناسبة في "المعترك"، إنما هو عمل ذهني في الأساس، وقد أكده بقوله: بأن مناسبات ترتيب السور .... أكثره من نتاج فكري، وولادة نظري، لقلة من تكلم في ذلك، أو خاض فيه في هذه المسالك .... وقد كنت أولاً سميته "نتائج الفكر في تناسب السور" لكونه من مستنتجات فكري؛ لأنه أنسب بالمسمى، وأزيد بالجناس[1]. وتتسق هذه الرؤية مع المذهب الذي يرى أن قضايا المناسبة دلالية/منطقية، تتعلق بعالم النص، وليس بالبنية اللغوية المتحققة في التتابعات الجملية .

٤ـ إذا كان "تناسق الدرر" قد بلغت فيه مظاهر المناسبة ستة عشر مظهراً، تمثل كل ما توصل إليه فكر السيوطي في هذا الشأن، فإن "المعترك" اشترك معه في خمسة مظاهر. وربما تكون حصيلة "تناسق الدرر" أعلى لاتساع المادة المدروسة، وأنه خصص للتحليل تخصيصاً ، بينما منهج "المعترك" مختلف .

٥ـ توضح المقارنة بين الكتابين واستقراء النصوص، أن السيوطي وسع وجوه/مظاهر المبادئ الحاكمة للعلاقات الدلالية، بينما نرى وجوهاً أخرى في "المعترك" لم تأت في "تناسق الدرر ......"، وقد وسّع جوانبها ، مثل: التخلص، الاستطراد، الاطراد، براعة الاستهلال، الاستهلال،الابتداء، حسن الابتداء، حسن التخلص، الافتتاح، الخاتمة . وهي سمات عند السيوطي والزملكاني والباحثين في الإعجاز، بيد أن عمل السيوطي يظل متميزاً عن غيره، بأنه حاول في أكثر من موضع أن يوجد فروقاً دقيقة بين عدد من المعايير التي تبدو واحدة، ولم نجد عند غيره هذه السمة الجوهرية الفارقة في عمله .

٦ـ نلاحظ أن مظاهر المناسبة عند السيوطي ليست أخيرة/نهائية، إنما هي كل ما توصل إليه عقله، وبالتالي فإننا يمكن أن نعثر على مظاهر أخرى، إذ ما توصل إليه، ليس إلا قطرة من بحر ـ حسب قوله ـ وأظن أن إعجاز القرآن سيكشف عن مظاهر أخرى أكثر مما أشار إليه السيوطي .

٧ـ دلل السيوطي على صدق القاعدة التي خلص إليها في (ص٦٥) أن كل سورة لاحقة إنما هي مجملة للتي قبلها ، فيما يختص بترتيب آيات القرآن ومناسبتها .

(1) السيوطي : تناسق الدرر ... ص ٥٤.

٥/١/٤ : قضايا البلاغة وعلاقتها بـ"نحو النص"عند الباحثين في الإعجاز القرآني:

درج البلاغيون على تعريف البديع بأنه : علم يُعرف به وجوه تحسين الكلام بعد رعاية المطابقة ووضوح الدلالة[1]، وقد نقله السيوطي عن سابقيه، وبالتحديد عن ابن أبي الإصبع، كما يرى أحد الباحثين[2]، ويشتمل النص على عنصرين مهمين فيما أرى :

الأول : وجوه تحسين الكلام (وهو جانب لفظي خالص) .

الثاني : رعاية المطابقة ووضوح الدلالة (وهو جانب دلالي/معنوي بحت) وبالتالي فإن مباحث علم البديع، إنما تقع الموقعين، وهو ما جعل مظاهره منها ما يقع/يختص بالجانب اللفظي(السبك)، ومنها ما ينتمي إلى عالم النص(الحبك). ومن خلال تضافر هذين العنصرين، يتم إنتاج النص، وبناء على هذا، فإن قضايا البديع إنما تقع الموقعين معاً، وتوضح الدراسة هنا ،هذه الرؤية ـ حسب تصور السيوطي ـ وهي تعكس بشكل آخر رؤية الباحثين في الإعجاز .

٥/١/٥: وجوه المطابقة بين اللسانيات النصية والبلاغة القديمة :

يرى علماء النص أن البحث النصي، ما هو إلا امتداد لعدد من القضايا ذات الصلة بموضوع البلاغة، وقد ذهب أحد الباحثين[3] إلى ذكر عدد من الفرضيات التي تلتقي فيها قضايا البلاغة مع القضايا الملحة في علم لغة النص توجزها فيما يلي :

١ـ من الممكن أن يخضع التوصل إلى الأفكار وترتيبها للضبط المنهجي .

٢ـ أن الانتقال بين الأفكار والتعبيرات غير مستعص على التدريب الواعي .

٣ـ أن بين النصوص المختلفة التي تعبر عن تشكيلة معينة من الأفكار نصوصاً أرقى من سواها.

٤ـ من الممكن تقييم النصوص بدلالة ما تحدثه من تأثير على جمهور المستقبلين .

٥ـ تعد النصوص وسائط نقل التفاعل الغائي .

(1) السيوطي : المعترك ٣٧٣/١.

(2) د. أحمد عبد الوارث مرسي:دور البلاغة في الإعجاز عند السيوطي في كتابه: معترك الأقران في إعجاز القرآن ص ١٤.

(3) د. إلهام أبو غزالة ، علي خليل:مدخل إلى علم لغة النص ٣٩.

كما أنني يمكن أن أضيف عناصر أخرى تدعم/تقوي ذلك وتزيده توكيداً فأقول :

١ــ إن البلاغة ونحو النص كليهما يسعيان إلى إيجاد قواعد للنص .

٢ــ تشترك البلاغة و"نحو النص" في أن كليهما يأخذ بعين الاعتبار سياق الحال (المقام) سواء في النصوص المكتوبة أم المنطوقة .

٣ــ كـل منهما يحاول أن يقدم تفسيراً للنص بالاعتماد إلى قرائن السياقات المختلفة، بيد أن التـيار البلاغي والنحوي، يرتضي عدداً من التفسيرات في آن واحد، إلا أن "نحو النص" يحدد تفسيراً واحداً اعتماداً على معايير النصية التي حددها بوجراند/درسلر كمنهج، ولا يقنع بأكثر من تفسير.

٤ــ كلاهمـــا يلتقيان في تقديم تفسير محدد ومقبول دلالياً، ويحاول " نحو النص" أن يطور هذه المفاهـيم والتصـورات الواردة في البلاغة القديمة بمساعدة عدد من العلوم المختلفة للبحوث التجريبـية والمنجزات النظرية لعلم النفس المعرفي، وارتباطه الوثيق بميدان الذكاء الاصطناعي الذي يتطور بسرعة فائقة في النشاط اللغوي (*)، كعلم النفس الإدراكي والأنثروبولوجيا، ويفيد من كل هذا .

وإذا كانت تلك تمثل قضايا المطابقة إجمالاً، فإن ثمة نقاطاً للموائز ماثلة نوجزها كالتالي :

١ــ يلاحـظ أن الـبحوث البلاغـية القديمة في علم المعاني كانت تقتصر في جملتها على هذا المسـتوى مـن الـترابط القائم بين وحدتين من القول في التتابعات الجملية وذلك عند تحليل مشكلات "الفصل والوصل" لا تكاد تتعدى هذا النطاق الجزئي المحدد، مما جعل جيدها ينصب عـلى المسـتوى النحوي أو التركيبي، دون أن يتجاوزه إلى النطاق الدلالي للفقرة الكاملة أو المتتالية النصية... وهذا ما يقوم به علم لغة النص[1] .

(*) حول الاتجاهات المعرفية المختلفة التي اعتنت بدراسة النصوص ينظر :
Van Dijk T. :Text and Context , p. 11 : 13.

(1) د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٦٤.

٢ــ تعـتمد البلاغة القديمة على الشواهد المبتورة عن سياقاتها المختلفة، مما أدى بها إلى فقدان التفسـير الدقـيق المحدد، وقد أفضت بها هذه الإجراءات المنهجية إلى تقديم تفسيرات متعددة ترتضيها البلاغة ولا تلفظها، في حين لا يرتضي "نحو النص" التفسيرات المتعددة في آن واحد.

٣ــ لغـة الـبلاغة القديمـة "النصوص البلاغية" العالية، كالقرآن الكريم والشعر والمختارات النثرية، بينما " نحو النص" كل النصوص اللغوية، المكتوب منها والمنطوق على اختلافها .

٤ــ لـيس من أهداف وغايات البلاغة القديمة تقديم قواعد لهذه النصوص المحللة، بقدر ما هو تقديم تفسير مرض لها، في حين يأتي استخلاص القواعد من تلك النصوص وتقديم تفسير دقيق لها من أولى أهداف وغايات "نحو النص" .

٥ــ اختلاف الإجراءات المنهجية المتبعة في البلاغة القديمة عن تلك التي ينهجها " نحو النص".

وعلى الرغم من تلك الموائز، فإن نقاط المطابقة ليست بخافية، الأمر الذي جعل بعض الباحثين يرى أن "نحو النص" ما هو إلا امتداد وتطوير لتلك القضايا المختصة بها البلاغة القديمة، أو أن عـلم الـبلاغة هي السابقة التاريخية[1]، ويحاول علماء النص أن يطوروا مفاهيم وأفكار البلاغة القديمة، وأن تدرس في إطار جديد، مثل قضايا الإعجاز، إنما تقع موقعين الأول : يتعلق بالجانـب الـنحوي ونعـني به الجانب اللغوي المتمثل على سطح القرطاس . الثاني : الجانب الدلالي، وهي تلك المفاهيم التي يجسدها الجانب النحوي .

---

(1) السابق ص٢٥١، وينظر : Van Dijk T. :Textwissenschaft, S. 7

وفي هـذا السـياق يرى د. سعيد بحيري أن البلاغة القديمة تضم الأفكار الجوهرية التي عنيت الدراسات النصية بالتوسع فيها، وبالتالي توجد جوانب اتفاق عدة بينهما إلى حد يصعب معه إغفال الأثر حين تكون درجة خفائه مرتفعة، وليست محاولة علم النص في جوهرها إلا السعي المستمر لضم هذه العمليات في إطار موحد بعد أن تبعثرت بين عدة علوم . علم لغة النص١٦٢.

وإذا كان المختصون بتأريخ اللسانيات النصية يرون أن "نحو النص" ما هو إلا امتداد للبلاغة القديمة وعلم الأسلوب[1]، فإن شبلنر يرى : أنه على الرغم من وشائج القربى التي تشترك فيها البلاغة القديمة وعلم اللغة النصي، بيد أن بعض العبارات الدقيقة تناولت بعض المعلومات الجديدة في علم اللغة النصي، على الرغم من عدم تناولها في الدراسات اللغوية أو إهمال ملاحظتها، حيث لم يهتم علم اللغة ــ إلا نادراً ــ بالمحسنات البديعية (التطابق والتعارض أو المقابلة والالتفات إلى الظاهرة الذي سبق في النص بضمائر تعود عليه)[2].

وإذا كان علم اللغة لم يهتم بدراسة مثل هذه الجوانب، فإنها قد لقيت عناية واهتماماً واضحين من قبل "نحو النص" و"الأسلوبية" ، وربما تعكس هذه الدراسة شيئاً من دور المحسنات البديعية بشكل عام في انسباك النص وانحباك أجزائه وعدم اقتصار دورها على الجانب الشكلي من التحسين والتزيين، وهكذا يتبوأ علم البديع مكانة مرموقة، ويستعيد قواه في ظل الاتجاه النصي، ليس بجانب علميّ المعاني والبيان، بل في "نحو النص" بعد أن انتبذ مكاناً قصياً وتوارى بالحجاب في ظل الدراسات البلاغية القديمة، وقنع الدارسون باقتصاره على تزيين الكلام وتحسينه .

وهكذا نلاحظ أن تلك العناصر المشتركة بين البلاغة و"نحو النص"، أو بتعبير آخر، فإن ثمة بعض القضايا البلاغية التي يستثمرها "نحو النص"، أما علم البديع فإن جل قضاياه معقود عليها الآمال، بعد أن انتبذت مكاناً قصياً في الدراسات البلاغية القديمة، وكان أهون الشركاء الثلاثة : المعاني، البيان، البديع، وهي المرشحة القوية من فروع البلاغة، لأن تطور قضاياه: فالمحسنات البديعية وألوان البيان لها أهمية كبرى في النظرية الأسلوبية، إذا فهمت على أنها نظام من نموذج جمالي استدلالي، يوضع تحت تصرف المؤلف، ليعطي بها تأثيراً معيناً عند جمهوره ، ويعني ذلك أنها تعد من مجال اللغة **Langue** وأن لها تأثيرها في تحقيق النص..... وتدرك ألوان

---

(1) ينظر: هاينه من (بالاشتراك) :مدخل إلى علم اللغة النصي ص١٤ وما بعدها، برند شبلنر : علم اللغة والدراسات الأدبية ص١٨٥، د. صلاح فضل : بلاغة الخطاب وعلم النص ص ٢٥٠ ،٢٥١.، د.محمد العبد : حبك النص ص١٢٥.

(2) السابق : الموضع ذاته .

البيان والمحسنات البديعية بدرجات متنوعة حيث تحدث تأثيرات مختلفة بحسب السياق اللغوي ونوع النص والموضوع الذي يتضمنه الحديث والمقام والجمهور، وهكذا نتوقع أن تحدث الاستعارة في قصيدة عاطفية أثراً مخالفاً لما تحدثه الاستعارة نفسها في حديث لغوي عادي .

إن ألوان البيان والمحسنات البديعية معايير لغوية يعتمد عليها المؤلف في عمل المقابلات والمطابقات في النص، وهكذا يمكن مثلاً للجناس الناقص(الكلمات التي تتشابه في حروفها) والالتفات إلى ما سبق في النص(كذكر يعود على لفظ صريح سابق) أو المساواة بين أعضاء الجملة، أن تحدث مطابقات في النص.... إن هذا التقسيم للمحسنات البديعية، وألوان البيان، ونحن بها تقسيمها بالنظر إلى أنماطها المختلفة إلى مقابلات ومطابقات ــ جدير بالاهتمام ــ كما أن السياق الذي يتجسد فيه ذلك ليس تخميناً، بل حقيقة واقعة[1] .

والواقع أن مثل هذه الدعوة بدأت تؤتي أكلها في اللسانيات النصية العربية، إذ ثمة اتجاه يعالن في صراحة محاولته الملحة في الإفادة من هذه العناصر التراثية التي ظلت متوارية ردحاً من الزمن في الإفادة منها في "نحو النص"[*] .

ومما هو جدير بالنظر أن دور المحسنات البديعية ليست جامدة، وكأنها قوالب تفرغ إفراغاً، وإنما هي معايير لغوية، تكتسب دلالتها من خلال عدد من القرائن اللغوية والمقامية ودور المتلقي ونوعيته وغرض النص...إلخ . كل أولئك يحقق دورها، ومن ثم فإن ما يمكن أن تقوم به محسنات بديعية في قصيدة، تكتسب معنى آخر في قصيدة أخرى ذات سياقات مختلفة، ومن ثم فهي ليست جامدة، يصب فيها الكاتب غرضه، وإنما يتجلى دورها في تحقيق النص.

---

(1) برند شبلنر:علم اللغة والدراسات الأدبية ص١٧٣. طال الاقتباس هنا بعض الشيء، غير أن أهميته تبرر ذلك الطول .

(*) ينظر د. سعد مصلوح: نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٥٩، والمذهب النحوي عند تمام حسان ص٣١ له أيضاً، وثمة دراسة للدكتور جميل عبد المجيد بعنوان: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ؛ وربما يعكس هذا البحث شيئاً من ذلك .

٦/١/٥:رؤية أولية للباحثين في الإعجاز القرآني لدور مباحث لبديع :

أحسب أن رؤية الباقلاني حول المحسنات البديعية ودورها لا تقل نضجاً حول دورها في تماسك أجزاء النص الواحد، إذ نراه يلح على أنها لا قيمة لها، إذا لم يتطلبها العمل الأدبي، ويستلزمها السياق، وبالتالي فإنها أدوات فنية وليست حلية في الكلام ليس لها دور سوى التزيين والتحسين .

وجملة القول إن رؤية الباقلاني ترفض البديع؛ لأنه ليس فيه ما يخرق العادة، ويخرج عن العرف.... وأن القرآن ليس كالشعر أو النثر، وأرى أنواع البديع، إنما يتأتى بالدربة والخبرة والتمرس، وهكذا لا يرفض الباقلاني البديع في ذاته، وإنما إذا كان متكلفاً، وبما أن البديع "باب من أبواب البراعة"، وجنس من أجناس البلاغة، وأنه لا ينفك القرآن عن فن من فنون بلاغاتهم، ولا وجه من وجوه فصاحتهم، وإذا أورد هذا المورد ووضع هذا الموضع كان جديراً[1]. فهو لا يرفض البديع في ذاته، وإنما إذا وضع الوضع المناسب كان جديراً، حسب تعبير الباقلاني .

ويلاحظ أن ألوان البديع[2] عند الباقلاني، لا يقصد بها المعنى المحدد عند المتأخرين بهذا العلم، وإنما المقصود منه علوم البلاغة المختلفة : المعاني، البيان، البديع، التي تم تحديد جوانبها فيما بعد الجرجاني، ومن ثم نرى عناصر العلوم المختلفة متداخلة عند الباقلاني .

وعلى الرغم من هذه الرؤية، إلا أننا نلاحظ أن الباقلاني تحت أنواع البديع(البلاغة) ذكر قضايا جلها يتعلق على ما اصطلح على تسميته فيما بعد بعلم البديع، وتؤدي هذه الرؤية إلى أن العناصر الأخرى الفاعلة كقضايا علم البديع والمعاني، لم تلق عناية كبيرة لديه، ومن ثم جاء تركيزه تنصيصاً على علم البديع، حسب رؤية المتأخرين له .

ويجب عليّ أن أوضح هنا أن عبد الجبار في المغني/الجزء السادس عشر، لم تكن له عناية تذكر بألوان البديع(*)، وبالتالي ربما تكون رؤيته أن البديع ليس له دور في بيان أوجه

(1) الباقلاني: إعجاز القرآن ص١٦٤ .

(2) ينظر حول الاتفاق والاختلاف فيما نقله الباقلاني عن السابقين ووافقهم عليه ، وما أضافه إليهم فيما يتعلق بمؤلفات النقد الأدبي بصفة خاصة ، د. شوقي ضيف:البلاغة تطور وتاريخ ص١١١ :١١٢.

الإعجاز، وينبغي أن نلاحظ أن قضايا الفصاحة وتحليله له جاء موجزاً، وتبقى المزية للجرجاني في أنه فصّل جوانب القول .

وإذا كنا فيما مضى من البحث(ينظر:٢،٣/٢/٣) ذكرنا أن اهتمام الجرجاني بمباحث علم البديع كان محدوداً، بناء على الإحصاء والاستنتاجات التي توصلنا إليها(ينظر : ٣/٢/٣ من البحث) وما أورده د. العمري[1]، ويؤكد هذا الملحظ عدد من الباحثين .

وإذا كانت دراسات الجرجاني في هذا الاتجاه محدودة في عدم ذكره كل الفنون، فإن إثارة هذه القضايا حول جهود الشيخ لا ريب أن له مرجعية أساسية، ذلك أنه ركز في بحوثه على عدد محدد من العناصر مثل : التجنيس، السجع،غير أن توجيهه لها هو الذي يثقل ميزانه ويضاعف من حسناته، يقول د.العمري:ووجه اهتمامه الأساسي للحديث عن الوظيفة التعبيرية، والأثر النفسي لهما من ناحية، وعلى تلاؤمهما وانسجامهما مع النظم من ناحية أخرى[2].

وبالتالي نرى له نظرة خاصة، خلافاً لما أورده أهل البديع، ولم يسلم من هذه الرؤية الباحثون في الإعجاز ممن لهم اتجاهاً وسطاً، ممن ينقل عن كتب البديع(السيوطي) وغيره، ممن جاءت له مناقشات في ثنايا هذا البحث، إلا أن الكيفية في التعامل مع الظاهرة، هو الذي فرقه عن غيره من الباحثين في الإعجاز، "فالمحسن البديعي" ــ في رأيه ــ لا ينبغي أن يكون هدفاً في ذاته، ولا ينبغي أن يكون حلية شكلية، تضاف إلى الصورة ، وإنما لابد أن يكون له دور في نقل المعنى وإيصاله، وأن ينسجم في الوقت نفسه مع البناء العام للتركيب البلاغي[3] .

وهكذا فإن العبرة عند الجرجاني ليس الغرض منها التكثير، وإنما الإفادة في توظيف مثل هذه العناصر البديعية في الكشف عن جوانب مضيئة من جوانب تفسير النص، وبالتالي فإن الجرجاني يحاول أن يتجاوز هذه المقولات والتصورات الضيقة، خاصة وأن الجناس ليس له مزية في ذاته، أي الجانب اللفظي(المحسنات اللفظية)، إذ يرى أن التجنيس لا تتم له فضيلة في الكلام

(*) ثمة مؤلف آخر لعبد الجبار(المتشابه) يتناول فيه قضايا بديعية. ينظر د.عبد الفتاح لاشين: بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار ص٣٩٦ .

(1) ينظر: د. العمري: المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز ص٢٨٢ : ٢٨٣.

(2) السابق:الموضع ذاته.

(3) د. العمري: المباحث البلاغية ص٢٨٣.

"إلا بنصرة المعنى" إذ لو كان الجمال باللفظ وحده، لما كان فيه مستحسن، ولما وجد منه معيب مستهجن، ولذلك ذم الاستكثار منه، والولوع به[1].

وبالتالي فإنه يقرن ما ذهب إليه البديعيون بأنه للتحسين، وأنه لا يتعلق بالجانب اللفظي، وإنما يربط ذلك بجوانب أخرى دلالية، ليربط السبك بالحبك، وهكذا نخلص إلى نتيجة مؤداها، أنه يرى رؤية أهل البديع في هذا الاتجاه، ويطور ويوسع فيها.

والأمر كذلك عنده فيما يتعلق بالجانب السجعي في الكلام، وإذا كانت تلك هي المحسنات اللفظية التي استحوذت على اهتمام الجرجاني، فإن ثمة محسنات أخرى معنوية في مصنفاته كالمزاوجة[2]، والجمع والتقسيم[3]، التجريد[4]، وكلها عناصر مؤثرة في التحليل النصي، وهكذا فإن عنايته بمثل هذا الجانب لم تقل عن عنايته فيما يختص بالجانب اللفظي.

وإذا كنا فيما مضى من البحث(ينظر:٤/٢/٣) قد ذكرنا المعايير النصية عند الرازي التي يمكن أن يفيد منها البحث النصي، فإن هذه المعايير على الرغم من قلتها، فإنها أزيد/أكثر مما هو وارد عند الجرجاني، ويعد تصور الرازي للسجع والتجنيس والترصيع ورد العجز على الصدر من القضايا التي يمكن أن تستثمر في ظل هذه الاتجاه النصي، وربما تكون رؤية الرازي حول التجنيس بشكل خاص، فيما عرض له من تفريعات وتصوره له ما يمكن أن تستثمر هذه الرؤية وتعمق في ضوء "نحو النص" في دراسة التكرار بشكل خاص وتطويعه والإفادة من جوانبه من نواح عدة، وهكذا يقدم الرازي تصوراً حول الإفادة من الأفكار التي يتيحها التكرار والتجنيس ــ حسب تعبيره ــ في ربط الأبنية الصغرى والكبرى على السواء.

وتعد هذه الجوانب التي تعرض لها الرازي المتعلقة بالجوانب اللغوية المتمثلة في الإطار اللغوي، وكلها جوانب فيما أحسب تتعلق بعلم البديع، فالسجع يرتبط بالجوانب اللغوية المتحققة على السطح،وكذلك التجنيس ورد العجز على الصدر، وكلها روابط لغوية سواء

---

(1) عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٤.

(2) ينظر عبد القاهر الجرجاني: الدلائل ص ٧٤.

(3) السابق: الموضع ذاته.

(4) ينظر عبد القاهر الجرجاني: أسرار البلاغة ص ٢٩١.

أكانت بإعادة اللفظ أو بأخذ مشتقاته، أو بالربط الإحالي، وهي عناصر تحتاج أن تستثمر في ضوء السياقات المختلفة من خلال دورها في التماسك النصي، وتعد دراسة أصحاب البحث في الإعجاز القرآني نموذجاً يحتذى في هذا الاتجاه.

غير أن هذه الرؤية لا تنفك عن اهتمام الرازي بالجوانب البلاغية الأخرى، فنرى له اهتماماً بالتشبيه والاستعارة والكناية، وكلها قضايا لم يكن أول من طرق البحث فيها. إلا أن ما يميز الرازي عن غيره من الباحثين في هذا المجال، أن نرى الملامح الأساسية لعلوم البلاغة وقضايا أخرى أخذت ملامحها تتبدى قسماتها بوضوح، أو لنقل بتعبير أدق: وضوح الاتجاه الفلسفي في تقسيم الرازي، وبالتالي جاء الاهتمام بالجانب البديعي بعيداً في التحليل عن الجوانب البلاغية، غير أننا ينبغي أن نقرر أن هذا التصور لتحليل جوانب الإعجاز، إنما كان يأتي في إطار منظومة متكاملة، بعيداً عن التقسيمات المصطنعة، وبالتالي نرى اختلافاً بين معالجة الجرجاني عنها عند الرازي، إذ بدأت التقسيمات وملامح العلوم تتبدى شيئاً فشيئاً، وإن لم يشر إلى ذلك مباشرة، وهي قضايا وردت عند الجرجاني، وما يحسب للرازي منها:

١ــ تلك التقسيمات التي تبدت في ترتيب تلك القضايا التي تعرض لها الإمام عبد القاهر.

٢ــ ثمة إضافات للرازي في التفريعات والإضافة التي تبدو واضحة عند مقارنة النصوص (ينظر: ملحوظات :٦، ٧ من البحث).

٧/١/٥:رؤية الباحثين في الإعجازالقرآني لدور"مباحث البديع"في حبك النص:

أشرنا في ملمح سابق أن مجمل رؤية السيوطي في "المعترك" هي حصيلة أفكار وتصورات السابقين عليه، وبناء على هذه الرؤية فيما نحن حياله، نراه فيما يتعلق بالأسباب المتعلقة بالربط ينقلها عن الزركشي في البرهان [1]،كما هي: التنظير. المضادة. الاستطراد. وتوضح مقارنة النصوص بينهما، كيف أفاد السيوطي من الزركشي في هذا المجال.

---

(1) ينظر الزركشي: البرهان في علوم القرآن ٤٧/١ :٥٠.

وإذا كان السيوطي قد أدرج : التخلص، الابتداء، الخاتمة، افتتاح السور. التخلص . حسن التخلص . حسن الابتداء . الاستطراد . حسن الطلب . براعة الاستهلال . المناسبة . التناسق. التصدير . رد العجز على الصدر، وهلم جرا.

وبالتالي نراه أدرج مثل هذه العناصر البديعية مكتفياً بها، وهي رؤية لا تتفق مع ما ذهب إليه أحد الباحثين بدرجه عناصر أخرى ضمن دائرة المناسبة، إن جاز لنا أن نستعمل مصطلح السيوطي، فأدرج : التفويف، التسهيم [1]، ولا تقتصر المفارقة على دائرة التوسيع فقط . وإنما ثمة تمايز آخر، حيث إن عدداً من العناصر التي أشار إليها ضمنياً، من خلال معالجتها في سياق واحد، وهي قضايا المناسبة، كتلك التي أشرت إليها منذ قليل، فأشار إلى أن فنون : الاستطراد والتخلص وفصل الخطاب، والتفريع، والإدماج،والاستنتاج، فهي فنون أوثر إدراجها في إطار علاقة يمكن تسميتها(الاستطراد)، وهي علاقة تعني : الانتقال من معنى إلى معنى آخر، أو من موضوع إلى موضوع آخر . وهذا المعنى هو الركيزة التي تقوم عليها كل هذه الفنون[2] .

ومجمل القول إن العلاقة التي تجمع هذه العناصر، هي الربط المعنوي/ المفهومي بين بنيات النص من خلال هذه العناصر المثلة لمظاهر البديع في مؤلفات هؤلاء العلماء، وأحسب أن إدراج هذه العناصر، إضافة إلى ما ذكره السيوطي ضمن معالجة معيار المناسبة أفضل لذلك الرابط العام الذي يجمع بينها، كما أن فيه توسيعاً لتلك الرؤية التي بدأها السيوطي وحاول الباحث أن يوسّع القول فيها، كما أن مصطلح المناسبة له ما عليه في الدراسات القرآنية، فهو مصطلح ذائع فيها، ولا تخلو دراسة في هذا المجال، إلا وهي مشتملة على عدد من قضايا المناسبة كلها أو بعضها، وهي دراسة الباحثين .... ومن ثم فإن إدراج هذه العناصر إضافة إلى ما ورد عند السيوطي تحت مصطلح "المناسبة" أفضل من تشتيت وتوزيع هذه العناصر في أقسام لا طائل من ورائها . ولعل في رؤية السيوطي السابقة حول المناسبة خلاصة ما ورد عند البلاغيين،

(1) د. جميل عبد الحميد: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص ١٦٩.

(2) السابق ص ١٦٩: ١٧٣.

فقال في إطار هذا العلم ترد : المقابلة، الاستطراد، التخلص، والجمع والتقسيم[1]. وتبين التحليلات والاستخلاصات التي وردت قبلاً هدف تلك النتائج ،غير أن الجمع والتقسيم الذي ورد عند البلاغيين في إطار المناسبة، وهو من علم البديع لم يذكره السيوطي ضمن هذه المباحث، على أن عدم ذكره في إطار المناسبة لا تقلل من إسهامه الحقيقي، إذ لم يكن الغرض التقسيمات والتفريعات بقدر ما كان محاولة الإفادة من كل العناصر المتاحة التي عرض لها السابقون .

وإذا كان البلاغيون مختلفين فيما بينهم حول تحديد قضايا المناسبة، فإن ابن سنان يراها في المقابلة والتبديل، في حين يرى ابن الأثير المناسبة تتمثل في : المقابلة والتقسيم والإرصاد(التسهيم) والتفسير . وتأتي هذه العناصر عند حازم ممثلة في : المقابلة والعكس والتبديل والتفريع وعند ابن أبي الإصبع[2].

وتدل خلاصة ما ورد عند البلاغيين أن تصور الباحثين في الإعجاز القرآني(السيوطي نموذجاً) أوسع وأشمل، بيد أننا يمكن القول إن رؤية الباحثين في الإعجاز قائمة على الانتقاء والجمع لكل ما سابق، وبالتالي تؤكد هذه الرؤية الأولية أن رؤية السيوطي تمثل حصيلة فكر السابقين عليه، مع الإضافات التي لا تنكر في هذا المجال، كما أشارت الدراسة في مطلب سابق (ينظر:٣/٢/٨/٤ من البحث) .

فالتفويف: هو إتيان المتكلم بمعان شتى من المدح والوصف، وغير ذلك من الفنون، كل فن في جملة منفصلة عن أختها في تساوي الجمل في الزنة .

وإذا كان السيوطي قد أورد من مباحث البديع : التوشيح، إلا أنه لم يورد "التسهيم" ، على الرغم من الوظيفة الدلالية التي يقوم بها التوشيح والتسهيم والعلاقة الجامعة بينهما هو الترتيب المفهومي(المعنوي) فالتسهيم هو : من الثوب المسهم، وهو الذي يدل أحد سهامه على الذي يليه ؛ لكون لونه يقتضي أن يليه لون مخصوص له بمجاورة اللون الذي قبله أو بعده ...

(1) السابق ص١٧٤.

(2) نقلا عن د. جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص ١٧٤.

ويصلح أن يعرف بقول القائل : هو أن يتقدم من الكلام ما يدل ما تأخر منه، أو يتأخر فيه ما يدل على ما تقدم بمعنى واحد، أو بمعنيين، وطورا باللفظ[1] .

وقريب من هذا هي محاولة السيوطي لجمع شمل تلك العناصر الفاعلة في الربط الدلالي، يؤكد بشكل ضمني جمع تلك العناصر المتقاربة من حيث الربط الدلالي، فإذا كان يرى أن التصدير، وهي ليست له: بأن تكون تلك النقطة بعينها تقدمت في أول الآية، ويسمى رد العجز .... وينقل أقسامه عن ابن المعتز،الأول: أن يوافق أول آخر الفاصلة آخر كلمة في الصدر، نحو قوله تعالى (أنزله بعلمه والملائكة يشهدون وكفى بالله شهيدا) النساء/٦٦. الثاني : أن يوافق أول كلمة منه نحو (وهب لنا من لدنك رحمة إنك أنت الوهاب)آل عمران/٨. الثالث: أن يوافق بعض كلماته(ولقد استهزئ برسل من قبلك فحاق بالذين سخروا منهم ما كانوا به يستهزؤون) الأنعام/١٠[2]. وأما التوشيح فهو : أن يكون في أول الكلام ما يستلزم القافية ... لأن الكلام لما دل أوله على آخره نزل المعنى منزلة الوشاح، ونزل أول الكلام وآخره منزلة العاتق والكشح الذين يجول عليها الوشاح[3]. يجمع عناصر : التصدير والتوشيح ورد العجز على الصدر والتسهيم :

١ــ قضايا الربط بوجه عام .

٢ــ تشير تلك الأمثلة والآيات القرآنية التي عرض لها السيوطي أنها لا تتعدى مستوى الجملة/الآية في ائتلاف التابعات المكونة لبنية النص الدلالية .

٣ــ كان الباحثون في الإعجاز القرآني(السيوطي)على وعي تام بالوظائف الدلالية العامة لمظاهر المناسبة .

٤ــ كان الباحثون في الإعجاز القرآني/السيوطي على وعي بتلك العلاقة الحقيقية التي تربط بين كل من: التصدير ورد العجز على الصدر من ناحية، وبين التوشيح والتسهيم من ناحية أخرى.

---

(1) ابن أبي الإصبع : تحرير التحبير ٢٦٣/٢ : ٢٦٥ ، نقلاً عن: البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص١١٥.

(2) السيوطي: المعترك ٤٨/١.

(3) السابق ٤٩/١.

٥ــ لاحظ السيوطي/الباحثون في الإعجاز تلك العلاقة الرابطة بين هذه العناصر : التصدير، رد العجز على الصدر،التوشيح، وأضاف البلاغيون : "التسهيم" كعنصر يرتبط بعلاقة دلالية بهذه العناصر.

٦ــ اشتركت هذه المظاهر البديعية في أنها تربط بين بداية الآية القرآنية الواحدة/الجملة الطويلة بآخرها، ولم تتعد حدود الجملة الواحدة خلافاً لـ "رد العجز على الصدر"، فإن الربط به يتعدى حدود الآية الواحدة والآيتين إلى بداية النص بنهايته .

وتجب الإشارة إلى أن مثل هذه العناصر يدرجها المعنيون بـ"نحو النص" ضمن ما يطلق عليه بـ(المصاحبات المعجمية)، إذ كل عنصر يصاحبه عنصر آخر، وقد أشرت في موضع آخر من البحث إلى العلاقة القائمة بين رد العجز على الصدر وتشابه الأطراف، وهي علاقة المطابقة. وأحسب أن التصور الرابط بينهما مغاير لتلك التي تجمع بين "رد العجز على الصدر" وبين العناصر الأخرى الجامعة، ومن هنا، فإن العلاقة القائمة بين "رد العجز على الصدر" والعناصر الأخرى، هي علاقة الخاص بالعام، بينما تبقى العلاقة بين "رد العجز على الصدر" و"تشابه الأطراف" علاقة مشابهة من حيث الوظيفة الدلالية، إذ تتعدى المشابهة أو المطابقة أو الروابط حدود الآية أو الآيتين، ويتعدى كلاهما ذلك بكثير .

وإذا كنت قد أشرت إلى معالجة السيوطي حول المناسبة وعناصرها، التي رأى أنها تدور في فلك مصطلح (المناسبة/التناسب ....الخ) فإن أحد الباحثين[1]، قد أضاف عنصر:التفويف، ضمن عناصر المناسبة، وبالتالي فإن التصور حول هذه العناصر قائم بين الباحثين على عملية توسيع هذه الدائرة، ومن ثم فإنني بدوري هنا أحاول توسيعها بإضافة عناصر أخرى إليها، بناء على الوظائف الدلالية المتشابهة . وأحاول هنا أن أذكر هذه العناصر مجتمعة، ثم آتي على كل واحد منها منفرداً، وذلك انطلاقاً من أن البحث في هذه العناصر، إنما يحاول أن يطبق رؤية السيوطي السابقة على مثل هذه العناصر، ومن هنا نختبر مدى فاعليتها في هذا الموضع، فاللف والنشر، حسن النسق، الجمع والتقسيم، الجمع والتفريق والتقسيم، التصدير، التفويف، التقسيم، التدبيج، الانسجام، الاطراد، الترديد .

---

(1) د. جميل عبد المجيد : البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية ص١٦٩.

فاللف والنشر : أن يذكر شيئان أو أشياء، إما تفصيلاً بالنص على كل واحد أو إجمالاً، بأن يؤدي بلفظة تشتمل على متعدد، ثم يذكر أشياء على عدد ذلك، كل واحد يرجع إلى واحد من المتقدم، ويفوض إلى عقل السامع رد كل واحد إلى ما يليق به [1] .

وتبين الآيات القرآنية التي استشهد بها السيوطي، وفي تقسيمه اللف والنشر إلى : إجمالي وتفصيلي، إلى أنه قريب من التفصيل بعد الإجمال، وهو يتعلق بعناصر : التلاؤم/الالتئام المختصة بالعنصر المفهومي(المعنوي) للنص القرآني، بيد أن تمايزاً قائماً بينهما في أن اللف والنشر يربط على مستوى الآية القرآنية الواحدة (الجملة الطويلة)، في حين يأتي التفصيل بعد الإجمال متجاوزاً حدود الآية الواحدة إلى أجزاء السورة، رابطاً عناصرها ربطاً معنوياً، ولا يقتصر الأمر عليه داخل السورة، بل يقع التفصيل لإجمال آية أو آيات في سورة متقدمة . ولا يشترط فيه أن تكون السورة سابقة لتلك السورة مباشرة، بل قد يفصل بينهما بسورة أو أكثر، كما هي الحال فيما يتعلق بالإجمال الوارد في سورة الفاتحة والبقرة والتفصيل في النساء والمائدة ، حسب تصور السيوطي، ولا تنفي هذه الرؤية وقوعه داخل الآية الواحدة، كما دلت المناقشة الواردة عند تحليل نماذج من كتاب "تناسق الدرر ...." .

ويؤدي هذا التصور إلى تلك العلاقة القائمة بين اللف والنشر من ناحية، والتفصيل بعد الإجمال من ناحية أخرى، إن صحت ــ وهي كذلك إن شاء الله ــ إلى اعتبار المقاربة الدلالية في العمل، غير أنه يظل عمل(وظيفة)التفصيل بعد الإجمال أعم وأوسع من تلك التي يعمل من خلالها اللف والنشر التي لا تتجاوز حدود الآية الواحدة، وهكذا يتحقق عمله في الربط في جزء واحد مما ينتمي إليه عمل التفصيل بعد الإجمال، وقريب من هذين العنصرين "الجمع والتقسيم" : وهو جمع متعدد تحت حكم ثم تقسيمه، ومنه قوله تعالى(ثم أورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا، فمنهم ظالم لنفسه، ومنهم مقتصد، ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله) فاطر/٣٢، وبناء على ذلك، أحسب أن الجمع مقابل موضوعي للإجمال، والتقسيم مقابل للتفصيل .

١ــ إجمال ⟷ جمع

٢ــ تفصيل ⟷ تقسيم

---

(1) السيوطي : المعترك ١/٤٠٨ ، ٤٠٩.

وهي رؤية جامعها المقاربة الدلالية، وإن ظلت سمة مشتركة بين الجمع والتقسيم واللف والنشر، وهي رؤية قائمة على أن نماذجه لم تتعد الآية الواحدة (الجملة الواحدة)، وما ينطبق على ما مضى ينطبق على "الجمع والتفريق والتقسيم، فهو داخل في هذا الإطار، وتسترعي هذه الرؤية النظر إلى اعتبار كل من : اللف والنشر وقضايا التفصيل بعد الإجمال بوجه عام، والجمع والتقسيم والتصدير والتوشيح ورد العجز على الصدر، وهلم جرا من المصاحبات المعجمية، أي تلك التي تستدعي معياراً آخر، إما متمم، وإما مقابل مرتبط به بشكل أو بآخر، وإن بقي لكل عنصر خصائصه التي تخصه دون غيره .

كما أنني إذا كنت قد أشرت إلى العلاقة بين الجمع والتقسيم على أنهما يتقاربان في الوظيفة الدلالية مع التفصيل بعد الإجمال بشكل عام، وبالتالي ــ ربما ــ يفضي هذا التصور إلى تصور آخر قائم عليه ومردود إليه، أن :

الجمع ⟷ الإجمال

التقسيم ⟷ التفصيل

وتشير هذه الرؤية إلى الإمكانية التي يمكن أن يأتيا عليها، كل منفصل عن الآخر، وهي إمكانية غير متحققة في التفصيل بعد الإجمال، وتمثل هذه العلاقة تمايزاً بين عمل الاثنين، إضافة إلى ما ورد عالياً .

ويؤدي بنا هذا التصور إلى رؤية قائمة على أساس، إذا كنا قد اعتبرنا (فيما مضى) المناسبة عند السيوطي مصطلحاً عاماً يجمع ضمن إطاره جل العناصر البديعية والنقدية على السواء، حتى أنني أحسبه مقابلاً عربياً لمصطلح **(Kohärenz)** في اللسانيات النصية المعاصرة. ويعد عنصر التفصيل بعد الإجمال أحد ركائزه الأساسية، والذي بنى عليها السيوطي كتابه"تناسق الدرر ..... " واعتبره قاعدة عامة في القرآن الكريم، حسب استقرائه للنص وتلك النتيجة التي خلص إليها " تناسق الدرر ... (ص٦٥) . أقول بناء على استقراء السيوطي للنص القرآني، وعلى تلك التفريعات الواردة، والنماذج الموضحة لعدد من العناصر البديعية، أن ليس التفصيل بعد الإجمال قاعدة عامة في القرآن فقط، وإنما أدى هذا التصور إلى وجود أنماط

وأشكال عدة مختلفة النصية : كالجمع والتقسيم، والجمع والتفريق والتقسيم، والجمع، والتقسيم، كل على حدة .

واللف والنشر، ورد العجز على الصدر، وتشابه الأطراف، والتوشيح، والتسهيم، والإرصاد، والافتتاح (افتتاح السورة) والخواتم (خواتم السورة)، والتفويف، حسب رؤية بعض البلاغيين وهلم جرا، وكلها عناصر تقع ضمن إطار أعم، وهي المناسبة، وواقعة في نطاق أضيق خاصة بالتفصيل بعد الإجمال، وهكذا تتسق وتتوكد(تعتضد) تلك النتيجة مما توصل إليه السيوطي، وتؤكد من ناحية أخرى على نتيجة أخرى مغايرة لتلك التي توصل إليها السيوطي.

وإذا كنا قد أشرنا بناء على رؤية/قاعدة السيوطي(تناسق الدرر... ص٦٥) : أن كل سورة شارحة ومفصلة للتي قبلها، وبالتالي فإن هذا التصور يجعل من قضايا سورة الفاتحة فيها الركائز الأساسية التي اشتمل عليها القرآن الكريم، وهكذا فإن ترتيب السور في المصحف العثماني قائم على ترتيب أن كل سورة سابقة، إنما هي في الواقع مجملة مقارنة للتي تليها، وأكثر إجمالاً، بالنسبة للسورة التي تلي التي تليها وهكذا . وقياساً على ذلك، فإن معيار المناسبة الوارد عند السيوطي، يمثل إجمالاً لمعايير/عناصر عدة، وكلها واقعة في إطاره، وبالتالي فإن عنصر التفصيل بعد الإجمال مقارنة بعنصر المناسبة، فهو مفصل/تفصيل، والمناسبة إجمال/مجمل، والركيزة الأساسية . وهكذا تتسع الدائرة شيئاً فشيئاً من خلال التفصيل بعد الإجمال، فهو تفصيل، مقارنة بعنصر المناسبة، وهو مجمل مقارنة بالعناصر التي أشرنا إليها، وهكذا تتحد هذه العناصر كلها لانحباك وانسباك آياته وسوره بعضها ببعض .

٢/٥:المعيار الثاني الربط/الارتباط[1]عند الباحثين في الإعجازالقرآني

(I) من المفيد الإشارة في هذا المقام إلى أن المعنيين بـ" نحو النص" منقسمين على أنفسهم في صياغة دقيقة ومحددة لترجمة مصطلح (Kohäsion) بالألمانية و(Cohesion) بالإنجليزية كما يلي :

١ــ السبك : ١ــ د. سعد مصلوح : أ ــ نحو أجرومية للنص الشعري ص ١٥٤ .

٢ــ د. سعد مصلوح : ب ــ المذهب النحوي عند تمام حسان ص٢٣.

٢ــ د. محمد العبد : حبك النص ص١٢٧: ١٣٩ .

وقدم كل منهم أدلة وحيثيات وثيقة الصلة بعضها ببعض، فيما يتعلق باختيار هذا المصطلح العربي كمقابل للمصطلح الأجنبي. =

= ٣ ــ د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء ص١٠٣ .

٢ــ التضام : ١ــ د. تمام حسان: نحو الجملة ونحو النص ص١ .

٢ــ د. إلهام أبو غزالة : مدخل إلى علم اللغة النصي ص٩٣ .

٣ــ التماسك : ١ــ محمد خطابي: لسانيات النص ص ٥ .

٢ــ د. فالح بن شبيب :مدخل إلى علم اللغة النصي ص٩٣ .

٤ــ الربط النحوي : ١ــ د. سعيد بحيري:علم لغة النص ص١٤١ .

٢ــ د. سعيد بحيري: اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٦٩ .

٥ــ الالتحام : د. تمام حسان: النص والخطاب والإجراء ص ١٠٣ .

ونلاحظ التباين في اختيار المصطلح المعبر عن الغرض، وبالتالي فإننا نلاحظ أن مصطلح الالتحام مستعار من مؤلفات الأدب، وأعيد نص الجاحظ هنا ثانية لما له من أهمية في هذا السياق ، يقول: وأجود الشعر ما رأيته متلاحم الأجزاء سهل المخارج، فتعلم بذلك أنه قد أفرغ إفراغاً، وسبك سبكاً واحداً، فهو يجري على اللسان كما يجري على الدهان: البيان والتبين١/٦٧. ويحتوي نص الجاحظ على مصطلحين: "السبك" المختار عند د. مصلوح ود. العبد و"الالتحام" والمفضل لدى د.تمام، إلا أن مصلوحاً قد أبان ضمناً عن أن هذا الاختيار جاء ليتسق مع ما ورد في التراث العربي، وإن لم يشر إلى الجاحظ وابن منقذ صراحة ، غير أنه كشف عن معنى مادة "سبك" في اللسان لابن منظور، وأما د.تمام فاكتفى بالاختيار المناسب للتراث كذلك، إلا أنه لم يشر إلى سبب اختياره لا من قريب ولا من بعيد .

ولنا ملحظ في هذا الصدد فيما ذكره د. مصلوح بأن تبريره لاختيار مصطلح "السبك"؛ لأن له صلة وثيقة بالتراث، فإن ما ذكره الجاحظ، إنما يحتوي في الواقع على المصطلحين، وربما هذا ما حدا بالدكتور تمام أن يختار المصطلح الثاني، فإن رؤيته بأن له صلة بالتراث/الدراسات النقدية ، بناء على هذه الرؤية ، فيها نظر ؛ لأن المصطلح الثاني المستعمل عند د. تمام حسان وارد أيضاً عند الجاحظ، ومن ثم فإن حيثياته تحتاج إلى إعادة نظر .

أما ترجمة "الربط" الواردة عند د.بحيري فهو عنصر نحوي مستعمل بشكل أكثر في المؤلفات النحوية (ينظر:علم لغة النص هامش ص١٨٥)، ومن ثم فإن مجمل القول إنهما ينتميان إلى تياري الأدب والنقد من ناحية وإلى تيار النحاة من ناحية أخرى، وقد أشار د. مصلوح (المذهب النحوي عند تمام حسان ص ٢٣)، بأن التضام قد يكون هو المقصود بالسبك، غير أنه قد أبان عن مغايرة بين هذا المصطلح (السبك) وما هو عليه د. تمام حسان (التضام) (المذهب النحوي عند تمام حسان ص٢٣)، ومن ثم نكون أمام مصطلحين في مذهب تمام النحوي أو بتعبير آخر ، أن كليهما يؤدي الغرض ذاته لديه، وبالتالي فإن المصطلحين عنده بمعنى واحد.

١/٢/٥: قضايا لغوية عامة ودورها في سبك بنيات النص :

ثمـة عـدد من القضايا التي أشار إليها السيوطي، تندرج كلها ضمن معيار الارتباط، فقضايا مثل التقديم والتأخير من المواطن المتعلقة بظاهر النص عند الباحثين "نحو النص"[1].

غير أن ذلك لا ينفك عن المعيار المقابل(الحبك/التلاؤم)، وتؤدي هذه الرؤية إلى القول بأن التقديم والتأخير كالعملة الواحدة، أحد وجهيها السبك والآخر الحبك، لذلك فإنه مظهر ذو ضـفيرتين، ومن هنا يقع موقعاً وسطاً،لا ينتمي لأحدهما صراحة، وإنما ينتمي إلى السبك أصالة وإلى الحبك بالتبعية .... ويؤكد هذا الاستنتاج أن السيوطي يرد قضايا التقديم والتأخير،إما إلى مظاهر تتعلق بالحبك، كقضايا : البدء والختم والاعتناء بشأنه، وإما لقصد التفنن في الفصاحة، وإخـراج الكـلام عـلى عدة أساليب[2] . ويزيد هذه الرؤية توكيداً تعرضه لأسباب التقديم وأسراره، وهي قضايا تتعلق بالتماسك الدلالي أكثر منها بالجانب السطحي[3] .

عـلى أن قضايا "العموم والخصوص" التي أشار إليها السيوطي منها ما يتعلق بالسبك وآخر بالحبك، ونشير بإيجاز إلى القضايا المتعلقة بالارتباط(السبك) كالاستفهام والاسم الموصول والجمع المضاف والمعرف بـ(أل) وبسياق الشرط والامتنان [4] . وثمة وجه تحدث فيه السيوطي عن إعجاز القرآن الكريم، وقد قسّمه إلى ثلاثة أقسام : قسم لا يصلح إلا للنبي(صلى الله عليه وسلم)، وقسم لا يصلح إلا لغيره، وقسم يصلح لهما. قال السيوطي، قال بعض الأقدمين: أنزل القرآن على ثلاثين نحواً، كل نحو منه غير صاحبه، فمن عرف وجوهاً، ثم تكلم في الدين أصاب ووفـق، ومـن لم يعرفها وتكلم في الدين، كان الخطأ إليه أقرب، وهي المكي والمدني، والناسخ والمنسـوخ، والمحكـم والمتشابه، والتقديم والتأخير، والمقطوع والموصول، والإضمار، والخاص

(1) R. A. de Beaugrande/W.U.Dressler :Einführung in die Textlinguistik, S. 50.
-H. Vater : Einführung in die Textlinguistik, S. 32.

(2) السيوطي: المعترك ١/١٧١.

(3) السابق :١/١٧٤ : ١٨٠.

(4) ينظر السابق :١/٢٠٧ : ٢٠٨.

والعـام، والأمـر والـنهي، والوعد والوعيد والحدود والأحكام، والخبر والاستفهام،والأبهة والحروف المصروفة، والأعذار والإنذار، والحجة والاحتجاج، والمواعظ والأمثال والقسم[1].

ولا شـك أن هذا العرض الموجز ينبئ عن ملاحظتين على قدر من الأهمية، أن وجوه المخاطـبات، إنما تقع الموقعين، وبالأخرى فيما يتعلق بالجوانب الدلالية، ويؤكد هذه الرؤية ما يلي:

١ــ أن قضـايا مـثل التقديم والتأخير، والمتشابه، والمقطوع والموصول، والسبب والإضمار، والخـبر والاستفهام، والأعذار والإنذار والحجة والاحتجاج،والمواعظ والأمثال، والقسم، إنما يتعلق بظاهر النص وقضاياه المتعلقة بالارتباط بنية اللغة .

٢ــ أن ثنايا المعالجة، إنما تكشف عن انسباك هذه الظواهر اللغوية، بجوانب دلالية، مما يكشف عـن تلاحـم بنـية السطح مع بنية العمق، ويكوّن ــ من خلالها ــ النص بناء محكماً متحد الأجـزاء. فالتماسك الدلالي للنص مما يشير إليه مصطلح "الأبهة" الموضوع للتفخيم والعظمة والأبهـة[2]، وخطـاب الذم وخطاب الكرامة والإهانة والتهكم وخطاب الجمع بلفظ الواحد والعكـس وخطاب الواحد بلفظ الاثنين، وخطاب الاثنين بلفظ الواحد وخطاب الاثنين بلفظ الجمع وخطاب الجمع بلفظ الاثنين، وخطاب الجمع بعد الواحد، وخطاب الاثنين بعد الواحد، وخطاب العين وخطاب الغير والمراد به العين، وخطاب الشخص.ثم العدول إلى غيره، وخطاب التكوين/الالتفات ، وهلم جرا[3] .

ثم ينـتقل السيوطي إلى وجوه المخاطبات،غير أنه يريد منها الجانب الدلالي كخطاب التنصيح، والتحبب،والمعدول[4] . والوجه السادس والعشرون من وجوه الإعجاز، إيجازه في آية وإطنابه في أخرى .

(1) ينظر تفصيل ذلك في المعترك ١/٢٢٩، ٢٣٩، وقد حاولت الاختصار تجنباً للإطالة المملة .

(2) ينظر تفصيلاً في السيوطي : المعترك ١/٢٣٠.

(3) السيوطي : المعترك من ١/٢٣٢ : ١/٢٣٦.

(4) السابق :١/٢٣٧.

وواضح أن قضايا الإيجاز، إنما هي قضايا لغوية تتعلق بظاهر النص، ولا أدل على ذلك أن السيوطي ضمن رأياً لقدامة بن جعفر أن نوعاً من أنواع البديع يسمى "الإشارة"، وقد فسرها قدامة، حسبما نقله السيوطي بأنه: الإتيان بكلام قليل ذي معان جمة، وهذا هو إيجاز القصر بعينه، وفرّق بعضهم بينهما[1].

على أن ما يهمنا أن الإيجاز قريب من الإشارة/إيجاز القصر، وأن التسوية بين ما ينتمي إلى مباحث البديع، إنما تقع ضمن إطار سبك النص وحبكه، وبالتالي فإن الإيجاز يقع مساوياً/موازياً ضمن ما يتعلق بسبك النص .

وينبغي أن نشير هنا إلى أن وقوع مثل هذه القضايا ضمن إطار انسباك النص، فإنها تقع كذلك موقعاً آخر ضمن انحباك النص وترابط أجزائه دلالياً ونستبين من إشارة السيوطي، حيث ذكر أسباباً منها: مجرد الاختصار والاحتراز عن العبث لظهوره والبنية على الزمان يتقاصر عن الإتيان بالمحذوف، والتفخيم والإعظام لما فيه من الإيهام، والتخفيف لكثرة دورانه في الكلام، وكونه لا يصلح إلا له، صيانته عن ذكره تشريفاً، وصيانة اللسان عنه تحقيراً له، وقصد العموم، ومنها رعاية الفاصلة [2].

وهي قضايا منطقية تتعلق بالبنية العميقة في الأساس الأول، تتضافر مع مظاهر السبك لتلاحم وانسجام بنية النص القرآني، وتفصيلاً لجوانب السبك، يتناول السيوطي جوانب حذف المفعول اختصاراً واقتصاراً[3].

ويعتمد السيوطي هنا آراء النحاة، خاصة ابن هشام، وكأنه ينقل هذا الباب عنه برمته، وينتقل بعد ذلك للحديث عن أنواع حذفه[4] وفي كل ذلك يعرض الحذف على أبواب النحو العربي، مضمناً العلاقة بين ما يتعلق ببنية النص مع ظاهره ؛ محاولة لإقامة نص متواز/متساو.

(1) السابق: ١/٣٠٤.
(2) السيوطي: المعترك : ١/٣٠٩.
(3) السيوطي :المعترك ١/٣٠٩ وما بعدها.
(4) السيوطي: ١/٣١٩ : ٣٣٢.

وفي مقابل الإيجاز، تناول الإطناب؛ لتكثير الجمل، ولم يشر فيه إلى كلام كثير، بيد أنه ركز على النوع الثاني، وقسمه إلى: دخول حرف، فأكثر من حروف التأكيد، دخول الأحرف الزائدة ، والتأكيد الصناعي وقسّمه إلى: التكرير، والصفة، والبدل، وعطف البيان، وعطف الخاص على العام، وعطف أحد المترادفين على الآخر،والإيضاح بعد الإبهام، والتفسير،ووضع الظاهر موضع المضمر،والإيغال، والتذييل، والطرد والعكس، والتكميل، والتتميم، والاستقصاء، والاعتراض، والتعليل[1] .

وهو في كل ذلك؛ إنما يحاول أن يربط بنية ظاهر النص المتمثلة في هذه القضايا، ببنية العمق، كاشفاً عن أوجه التفاعل بين التابعات الجملية(بنية النص) وعالمه في نص لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

ومن هنا نرى الفصل بين مظاهر السبك والحبك، إنما هو إجراء منهجي في الأساس، فإذا أمكننا الفصل بينهما شكلاً، فإنهما على المستوى التطبيقي، إنما تُعالج مثل هذه القضايا مجتمعة؛ لأن مثل هذا التلاحم المبين على المستوى السطحي(بنية اللغة) الذي يمثل تجسيداً حياً وواقعياً لتلك التي نراها كائنة خلف البنية الظاهرة في النص إلى ما هو أعمق (عالم النص) ربط مثل هذه العناصر اللغوية المتجسدة في البنية اللغوية،إنما هي الناتجة الفعلية لبنية أخرى، تتمثل في البنية الدلالية، وإن أية محاولة للفصل بينهما، إنما هو على المستوى التنظيري؛ ذلك أن الدلالة المستفادة، إنما هي من الروابط والتوكيدات والتفسير والتوضيح والإجمال والتقديم في مواضع وهلم جرا، وإن أية محاولة فعلية للفصل بينهما على المستوى التطبيقي .... إنما هي محاولة تقسيطية في الأساس .

وإذا كان قد ربط بين الإيجاز الذي قرنه بما سماه قدامة "الإشارة"[2] وأدلينا بدلونا ثمة، أن الإيجاز إنما يقع موقعين، أعني ارتباطه بشكل أولي بالجانب اللغوي المتمثل في تلك القضايا التي جاءت الإشارة إليها، بما هو ظاهر على صفحة القرطاس، فإن هذه الرؤية لا تنفي ارتباطه بالتماسك الدلالي ، وبناء عليها دعمت موقفنا، بأن مظاهر الإيجاز والإطناب، إنما تنتمي إلى

(1) السابق: ١/٣٣٤ : ٣٧٣.
(2) السيوطي:المعترك ١/٣٠٤.

سبك النص وأجزائه أصالة، وإلى جانبه المعنوي بالتبعية، وبناء على المقاربة التي أوردها قدامة في "التسوية" بين الإيجاز والإشارة، فإن الرأي عندي أن الإيجاز والإطناب كليهما واقع لا ريب ضمن إطارالسبك والحبك .

٢/٢/٥: دور البديع في سبك النص من منظورالباحثين في الإعجاز:

ثمة عدد من مظاهر/عناصر البديع المهمة التي أشار إليها السيوطي ناقلاً إياها عن البلاغيين في سبك البنية اللغوية للنص القرآني،غير أن محاولة أصحاب البحث في الإعجاز تفرق عن معالجة البلاغيين في أن تحليل البلاغيين يتضمن نصوصاً لغوية من النص القرآني، ومن الشعر، وبعض الخطب النثرية، الأمر الذي يعكس مفارقة بين عمل الاثنين .

وإذا كان السيوطي (ممثلاً الباحثين في الإعجاز) قد أشار إلى مباحث بديعية، فإننا يمكن تقسيمها إلى عدد من الجوانب، جامعين العناصر المتقاربة، بناء على السمات المشتركة ، في صعيد واحد، وكاشفين في الوقت ذاته عن دورها في سبك النص المتمثل في التتابعات اللغوية للنص.

وقبل أن أبدأ في تفاصيل العناصر البديعية من وجهة النظر النصية، حيث يبدو موقع السيوطي (الباحثون في الإعجاز) مما هو محل النظر هنا، إلا أنني أرى أن قضاياه على الرغم من تلك الرؤية المقترحة سلفاً (ينظر :٣/٣/٣ من البحث) فإن قضاياه أراها متداخلة إلى الحد الذي يصعب معها الفصل في كثير من الأحيان .

وتدل المصاحبات المعجمية على علاقة من نوع ما، كعلاقة التضاد (التباين) التي تحدثها المطابقة، وإن فرّق ابن أبي الإصبع بين المقابلة والطباق، بأن الطباق لا يكون إلا في ضدين فقط ، والمقابلة لا تكون إلا بما وارد على الضدين . الثاني : أن الطباق لا يكون إلا بأضداده، والمقابلة الأضداد ويقرها[1] . كأن تبدأ هذه بالشمس وتلك بالضحى، أو الترتيب على أساس الأصل، أو التقابل بين المؤمنين والكافرين في عدد من المواضع. وهكذا تعكس هذه العناصر مظهراً مهماً من مظاهر المصاحبات المعجمية .

(1) السيوطي : المعترك ٤١٦/١.

كما ألاحظ أن السيوطي في هذا الموضع موجز لآراء البلاغيين فيما يتعلق بالمقابلة، وما ينتج عنها، فإذا كان البلاغيون في مجمل آرائهم يرون أن المطابقة ثمة، منها مطابقة : إيجاب أو سلب، ومنهم من يدخل التدبيج في إطار المطابقة، وقد أطلق ابن أبي الإصبع "الترديد" مدخلاً إياه ضمن المقابلة، وبالتالي فإن كلاً من : التدبيج والترديد، طباق الإيجاب أو السلب، إنما يشتركان جميعاً في صفة إعادة اللفظ داخل إطار الجملة، ليس أكثر من ذلك .

وإذا كان التكرار اللفظي، بما يمثل من أنواع مختلفة، فإننا واجدون عناصر أخرى تدخل في هذا الإطار، وتندرج ضمن أنواعه كالترديد[1]، وواضح أن رؤيته قائمة على أنه لا يتجاوز أسوار حدود الجملة الواحدة، وإن لم يأت ذلك صراحة . وإنما من خلال الآية الكريمة(غافر/٦٧)التي استشهد بها .

كما أن (تشابه الأطراف) من جهة اللفظ يعمل على سبك النص لغوياً من حيث البنية اللغوية بين جوانب مختلفة من النص، كما أشرت إلى ذلك في قضايا المناسبة في معيار الحبك. وهذا الربط لـ"تشابه الأطراف" يتجاوز مستوى الجملة إلى آفاق أوسع وأرحب مما هو عليه في "الترديد" و"الاشتقاق"، اللذين لا يتجاوزان مستوى الآية القرآنية . وبالتالي فإن العنصر الجامع لهذه المظاهر الربط، إلا أنه مع "رد العجز على الصدر"، وتشابه الأطراف، يكون أوسع وأحكم ، مما هو عليه في "الترديد" و "التعطف"، اللذين لا يتعدان حدود الجملة/الآية الواحدة .

وتعد عناصر:المشاكلة والمطابقة والترصيع والمقابلة عناصر تتجاوز الآية الواحدة، يقول السيوطي المشاكلة : ذكر الشيء بلفظ غيره لوقوعه في صحبته تحقيقاً أو تقديراً،فالأول كقوله تعالى(تعلم ما في نفسي ولا أعلم ما في نفسك) المائدة/١١٦،و(جزاء سيئة سيئة مثلها) الشورى/٤٠، ومثال التقديري قوله(صبغة الله ومن أحسن من الله صبغة) البقرة/١٣٨.

في حين تأتي المطابقة، وتسمى الطباق، وهو الجمع بين المتضادين[2]. وما يهمنا هنا هي الأمثلة التي أوردها السيوطي، كقوله تعالى(فليضحكوا قليلاً وليبكوا كثيراً) التوبة/٨٢، وقوله تعالى(وأنه هو أضحك وأبكى وأنه هو أمات وأحيا) النجم/٤٣.وقوله تعالى(تعلم ما في نفسي

(1) السابق : ٣٩٧/١ : ٣٩٨.

(2) السيوطي : المعترك ٤١٤/١.

ولا أعـــلم ما في نفسك) المائدة/١١٦ . ويذكر أن الترصيع : هو اقتران الشئ بما يجتمع معه في قـــدر مشترك، كقوله تعالى(أن لك ألا تجوع فيها ولا تعرى . وإنك لا تظمأ فيها ولا تضحي) طه/١١٨:١١٩.

ونلاحظ من خلال عرض النصوص السابقة ما يلي :

١ــ أن نماذج السيوطي حول عناصر : المقابلة والمطابقة والترصيع من الآيات القرآنية ، تشير إلى أنها لا تتجاوز الآية القرآنية الواحدة، من خلال إعادة العنصر المعجمي ذاته داخل الآية، في حين لم تتجاوز الآيات القرآنية التي استشهد بها السيوطي للمشاكلة حدود الآية الواحدة .

٢ــ يـــبدو ــ وأحسبه صواباً ــ أن التعامل مع عنصر الترصيع أو المقابلة أو المطابقة كعناصر بديعـــية لا تـــتعدى حدود الآيتين على أحسن الفروض، كما مر، بينما رأينا التعامل مع هذه العناصـــر كمباحث دلالية من خلال تحليل للتفصيل بعد الإجمال، من خلال مناقشة المطابقة أو تشابه الأطراف، بين بداية السور وخاتمتها، وكذلك المقابلة وهلم جرا.غير أن معالجة السيوطي من خلال اعتبارها مظاهر بديعية، يمكن أن تندرج ضمن مظاهر السبك المعجمي اللفظي .

كمـــا أن تلك العناصر الواردة سلفاً، فيما يتعلق بعنصر التفصيل بعد الإجمال، يمكن الإفـــادة منها في جوانب أخرى تعمل على سبك أجزاء النص الظاهرة (التتابعات الجملية) من مـــنظور التقســـيم واللف والنشر، كما يمكن أن نضيف إليها عناصر أخرى، ليست واردة في العناصر السابقة، وذلك مثل المطابقة والمشاكلة والمقابلة(التضاد) بإعادة العناصر المعجمية ذاتها، وفي ذلك ربط بين بنيات النص(بنية اللغة)، أقصد بنية التتابعات الجملية الضيقة التي لا تتجاوز مســـتوى الآيـــة، وإن ظلت على مستوى الآية القرآنية الواحدة، وإن تعدتها في بعض العناصر البديعـــية إلى الآيـــتين، غير أنها تظل رغم ذلك تعضد/تقوي هذه البنيات الضيقة على مستوى النص.

وهكـــذا تـــتكاتف عناصر التفصيل بعد الإجمال التي تعمل على مستوى أوسع داخل إطار النص الواحد، مع تلك التي تعمل على مستوى أضيق إلى توثيق العرى بين وحداته(أجزائه) المتـــباعدة والمتقاربة في آن واحد، مما يجعل منه نصاً محكماً لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من

خلفه، على أن هذه العناصر التي تعمل من خلال مستوى أضيق : المقابلة ، المشاكلة ، المطابقة ، الترصيع، يجمعها رابط واحد دلالياً كالتالي :

١ــ أن – كمـــا أشرت – قـــسماً منها لا يتعدى حدود الآية الواحدة، والقسم الآخر يتعداها، ويصل إلى الجملتين/الآيتين .

٢ــ أن هذه العناصر، إنما تعمل من خلال :

أ ــ إعادة العنصر المعجمي نفســه كالمشاكلة .

ب ــ ومـــنها ما يعمل من خلال التضاد، كأن يأتيَ العنصر المعجمي بالمقابلة، كما في المقابلـــة والمطابقـــة والترصـــيع . ويؤكد تلك العلاقة القائمة بين هذه العناصر البديعية تلك الأمثلة/الآيات القرآنية التي مثّل(استشهد) لها السيوطي، كقوله تعالى(فليضحكوا قليلاً وليبكوا كـــثيراً)الـــتوبة/٨٢، وقوله تعالى (وتحسبهم أيقاظاً وهم رقود) الكهف/١٨، من خلال نماذج المقابلة والمطابقة على السواء .

كمـــا أنـــنا ــ بناء على تصور السيوطي ــ يمكن أن ندرج عدداً من تلك العناصر الواردة في التناسب بوجه عام من منظور التتابعات اللغوية، بناء على الترددات الصوتية فيها، فـــإذا كـــان الجمع والتقسيم، هو جمع متعدد تحت حكم واحد [1]. فإن هذا التقسيم يقوم في الأســـاس على تقسيمات صوتية تربط بين أجزاء النص الواحد/الآية الواحدة، فيما يقدم سبكاً صوتياً. كما أن جمع المؤتلف والمختلف، وهو يريد التسوية بين ممدوحين، فيأتيَ بمعان مؤتلفة في مدحها، وإن كان بعد ذلك يروم ترجيح أحدهما على الآخر[2] . وواضح أن التسوية القائمة بين عناصـــر الممدوحين، إنما هي تسوية في التتابعات الجملية(اللغوية) والمتمثلة على سطح القرطاس الـــتي بهـــا يسبك النص . والتفويف الذي يقوم على معان شتى، كل منه في جملة منفصلة عن أختها في تساو في الزنة، ويكون في الجمل المتوسطة والطويلة والقصيرة [3] .

---

(1) السيوطي : المعترك ١/٤٠٤.

(2) السابق : الموضع ذاته.

(3)السابق : ١/٣٩٤.

ويمكن أن نحسب أن رؤية السيوطي قائمة على أن هذه العناصر تعمل على التماسك والحباك بنى النص الصغرى، فيما لا يتعدى الآية أو الآيتين، وهي رؤية مستخلصة (منقولة) من تلك النماذج/الآيات القرآنية التي قدم تصوراته من خلالها، ولا يقل التقسيم الذي يدل معناه على تلك الإمكانات الصوتية التي يتيحها بشكل ضمني ودوره في سبك بنية الآية القرآنية الواحدة، ولا تتعدى ذلك، ومن ثم تبقى هذه العناصر : المقابلة، المطابقة، الترصيع، التقسيم، التفويف، التصدير، رد العجز على الصدر من خلال المقابلة والمطابقة والترصيع التي أشرنا إليها في سياق التفصيل بعد الإجمال في قضايا المناسبة ، والمؤتلف والمختلف والعكس ، وكلها عناصر بديعية مهمة في سبك نحوي على المستوى الصوتيّ للبنية اللغوية للنص لا مناص . وبالتالي لا يمكن إدراج عنصر : الترديد ضمن هذا الإطار، وإنما يندرج مع تلك القضايا الدلالية الصرفة: كالاطراد، والانسجام وحسن النسق، وهلم جرا. وهي عناصر أساسية في المناسبة ويمكن أن يكون قائماً ــ بناء على رؤية السيوطي ــ ليس على إعادة عناصر معجمية بقدر ما يعتمد على إعادة أدوات وحروف بعينها في العطف، وهي عناصر ــ أيضاً ــ لا تقل أهمية في الربط اللغوي (النحوي) للتتابعات اللغوية الماثلة في التتابعات الجملية.هذه الخصوصية هي التي يمكن أن يتميز بها هذا الترديد مفارقاً بذلك العناصر البديعية الأخرى .

ومن خلال ما سبق يمكن إيجاز ذلك في المعطيات التالية :

١ــ أن ثمة عناصر بديعية، تقوم على المصاحبات اللغوية،كاللف والنشر، والتصدير، تشابه الأطراف، ورد العجز على الصدر، والجمع والتفريق، وجمع المؤتلف والمختلف .

٢ــ أن هناك سبكاً معجمياً من خلال عناصر : المطابقة والمقابلة والترصيع والمشاكلة والتصدير والتوشيح ... الخ، وكلها عناصر بديعية، جاءت الإشارة إليها في موضع سابق (المناسبة) .

٣ــ أن ثمة سبكاً نحوياً على المستوى الصوتيّ : كالمقابلة والترديد والتقسيم والتصدير ورد العجز على الصدر والتفويف والترصيع .

٤ــ إن النظر إلى مباحث البديع، إنما يقع من خلال منظورين في الدراسات النصية :

أ ــ أن ينظر إليها من منظور دلالي، وما يمكن أن تؤديه هذه الألفاظ المتشابهة والمتضادة، وبالتالي تؤدي إلى الخروج منها بجانب دلالي أصيل .

ب ــ أن ينظر إليها من خلال التتابعات اللغوية الظاهرة على السطح(بنية النص)، وبالتالي تؤدي إلى أننا نأخذ بظاهر النص وعلاقاتها ببعضها في سبك/تفاعل وحداته . وهكذا تقع جُل مباحث البديع، وليس الكل ضمن قضايا السبك من ناحية، وقضايا الحبك من ناحية أخرى، وهكذا نصل من خلال هذا التصور إلى توكيد تلك النتيجة الأولية، أن قضايا الربط/الارتباط والتلاؤم/الائتلاف(بتعبير الباحثين في الإعجاز) المتعلقة بالنص تعلقاً/ارتباطاً مباشراً، يأتي الفصل بينها كإجراء منهجي، ليس أكثر، وإن أية محاولة للمساس بهذا التصور، إنما هو محاولة إلغاء أحد وجهي العملة الواحدة، مما يؤدي إلى طمس هويتها (العملة) ومن ثم إلى إهدار قيمتها بشكل واضح .

هــ أن جُلّ عناصر البديع في التراث العربي، يمكن أن توظف من منظور اللسانيات النصية، وليس كلها، مما يتعلق بما له صلة بربط البنيات اللغوية الظاهرة والباطنة على السواء . أما عناصر مثل: الإبداع، الموازنة، الفرائد، النزاهة، وهلم جرا، فهي قضايا تتعلق بأوجه الإعجاز الخارجة ــ فيما أرى ــ عن حدود اللسانيات النصية بشكل أو بآخر.

٣/٢/٥: تقويم لساني للموائز بين "نحو الجملة" و"نحو النص" من منظور الباحثين في الإعجاز القرآني :

على الرغم من أن قضايا المطابقة ظاهرة معلنة، إلا أن مسائل الخلاف ليست بخافية، وتمثل تمايزاً بين عمل الباحثين في الإعجاز القرآني في "نحو الجملة" وعملهم في "نحو النص" نوجزها في أهم الركائز التالية :

١ــ التمايز بينهم في الإجراءات المنهجية المتبعة للكشف عن الأسرار في "الإعجاز القرآني"، أدى بهم إلى نتائج متقاربة أحياناً، ومتباعدة في أحايين أخرى .

٢ــ هنالك تمايز بين أصحاب اتجاه "نحو الجملة" و"نحو النص" من الباحثين في الإعجاز القرآني، فمن حيث أصحاب "نحو الجملة" جاءت معالجتهم متناثرة في مواضع عدة لقضايا بلاغية

كالتشبيه والكناية والإيجاز والتضمين ... الخ. أما أصحاب "نحو النص" فإن الاعتماد على تلك الجوانب البلاغية بالمفهوم لدى المتأخرين أصبح أكثر اتساعاً وتوظيفاً لبيان أوجه الإعجاز .

٣ـ عدم وضوح المفاهيم والتصورات بشكل واضح عند الباحثين في الإعجاز من أصحاب "نحو الجملة" بحيث لم تأخذ شكل المصطلح، كما هو واضح عند الخطابي والرماني، في حين بدأت تأخذ شكلاً محدداً عند أصحاب الاتجاه في "نحو النص" والقاضي عبد الجبار والباقلاني من ناحية، والجرجاني من ناحية أخرى .

٤ـ تعد الأدوات المستخدمة سواء اللغوية منها أم البلاغية محدودة تلك التي يستخدمها الباحثون المعنيون بـ"نحو الجملة" مقارنة بتلك التي يحاول من خلالها المعنيون بـ "نحو النص" الارتكاز عليها .

٥ـ لم تكن قضايا البديع ـ بالمفهوم لدى المتأخرين ـ تشغل حيزاً مهماً في الكشف عن أوجه الإعجاز القرآني، وليس لها أدنى دور عند أصحاب "نحو الجملة" في حين شغلت مجريات البديع وفروعه أهمية كبيرة، بداية بالجرجاني، وتوسع الأمر شيئاً فشيئاً، حتى بلغ قمته على يد السيوطي في "المعترك" .

٦ـ جاءت معالجة أصحاب "نحو الجملة" في البحث في الإعجاز فيما تشبه الملاحظات العامة،على الرغم من عدم إهمالها جوانب بلاغية ولغوية بحتة، حيث قدّم كل منهم معالجة للبحث في الإعجاز من وجهته هو، ومن هنا لم يكن توسع الأمر أكثر، أما الباحثون منهم في الإعجاز والمعنيون منهم بـ"نحو النص" . فجاءت أبحاثهم في الإعجاز، كمحاولة كاشفة عن جوانب عدة للكشف عن إعجازه .

٧ـ التباين بين أصحاب الاتجاهين، في أن أصحاب الاتجاه في"نحو الجملة" على الرغم من اتفاقهم العام ، إلا أن ثنايا المعالجة تكشف الخلاف الجوهري والمعول الذي عليه في رد الإعجاز القرآني ، كما يمثله الخطابي والرماني، بيد أنه كان الأمر كذلك عند أصحاب الاتجاه في"نحو النص" منهم، إلا أنه بداية من الباقلاني، وبدأت ملامحه الجوهرية تتمخض بشكل واضح، واكتملت أركانه عند الإمام عبد القاهر في نظريته حول "النظم" .

٨ـ لم نستطع أن نحدد التصورات والمفاهيم حول "النظم" عند أصحاب "نحو الجملة"، إلا بشق الأنفس ورشح الجبين وتفكيك الشفرة اللغوية من خلال استقراء نصوصهم، بيد أن ذلك في"نحو النص" بدأ يأخذ معاني محددة، بداية من الباقلاني، وإن جاء بشكل ضمني، وتتحدد ملامحها بشكل نهائي عند عبد القاهر في نظرية "النظم" .

٩ـ تمثل البلاغة/البديع عند الباحثين في"نحو الجملة" قضايا عامة وبدون ترتيب أو إجراء منهجي محدود، وفي نطاق ضيق، أما عند المهتمين بالإعجاز في إطار "نحو النص" فإن البلاغة اكتسبت اتساعاً وتحديداً لمفاهيمها وتصوراتها، ويمثّل الجانب الأول دراسات أصحاب الرسائل، ويأتي الجانب الثاني متمثلاً فيما جاء عند الباقلاني وابن زملكان، وأتى ثماره الجنية ـ فيما أرى ـ عند السيوطي في "المعترك" .

١٠ـ إذا كان المختصون بـ"نحو النص" في الدرس اللساني المعاصر، يرجعون قضاياه واهتماماته إلى عدد من القضايا كالدراسة الصوتية، ودراسة جوانب المعجم،والتركيب والسياقات المختلفة، فإن معالجة السيوطي ممثلة هذه الجوانب لا تقل أهمية، وإن تركزت بشكل واضح عنده، ولم نر لها ذكراً عند أصحاب الرسائل .

٤/٢/٥ :ما يشترك فيه "نحو الجملة" و"نحو النص"عند الباحثين في الإعجاز القرآني:

على الرغم من التباين في قضايا خلافية في كيفية التعامل مع البحث في الإعجاز، إلا أن الاتجاهات الفكرية لديهم قد أدت بشكل مباشر أو غير مباشر إلى الاختلاف تارة والمطابقة في أحيان أخرى، غير أن أوجه المطابقة تظل عالقة بين عمل القوم، نوجزها في عدد من النقاط :

١ـ أن الباحثين في الإعجاز جمعتهم قضية الكشف عن أسراره اللغوية والبلاغية، أو غير ذلك من فروع العلوم المختلفة، وهذه رؤية نقررها في هذا الملحظ الأولي .

٢ـ أن كلاً منهم وجه اهتمامه إلى الجانب البلاغي واللغوي، يستخلص منه تبعاً لمجريات المقام الأسرار التي يمكن أن تكشف جوانب ثرية وناصعة للنص القرآني . والمعروف أن المقامات شغلت حيزاً مرموقاً، وليس هامشياً في الحيز البلاغي، وهو ما ظهرت أولياته في الكتاب لسيبويه، وأتى ثماره الجنية في جهد الإمام عبد القاهر ومن بعده الزمخشري والسكاكي .

٣ـ ان كـلاً مـنهم ركز بشكل أو بآخر على الوقوف على أهداف وغايات التراكيب، مع الأخذ في الاعتبار السياقات المختلفة، وبالتالي فإن التراكيب ناتجة للمعاني المختلفة، وإن تشابهت في الإطار العام، تبعاً لاختلاف السياقات .

٤ـ محاولتهم الدائبة في عدم الفصل بين قضايا التابعات اللغوية وقضايا التماسك الدلالي، وإن بدأت في المرحلة الأولى ممثلة في قضية "اللفظ والمعنى"، غير أنها ما فتئت أن غيّرت وجهتها تجاه قضية "النظم" بشكل مبكر عند الخطابي .

٥ـ ان أصحاب "نحو الجملة"و"نحو النص" في الإعجاز القرآني، لم يستطع أحد منهم أن يعالج مـثل هذه القضايا مجتمعة،وإنما تشابكت الفافها، وتقطعت أوصال المسألة الواحدة وانتثرت في مواضع عدة، على الرغم من الفصل الذي حدث بعد الإمام عبد القاهر لعلوم البلاغة .

٣/٥: المعيار الثالث: الاقتناص/المتشابه (**InterTextualität**) :

يعـد الاقتناص(التناص) من الوجوه المهمة ضمن معايير النصية كما حدده كل من بوجراند درسـلر[1]، وإن كـان هـذا المعـيار يـأتي في مرتبة تالية لمعاري النصية الأولين، السبك : **Kohäsion** والحبك : **Kohärenz**، وعلى الرغم من هذه المقولات المهمة، إلا أن هذا المعـيار مهم أيضاً لتحقق النصية، أو ليصبح الكلام (مقروءاً أو مكتوباً) نصاً متكاملاً، وليس ضرورياً التحقق الفعلي لكل هذه المعايير، وقد حدده المعنيون بـ"نحو النص" : بأنه علاقة تقوم بين أجزاء النص بعضها وبعض، كما تقوم بين النص والنص، كعلاقة السؤال بالجواب وعلاقة التلخـيص بالـنص الملخص وعلاقة المسودة بالتبييض وعلاقة المتن بالشرح وعلاقة الغامض بما يوضـحه، وعلاقة المحتمل بما يحدد معناه . وهذه العلاقة الأخيرة هي المقصودة بعبارة : القرآن يفسّر بعضه بعضاً" [2] .

(1) ينظر : **Sehe : R. Beaugrande /W.Dressler :Einführung in die Textlinguistik S. 188 : 215 .**

(2) د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص٢.

وتجـدر الإشـارة أن السيوطي(الباحثين) في الإعجاز لم يحدد معنى دقيقاً ومحدداً لهذا المعـيار، غير أننا يمكن أن نجد شيئاً من هذا القبيل لدى السيوطي في "المعترك" عبّر عنه، وإن لم يذكر ذلك صراحة، فنجده يذكر : المتشابه، الاقتناص، متشبهات آياته .

وفي توضـيح هذه الرؤية ما يعكس تصوره لهذا المفهوم/المعيار بأن القصة الواحدة ترد في سـور شتى والفواصل مختلفة، بأن تأتي في موضع مقدماً وفي آخر مؤخراً(قارن بين سورتي البقرة/٥٨ والأعـراف/١٦١) وفي البقرة/١٧٣(وما أهل به لغير الله)، سائر القرآن (وما أهل لغير الله به)المائدة/٣ . الأنعام/١٤٥. النحل/١٥٥ [1] . كأن يأتي بزيادة في موضع (قارن ما ورد في الـبقرة/٦، يـس/١٠) و (الـبقرة/١٩٣ بالأنفال /٣٩)، ومثل هذا الصنف كثير، أورد له السيوطي نماذج متنوعة من تعريف وتنكير وإضافة وتقديم وتأخير وحذف وذكر[2] . ولعل هذا التصـور يـتفق مـع مـا ذهـب إلـيه د. تمـام في أحد جوانبه بشكل عام . وهكذا نجد الاقتـناص(التناص) بين النصوص هو ما عناه د. تمام، وقد مثّل له السيوطي في عدد من المظاهر المعبرة عنه بـ :

١ـ الإجمال في موضع والتفصيل في موضع(سورة) آخر.

٢ـ الـزيادة في موضـع وفي موضـع (سـورة) أو بدونـه، وأرى أن هذا التصور لمفهوم المتشـابه/الاقتناص،هو الذي عبّر عنه د. تمام . ولعل ضرب السيوطي لما يمكن أن يكون تناصاً بنوعية متباينة في المسمى، غير أنهما يلتقيان في الاصطلاح .

عـلى أن تعريفاته للمصطلحين يشيران إلى توّحد المفهوم، فالاقتناص : هو أن يكون كـلام في سورة مقتصاً من كلام في سورة أخرى أو تلك السورة، كما في قوله تعالى(وآتيناه أجره في الدنيا وإنه في الآخرة من الصالحين) العنكبوت/٢٧، والآخرة دار ثواب لا عمل فيها، فهـذا مقتنص من قوله تعالى (ومن يأته مؤمناً فقد عمل الصالحات فأولئك لهم الدرجات العلا) طه/٧٥ وما بعدها[3] .

(1) السيوطي : المعترك ١/٨٥/٨٦.

(2) السابق :١/٨٥: ٩٤.

(3) السيوطي :المعترك ١/٣٩١.

إذن يمكـن القول إن المتشابه، يعمل على إيجاد علاقة تجمع ضمنياً المشابهة/الاقتناص داخل نص أكبر يجمعها من خلال مقارنة النصوص أو التراكيب التي أخذ السيوطي على عاتقه تبيانها في النص القرآني، ونتبين أن هذا المعيار أصيل في النص القرآني، إذ يعمل على ترابط النص القــرآني من خلال تلك المقاربات والمقارنات الذي تجعل من تلك النصوص علاقة من نوع ما، ومن ناحية أخرى يظهر أن هذا المعيار كان له دور في كيفية بيان الإعجاز القرآني. وربما — في ظني — لهذا المفهوم علاقة بذلك المصطلح: الإجمال بعد التفصيل دلالياً.

ولا أدل على ذلك أن قوماً قدموا مؤلفات فيما نحن حياله، ويعد كتاب الكرماني التكرار في القــرآن الكـريم، ونكـت الأعراب في غريب الإعراب، للزمخشري، وغيرهما كثير مما هو موضــوع النظر هنا، كانت مثل هذه الدراسات كاشفة عن تلك المتشابهات الواردة في القرآن مفسرين ومبينين جوانب المطابقة والمفارقة بين هذه التراكيب وأثر السياقات المقامية واللغوية، وبالتالي يأتي هذا المعيار كمقابل موضوعي لمعيار التناص[1].

مــن خــلال المقاربــة المقامــية واللغوية وربط هذه العناصر بعضها بعضاً، وكذلك الإحالات النصية التي جعلها هارفج (Harweg) الأساس الأول في تكوين النص،وهو الربط حيث عرفه : بأنه سلسلة من التابعات اللغوية المتماسكة من خلال الضمائر[2].

---

(1) ينظر: Sehe: R. de Beaugrande /W. Dressler :Einführung in die Textlinguistik S.1:14.

وينظر د. تمام حسان : نحو الجملة ونحو النص ص٢.

(2) R. Harweg :Pronomina und Text konstitution, S. 48.

وينظر: K. Brinker :Linguistischetextanalyse Eine Einführung, S. 10 وما بعدها

R.de Beaugrande :Text Grammar Revisited, p. 6.

ويؤكــد رؤيــة هارفج بحث كل من:بيتر كانيزيوس وكذلك بحث كليمانس عن ضمائر الوصل والشخصية والضمير الثالث وأدوات التعريف ودورها في سبك وحبك النص، ينظر:

Canisius P,Relativpronomi,Personalpronomin,Kongruenz,S.133:160.
Herbermann P.,Clemens:Die dritte person. pronomina und Definitheit, Von 89 bis132,

وقــد ذكــر الســيوطي ناقلاً عن الزركشي أسباب ذلك الاختلاف، وقد رده إلى : اختلاف المقامات/الموضوعات، والحقيقة والمجاز، والاختلاف في جهتي الفعل[1].

٤/٥ : المعيار الرابع: القصدية (Intentionalität) :

لم يشــر الباحــثون في الإعجــاز القــرآني إلى هــذا المعــيار إشــارة مباشــرة ، ومن ثم لم يرد له تعريف يحدد جوانبه وخصائصه.غير أن الذي بقي واضحاً أن عمل الباحــثين في الإعجــاز، إنما هو قائم على تقديم تفسير أرحب لجوانب من النص القرآني، وهو عمــل يعتمد على كشف/شرح وتفسير لمقاصد الحكم في كتابه، وبالتالي فإن عملهم، إنما ركز على توضيح قصد المولى تعالى، وهذا استنتاج ضمني واضح نتج عنه عدم وجود مناقشة صريحة.

ويــرى عــلماء الــنص أن هــذا المعيار، يقع ضمن المعايير الأربعة الأساسية لتحقق النصــية،وهو: اعــتقاد المنشئ أن سلسلة الأحداث القولية التي ينتجها يمكن أن تشكل نصاً مسبوكاً... يكون أداة لتحقيق مقاصد المنشئ، كأن ينقل معرفة أو يحقق هدفاً جرى توصيفه في إطار خطة موضوعة[2].

ويــلحظ د. ســعيد بحيري من خلال مناقشة آراء بوجراند/درسلر أنهما يشيران إلى أمــرين مهمين، الأول : الصلة الوثيقة بين هذا المعيار ومعياري الربط والتماسك، إذ يمكن أن نحافظ على هذين المعيارين بدرجة ما من خلال صياغة لتحقيق أهداف نصية متغايرة . الثاني : ضرورة محافظة منتج النص عليها تتضمن حرصه على دوام التواصل، ورغبته في إيصال مقاصده إلى متلقيه، فإذا تجاهله تنخفض درجة الاتصال بينهما إلى أن ينقطع نهائياً آخر الأمر[3].

---

(1) السيوطي: المعترك ١/١٠٠ : ١٠٤.

(2) اختــلف الباحــثون العــرب في ترجمة مصطلح Intentionalität" فترجمه كل من : د. تمام حسان بــــ"القصــد" . النص والخطاب والإجراء ص١٠٣، نحو الجملة ونحو النص ص٢.د. سعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان ص٢٤. وقد أدى به هذا التعريف إلى رفض/إنكار جوانب من تصور د. تمام حول هذا المعيار ص ٢٤.

(3) د.ســعيد بحــيري: اتجاهات لغوية معاصرة ص١٧٧ ؛ لتتضح مدى إفادة بوجراند/درسلر من الاتجاهات النقدية والأدبية، وينظر د.عاطف جودة:النص الشعري ومشكلات التفسير ص٤٠: ٤٢.

وتـرجع هذه الرؤية النظر إلى تلك العلاقة الجوهرية القائمة بين هذا المعيار ومعياري النصـية(السبك،الحبك)؛ ذلك أن محافظة منتج النص عليهما معاً، تتضمن حرصه ورغبته على إيصـال مقاصده إلى متلقيه/مستمعه، وليس بخاف أن النص القرآني وسوره وآياته مرتبطة فيما بينها بشبكة من العلاقات القائمة .كما وضحته مناقشة معياري النصية الأولين من خلال عمل الباحثين في الإعجاز القرآني بفضل بيان .

٥/٥: المعيار الخامس: المقبولية (Akzeptabilität) :

يترتب هذا المعيار على مدى قوة الانسجام والارتباط بين المعيار الأول والثاني، ويؤدي في تصوري إلى قبول النص اللغوي، أما إذا حدث خلل بين هذين العنصرين، فإن عواقب ذلك ليست إيجابية من حيث قبول النص؛ لأن هذا يؤدي إلى تصورات خاطئة، وإن كان هذا لا يتنافى مع النصوص اللغوية عالية المستوى، حيث تكمن قيمة البلاغة في الكشف عن المعاني الإضافية وراء الصياغات اللغوية .

وبالتالي فإن هذا المعيار مترتب على المعيار الأول والثاني، ولاشك أن هذه المعايير تعمل متضافرة(معتضدة) للوصول إلى الغاية المرجوة من النص القرآني، وهي إيصال أفكاره فيما يتعلق بجوانب العقيدة وتثبيتها وجوانب أخرى تتعلق بالأمور الحياتية/الاجتماعية،وقضايا أخرى مهمة اجتمعت فيه(ما فرطنا في الكتاب من شئ) جعلت منه نصاً محكماً/مسبوكاً (لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ....) تدل فيما تدل على اشتماله على قضايا متنوعة غاية في الخصوصية كل ذلك للوصول بأفكاره وتصوراته إلى المتلقي. ويترتب على هذه الرؤية أن المتلقي/المستمع حـين يسمع القرآن لا ينكره، وفي موقف الوليد بن المغيرة وكفار قريش حين نزوله دليل على ذلك. بل هو موقف من كان له قلب سليم إلى قيام الساعة .

وقد نتج عن ذلك أن وضوح وجلاء هذا المعيار، يعتمد على وضوح المعايير السابقة علـيه، فكلما كان النص مسبوكاً محبوكاً، أدى إلى وصول قصد المنتج؛ الأمر الذي يؤدي إلى قبول المتلقي النص كلية وعدم رفضه . وهذه الرؤية يجسّدها القرآن بشكل واضح .

يقـول د. سعد بحيري : القبول ــ بعد ــ له بعاد وجهات ثقافية واجتماعية؛ ويتصل بتحديد موقف المتلقي من الكلام، ومدى تقبله لسلسلة الأحداث الكلامية على أنها نص قابل

لأن يوصف بالسبك والحبك، وأن له أنواعاً من الجدوى بالنسبة للمتلقي، كأن يكتسب معرفة أو يتبنى موقفاً، أو يسهم باستجابة لإنجاز خطة، وهلم جرا [1].

وقد لمح د. سعيد أن هذا المعيار ــ بناء على ذلك ــ يتعلق بالمنتج والمتلقي، بقوله: اختصار علاقة المنتج والمتلقي بالحدث الكلامي . ومن ثم يختص هذان المعياران بمستخدم اللغة، منتج ومتلق، في مقابل معياري الربط والتماسك اللذين يختصان بالنص ذاته[2].

وبناء على ذلك ، فإن المعيار لا يتعلق بالسياق اللغوي بقدر ما يرتبط بالسياق المقامي والثقافي .... والأرضية المشتركة بين المنتج والمتلقي، مما يجعل بينهما قدراً مشتركاً، تجعل المتلقي يتقبل تلك الأحداث الكلامية أو السلسلة اللغوية .

---

(1) د. سـعد مصلوح : المذهب النحوي عند تمام حسان ص٢٦. وينظر : د. سعيد بحيري اتجاهات لغوية معاصرة ص١٧٧ وما بعدها.

(2) د. سعيد بحيري : اتجاهات لغوية معاصرة ص ١٧٧.

الخاتمة

لا يستطيع المرء ذكر كل الملاحظات التي عنت له في ثنايا البحث والمعالجة ، وبخاصة إذا تعلق الموضوع بمثل ما نحن حياله، فالقضايا متشعبة ومتداخلة في آن واحد، وقد أدى ذلك إلى أن كثيراً من القضايا جاءت فيما أظن تشبه النتائج، وقد أدت هذه الرؤية إلى أننا نجعل الخاتمة على غير العادة، وبالتالي جاءت عارضة للعناصر المكونة لفصول هذا البحث ، تاركين النتائج يستخلصها الباحثون من ثنايا الدرس والمعالجة في البحث .

فقد جاءت مناقشة قضايا البحث موزعة على عدد من الفصول تسبقها مقدمة وإطار عام. وقد اشتمل الإطار العام على تصورات أولية فيما يتعلق بموضوع الدراسة، واضعاً من خلاله الأرضية الخاصة به .

أما الفصل الأول، فقد عنى باتجاهات البحث النصي في التراث في اتجاهات عدة مختلفة ومتداخلة في آن واحد . وقد أدت هذه الرؤية إلى التداخل في المعايير العامة في أحايين كثيرة، غير أن السمة الجوهرية ظلت باقية معلنة .

وقد جاءت معالجة هذا الفصل من خلال موضعين، الأول : عرض لهذه الاتجاهات التراثية من ناحية، ومن ناحية أخرى تحديد المعايير لديهم واستخلاص النتائج بناء على هذا التصور .

وناقش الفصل الثاني معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني؛ مركزاً على معايير النص عند أصحاب الرسائل، وعند أصحاب المؤلفات، مستخلصاً بعد ذلك قضايا المطابقة والمخالفة ومدى إسهام كل منهم، وموضحين من خلال ذلك عدداً من القضايا ذات الصلة بالاتجاه النصي وعلاقتها به، وتقويم لساني للبحث في الإعجاز القرآني . ووضح الفصل الثالث المفاهيم والتصورات الأساسية المكونة للإعجاز القرآني وعلاقتها بـ"نحو النص"، محللاً إياها، ومصنفاً ومناقشاً هذه المفاهيم ومحاولة استخلاص ذلك كله في ضوء الاتجاه النصي. في حين تناول الفصل الرابع ملاحظات حول بعض معايير النص عند الباحثين في الإعجاز القرآني مناقشاً إياها في ضوء تحليلاتهم وموضحاً الجوانب الناصعة لديهم، فيما يقدم إسهاماً عربياً لـ "نحو النص" العربي . ثم الخاتمة وضعت لمراجعة وعرض ما تقدم . وأخيراً المراجع التي اعتمد عليها الباحث .

المراجع

١/٧ : العربية

١ـ أبو هلال العسكري :

كتاب الصناعتين : الكتابة والشعر، حققه وضبط نصه د. مفيد قميحة، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، الطبعة الثانية، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م .

٢ـ د. إحسان عباس :

تاريخ النقد الأدبي عند العرب، نقد الشعر من القرن الثاني حتى القرن الثامن الهجري، دار الشروق، عمان، الأردن، طبعة مزيدة ومنقحة .

٣ـ ابن الأثير : ضياء الدين بن الأثير :

المثل السائر،القسم الثالث، تحقيق: د. أحمد الحوفي، د. بدوي طبانة ، دار نهضة مصر، د.ت .

٤ـ د. أحمد جمال العمري :

المباحث البلاغية في ضوء قضية الإعجاز القرآني، نشأتها وتطورها حتى القرن السابع الهجري ، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م .

٥ـ د. أحمد عبد الوارث مرسي :

دور البلاغة في الإعجاز عند السيوطي في كتابه : معترك الأقران في إعجاز القرآن، دار الصفا للطباعة، د.ت، رقم الإيداع ١٥١٨٢.

٦ـ أسامة بن منقذ :

البديع في نقد الشعر، تحقيق : د. أحمد بدوي، د. حامد عبد المجيد، مراجعة إبراهيم مصطفى، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، د.ت، الجمهورية العربية المتحدة .

٧ـ د. إلهام أبو غزالة/علي خليل حمد :

مدخل إلى علم لغة النص، تطبيقات لنظرية روبرت ديبوجراند وولفجانج دريسلر، الهيئة المصرية العامة للكتاب، الطبعة الثانية،١٩٩٩م .

٨ـ د. البدراوي زهران :

عالم اللغة عبد القاهر الجرجاني، الطبعة الرابعة، دار المعارف، القاهرة، ١٩٨٧ م .

٩ــ د. بدوي طبانة :

البيان العربي، دراسة في تطور الفكرة البلاغية عند العرب ومناهجها ومصادرها الكبرى، دار العودة، بيروت، ط٥، ١٩٧٢م .

١٠ــ برند شبلنر :

علم اللغة والدراسات الأدبية، دراسة الأسلوب، البلاغة، علم اللغة النصي، ترجمه وقدّم له وعلق عليه د. محمود جاب الرب،الدار الفنية للطباعة،١٩٨٧م .

١١ــ بوجراند :

النص والخطاب والإجراء، ترجمة د. تمام حسان، عالم الكتب، القاهرة ، الطبعة الأولى، ١٩٩٨م .

١٢ــ د. تمام حسان :

نحو الجملة ونحو النص، بحث غير منشور،ألقي في الموسم الثقافي لجامعة أم القرى، ١٩٩٥م .

١٣ــ الجاحظ : أبو عثمان عمرو بن بحر:

البيان والتبيين، الجزء الأول، تقديم د. عبد الحكيم راضي، الهيئة العامة لقصور الثقافة، سلسلة الذخائر(٨٥) ،٢٠٠٣م .

١٤ــ د. جميل عبد المجيد :

البديع بين البلاغة العربية واللسانيات النصية، الهيئة المصرية العامة، ١٩٩٨م .

١٥ــ د. حامد صالح خلف الربيعي :

مقاييس البلاغة بين الأدباء والعلماء، معهد البحوث العلمية وإحياءالتراث الإسلامي، مركز بحوث اللغة العربية،جامعة أم القرى،١٤١٠هـ ــ١٩٩٦م .

١٦ــ د. درويش الجندي :

نظرية عبد القاهر في النظم، مكتبة نهضة مصر، ١٩٦٠م .

١٧ــ الزركشي : بدر الدين محمد بن عبد الله :

البرهان في علوم القرآن، الجزء الأول، تحقيق : محمد أبو الفضل إبراهيم، دار التراث، القاهرة (د. ت) .

١٨ــ د. سعد مصلوح :

ــ المذهب النحوي عند تمام حسان من نحو الجملة إلى نحو النص، بحث غير منشور .

ــ نحو أجرومية للنص الشعري، دراسة في قصيدة جاهلية ، مجلة فصول، م ١٠، ؛ ع ١، ٢، يوليو، أغسطس ،١٩٩١م .

ــ العربية : من "نحو الجملة" إلى "نحو النص" ضمن الكتاب التذكاري الذي أصدرته جامعة الكويت بعنوان : الأستاذ عبد السلام هارون معلماً ومؤلفاً ومحققاً"، ١٩٩٠م.

١٩ــ د. سعيد بحيري :

ــ اتجاهات لغوية معاصرة، مجلة علامات في النقد الأدبي،ع ٣٨ ، ٢٠٠٠ .

ــ علم لغة النص المفاهيم والاتجاهات، الأنجلو المصرية، ط ١، ١٩٩٣ .

ــ القصد والتفسير في نظرية النظم (معاني النحو) عند عبد القاهر الجرجاني ضمن كتاب : دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م .

ــ من أشكال الربط في القرآن الكريم ، ضمن كتاب: دراسات لغوية تطبيقية في العلاقة بين البنية والدلالة، مكتبة زهراء الشرق، القاهرة، ١٩٩٩م .

٢٠ــ سيبويه: أبو عمرو بن بشر:

الكتاب، الجزء الأول ، مكتبة المتنبي ، القاهرة ،١٣١٦هـ .

٢١ــ د. شوقي ضيف :

البلاغة تطور وتاريخ، دار المعارف، القاهرة، الطبعة الخامسة ،١٩٨١م .

٢٢ــ د. صلاح فضل :

بلاغة الخطاب وعلم النص ،عالم المعرفة، عدد (١٦٤)١٤١٣ هـ ــ ١٩٩٢م .

٢٣ــ ابن طباطبا العلوي : أبو الحسن محمد بن أحمد :

عيار الشعر، تحقيق : د. عبد العزيز ناصر المانع، ١٤٠٠هـ ــ ١٩٨٥م .

٢٤ــ عاطف نصر جودة :
النص الشعري ومشكلات التفسير، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٨م .

٢٥ــ د. عبد الرؤوف مخلوف :
الباقلاني وكتابه إعجاز القرآن دراسة تحليلية نقدية، منشورات مكتبة الحياة، بيروت، د. ط ، ١٩٧٨م .

٢٦ــ د. عز الدين إسماعيل :
قــراءة في معنى المعنى عند عبد القاهر الجرجاني، مجلة فصول، م ٧، ع ٣ ، ٤، إبريل ، سبتمبر، ١٩٨٧م .

٢٧ــ د. عبد الفتاح لاشين :
ــ بلاغة القرآن في آثار القاضي عبد الجبار وأثره في الدراسات البلاغية ، دار الفكر العربي ، القاهرة ، ١٩٧٨م .
ــ التراكيــب النـحوية من الوجهة البلاغية عند عبد القاهر، دار المريخ ، الرياض، ١٩٨٠م .

٢٨ــ د. عبد القادر حسين :
أثر النحاة في البحث البلاغي، دار نهضة مصر، القاهرة ، ١٩٧٥م .

٢٩ــ عبد الكريم الخطيب :
الإعجاز في دراسات السابقين دراسة كاشفة لخصائص البلاغة ومعاييرها، دار الفكر العربي، ط١، ١٩٧٤م .

٣٠ــ د. علي عشري زايد :
البلاغة العربية تاريخها. مصادرها. مناهجها ، مكتبة الشباب، القاهرة، ١٩٨٢م .

٣١ــ عمر لطفي العالم :
المستشــرقون والقرآن دراسة نقدية لمناهج المستشرقين ، منشورات مركز دراسات العالم الإسلامي،ط ١، ١٩٩١م .

٣٢ــ د. فؤاد علي مخيمر :

فلسفة عبد القاهر الجرجاني النحوية في دلائل الإعجاز، دار الثقافة للنشر والتوزيع ، القاهرة ،١٩٨٣م .

٣٣ــ فولفجانج هاينه منْ/ديترفيهفيجر :
مدخــل إلى عــلم اللغة النصي، ترجمة د.فالح بن شبيب العجمي، نشر جامعة الملك سعود، ١٤١٩هـ ــ ١٩٩٩م .

٣٤ــ محمد خطابي :
لســانيات الــنص مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء/ بيروت، الطبعة الأولى ،١٩٩١م .

٣٥ــ د. محمد زغلول سلام :
أثر القرآن في تطور النقد العربي إلى آخر القرن الرابع الهجري، دار المعارف، القاهرة. ط ٣. د.ت .

٣٦ــ د. محمد العبد :
حــبك الــنص : مــنظورات من التراث العربي، مجلة الدراسات اللغوية، م٣،ع ٣، ١٤٢٢هـ ــ ٢٠٠١م، المملكة العربية السعودية ــ الرياض .

٣٧ــ د. محمد غنيمي هلال :
النقد الأدبي الحديث ، دار نهضة مصر، القاهرة ،١٩٩٧م .

٣٨ــ د. محمود السيد شيخون :
الإعجاز في نظم القرآن: ط ١، ١٣٩٨هـ ــ١٩٧٨، مكتبة الكليات الأزهرية .

٣٩ــ د. منير سلطان :
إعجاز القرآن بين المعتزلة والأشاعرة، منشأة المعارف،الإسكندرية، ١٩٧٦م .

٤٠ ــ نعيم الحمصي :
فكرة إعجاز القرآن منذ البعثة النبوية حتى عصرنا مع نقد وتعليق ، مؤسسة الرسالة، عمان، الطبعة الثانية، ١٩٨٠م .

٤١ ــ وليد محمد مراد :

نظـرية الـنظم وقيمتها العلمية في الدراسات اللغوية عند عبد القاهر الجرجاني، دار الفكر، ط ١، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م .

٢/٧ : المراجع الأجنبية :

1- Agricola, Erhard :Textstruktur Textanalyse informationskern. VEB Verlag Enzyklopädie, Leipzig ,1979 .

2- Beaugrande R. de:Textlinguistik :Zu neuen Ufern. http : Beaugrande bizland. Con / zu neuefern. htm.

3- Beaugrande R. de:Text Grammar Revisited. Loyos and language, special issue, 2001.

4- Beaugrande R. de / W. U. Dressler : Einführung in die Textliguistik, Niemeyer, Tübingen, 1981.

5- Brinker, Klaus : Linguistische Textanalyse, Eine Eiene Einführung in Grundbegriffe und Methoden. Erich Schmidt Verlag, Berlin, 1988.

6- Canisius,Peter:Relativpronomina, Personalpronomina, Kongruenz, Von 133 bis 160 , in die:Text und Grammatik Festschrift für Roland Harweg zun 60 eburtstag herausgegeben von Peter Canisius, universitats verlag Dr. Nobert Brockmeyer. Bochum. 1994.

7- Coseriu, Eugenio :Textlinguistik Eine:Einführung.Gunter Narr verlag Tübingen, 1981.

8- Lexkalische Solidaritaten, Lekturekolleg zur Textlinguistik, Band 2 : Reader.

9- Gulich Elisabeth und Andre :Linguistische Textanalyse, Helmut Buske verlag , Hamburg ,1979.

10- Hartmann Peter :Textlinguistik als linguistische aufgabe, von 93 bis 105 ,in die :Textlinguistik (Hers.)

von Wolfgang Dressler, Wissenschaftliche Buchges - ellschaft, Darmstdt, 1979.

11- Harweg Roland:Pronomina und Textkonstitution, Wilhelm Fink verlag, München, 1968.

12- Herbermann P.,Clemens:Die dritte person. pronomina und Definitheit, Von 89 bis132, in die :Text und Grammatik Festschrift fur Roland Harweg zun 60. Geburtstag herausgegeben von Peter Canisius, universitats verlag Dr. Nobert Brockmeyer. Bochum. 1994.

13-Junker,H.:Rhetorik und Textgrammatik. Von 378 bis 382 , In: Romantische Forschung, 1976.

14- Kalver kamper,H. :Orientierung zur Textlinguistik, Tübingen, 1981.

15- Koch A. Walter : Einige Probleme der Textanalyse von 106 bis 122, in die Textlinguistik Herausgegebe von Wolfgang Dressler, Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1978.

16- Petöfi, J. S. :Transformationsgrammatiken und die grammatische Beschreibung derText (1971) Von 300 bis 327, In :Textlinguistik (Hrsg.) von Dressler, W. 1978.

17- Plett F. Heinrich:Textwissenschaft und Textanalyse, Quelle, Meyer, Heidelberg, 1975.

18- Schmidt, S. J.:Texttheorie, Wilhelm Fink verlag, München, 1976.

19- Silman Tamara:Probleme der Textlinguistik Quelle, Meyer, Heidelberg, 1974.

20- Titzman, Michael: Strukturale Textanalyse Theorie und Praxis der Interpretation, Wilhelm Fink verlag München. 1977.

21- Van Dijk, T. A.: Aspekte einer Texgrammatik, in : Textlinguistik (Hrsg.) von Dressler, W. 1978, 268 bis 299.

22- Text and Context, Longman, London and New York 1977.

23- Textwissenschaft. Eine interdisziplinare : Einführung. München 1980.

24- Vater, Heinz : Einführung in die Textlinguistik Struktur, Thema und Referenz in Texten. Wilhelm Fink verlag. München, 1994.

25- Weirich Harald :Die Textpartitur als heuristiche Methode, Von 391 bis 412. In : Textliguistik (Hrsg.) von Dressler W. 1978.

26- Wolfgang Dressler: Einführung in die Textlinguistik. Max Niemeyer verlag, Tübingen,1973.

27-Textlinguistik(Hers.)von Wolfgang Dressler Wissenschaftliche Buchgesellschaft, Darmstadt, 1978.

الفهرس